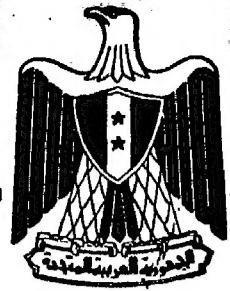


اختزال ١١٩



مكرات
نسون تشرشل

٢



اخترنا لك

۱۱۹

مذكرات
ولسینون تشرشل

۲

الجزء الثانى

ماساة ميونخ

كم من الأسفار العديدة التي كتبت وستكتب عن الأزمة التي انتهت في ميونخ بالتضحية بتشيكوسلوفاكيا ولست أريد هنا إلا أن أثبت بعض الحقائق الأساسية وأبين الخطوط الأساسية للوقائع . لقد ألقى ليتفينوف في الجلسة التي عقدتها الجمعية العامة لعصبة الأمم في الحادي والعشرين من سبتمبر الإنذار الرسمي التالي :

« نعرض تشيكوسلوفاكيا في الآونة الحاضرة لتدخل دولة مجاورة لها في شئونها الداخلية ، وتهدها علناً بالهجوم عليها . وهكذا سيري هذا الشعب الذي يعد من أقدم الشعوب الأوربية وأكثرها حضارة وأشدّها إقبالاً على العمل والذي نال استقلاله بعد قرون من الظل والعبودية ، سيري نفسه اليوم أو غداً مضطراً إلى حمل السلاح دفاعاً عن استقلاله .

ولما تركت بلادي ورحلت إلى جنيف منذ بضعة أيام تلقيت لأول مرة سؤالاً عن موقفنا إذا تعرضت تشيكوسلوفاكيا للعدوان فأرسلت باسم حكومتي الجواب الصريح الآتي :

« لقد عزمنا على أن نوفي بالتزاماتنا . ونقدم لتشيكوسلوفاكيا بالتضامن مع فرنسا كل عون بالطرق الميسورة لنا . وإن وزارة حربتنا على استعداد للاشتراك حالا في مؤتمر يجمع ممثلين عن وزارتي الحرب في فرنسا وتشيكوسلوفاكيا لدراسة الخطط المناسبة لمواجهة الظروف الحالية .

ومنذ يومين تلقت حكومتي استفساراً رسمياً من الحكومة التشيكوسلوفاكية عما إذا كانت حكومة الاتحاد السوفياتي على استعداد - وفقاً للمعاهدة السوفياتية التشيكية ، لأن تقدم لها المعونة العملية المأجلة ، وأن فرنسا ستقدم لها هذه المعونة وفاء بالتزاماتها فكان رد حكومتي صريحاً بالإيجاب .

ولم يؤثر هذا البيان الرسمي الواضح الذي أصدرته دولة من أعظم الدول على مفاوضات المستر تشمبرلان ولا على موقف الفرنسيين من الأزمة . وقد تجاهلت

الدولتان هذا المرض بالفعل ولم يحسب لهذه الدولة العظمى حساب في ميزان الأوضاع ضد هتلر ؛ وقد عوملت بطريقة تدل على التفاضل إن لم يكن على الاحتقار ، مما كان له أثره على عقل ستالين وتفكيره فقد ظلت الأمور تسير في طريقها وكأن روسيا السوفياتية دولة لا وجود لها . وقد كان لهذا التجاهل أثره البالغ فيما بعد .
والتي هتلم مساء السادس والعشرين خطاباً في برلين فأشار إلى إنجلترا وفرنسا ، بهزات مناسبة مهددة وقد حمل في نفس الوقت حملة شعواء على بنش والتشيكين . وقال بصورة حاسمة : إن على تشيكوسلوفاكيا أن تجل في الحال من بلاد السودان وقد أكد أنه إذا تمت تسوية هذه القضية . فلن يهتم ما يقع لتشيكوسلوفاكيا فيما بعد . وأن هذا آخر مطلب إقليمي له في أوروبا .

وفي الساعة الثامنة من تلك الليلة قدم المستر ليبر رئيس إدارة الصحافة في وزارة الخارجية البريطانية إلى وزير الخارجية بلاغاً رسمياً للتوقيع عليه هذا نصه :
« إذا حدث على الرغم من المحاولات التي يبذلها رئيس الوزراء البريطاني . هجوم من ألمانيا على تشيكوسلوفاكيا فإن النتيجة العاجلة أن فرنسا ستب مساعدتها ولا شك أن بريطانيا العظمى والاتحاد السوفياتي سيقفان إلى جانب فرنسا » .

وقد وافق اللورد هاليفاكس على هذا البلاغ وعجل بصدوره وبدأ أن ساعة النضال قد أزقت . وأن القرى المتعادية قد اتخذت أماكنها . فقد كان للتشيكين مليون ونصف مليون من الجنود المسلحين يقفون وراء أقوى خط دفاعي في أوروبا ، تساندهم قوات ميكانيكية عظيمة في عتادها وتنظيمها . وقد تمت تعبئة الجيش الفرنسي جزئياً . وكان الوزراء الفرنسيون على الرغم منهم أعلنوا رغبتهم في التمسك بالتزاماتهم لتشيكوسلوفاكيا .

وأصدرت الأيرالية البريطانية في الساعة الحادية عشرة والدقيقة العشرين من صباح الثامن والعشرين من شهر سبتمبر أوامرها بتعبئة الأسطول البريطاني .
وفي خلال ذلك بدأ صراع شديد مستمر بين الفوهرر وبين مستشاريه العسكريين . فقد تبين أن الأزمة قد هيأت سائر الظروف التي كان يخشاها القواد الألمان .

فقد حشد من ثلاثين إلى أربعين فرقة تشيكوسلوفاكية على حدود المانيا الشرقية . وبدأت قوات الجيش الفرنسى التى تفوق قواتهم بنسبة ثمانية إلى واحد تصطف على الجدار الغربى . وتستطيع الجيوش السيوفياتية أن تعبر إلى الأمام عن طريق بولندا ورومانيا . وقد قام بعض هؤلاء القواد بمؤامرة لاعتقال هتلر « وإتخاذ ألمانيا من هذا المجهون » . وأعلن آخرون أن معنويات الشعب الألمانى المتهاينة لا تستطيع الوقوف فى حرب أوربية . كما أن القوات الألمانية المسلحة على غير استعداد لخوض غمار المعركة . ووجه الأميرال ريدر القائد العام للبحرية الألمانية إنذاراً شديداً إلى الفوهرر أسرعت بتأكيده الأنباء القائلة بمقبشة الأسطول البريطانى .

وأخذ هتلر فى التردد . وفى الساعة الثانية من الصباح أذيع من محطة الإذاعة الألمانية بيان رسمى ينفى اعتزام ألمانيا إعلان القمبشة العامة فى التاسع والعشرين وقد أصدرت وكالة الأنباء الرسمية الألمانية فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والأربعين من نفس اليوم بياناً مشابهاً سلمته إلى الصحافة البريطانية ولا شك أن الضغط على ذلك الرجل الفرد وعلى عزيمته الجبارة كان شديداً فى هذه اللحظة .

وكان من الواضح أنه قد أصبح على شفا الحرب العامة . فهل له أن يخطو هذه الخطوة إزاء الزأى العام الجارف الذى يواجهه وأمام هذه الإنذارات المتتالية من رؤساء أركان حربه الذين يمثلون الجيش والبحرية والطيران ؟ ولكن هل يستطيع الآن أن يتراجع بعد أن عاش على سمعته المدوية ردحاً من الزمن .

ولكن المستر تشمبرلن كان كذلك يقوم بنشاط بالغ فى هذه الآونة وكان يشرف إشرافاً كلياً على سياسة بريطانيا الخارجية . وكان اللورد هاليفاكس على الرغم من الشكوك الكثيرة التى تنبعث من جو وزارته يتبع توجيهات رئيسه ، وكان مجلس الوزراء يساوره القلق ولكنه مطيع لأوامر رئيسه ، وكان فى مقدور مراقبى المجلس أن يحافظوا على الأغلبية التى تتمتع بها الحكومة .

كان هناك رجل واحد يوجه سياستنا ويقود شئنا ، ولم يكن ليتردد أمام المسئولية الكبيرة الملقاة على عاتقه ، وأهرق فى الرابع عشر من سبتمبر إلى هتلر دون أن يستشير أحداً يقترح أن يقوم بزيارته ، وطار رئيس وزراء بريطانيا إلى ألمانيا

ثلاث مرات وقد اقنع هو ومستشاره اللورد رانسمان بأن السبيل الوحيد لإرضاء هتلر هو فصل السودان عن تشيكوسلوفاكيا .

وكانت المرة الأخيرة زيارة ميونخ وقد انضم إليه السيوديلاديه رئيس وزراء فرنسا وموسوليني . ولم توجه دعوة ما إلى روسيا كما لم يسمح للتشيكين أنفسهم بحضور هذه الاجتماعات . وقد أعلنت حكومة تشيكوسلوفاكيا بعبارة جافة مساء اليوم الثامن والعشرين أن مؤتمر يضم ممثلي الدول الأوربية الأربع سيمعقد في اليوم التالي وتم الوصول إلى اتفاق بين الدول « السكبار الأربع » بسرعة هائلة .

فقد بدأت المحادثات في الظهر وظلت حتى الساعة الثانية من صباح اليوم التالي . وأعدت مذكرة عاجلة ووقع عليها في الساعة الثانية من صباح اليوم الثلاثين من سبتمبر . وكان جوهر المذكرة يشتمل على الموافقة على المطالب الألمانية .

فقد تقرر أن يتم الجلاء عن مناطق السودان في خمس مراحل تبدأ في اليوم الأول من أكتوبر وتنتهى في العاشر منه ، كما تقرر أن يهمد إلى لجنة دولية بتخطيط الحدود النهائية .

وقد وضعت الوثيقة أمام المندوبين التشكيين . فأخذوا رءوسهم لهذه القرارات وقالوا لهم يودون أن يملنوا احتجاجهم أمام العالم على قرار لم يشتركوا في وضعه واستقال الرئيس بنش لأنه يرى أنه قد يكون عائقا في سبيل التطورات التي يجب على الحكومة الجديدة أن تكيف نفسها وفقا لها « وقد ترك تشيكوسلوفاكيا ليجد له مائجا في إنجلترا . ومن ثم بدى في تقطيع أوصال تشيكوسلوفاكيا . ولم يكن الألمان وحدهم الذين تكأروا على الفريسة . فقد أرسلت الحكومة البولندية إنذارا إلى التشيكين تطلب إليهم أن يسلموا إليها عاجلا منطقة تيشين الواقعة على الحدود بين البلدين في ظرف أربع وعشرين ساعة . ولم يكن هناك مفر من قبول ذلك الطلب القاسى وجاء المجرىون كذلك يحملون مطالبهم الزهومة .

وبينا كان الساسة الأربعة ينتظرون الانتهاء من إعداد الوثائق النهائية سأل رئيس الوزراء هتلر . إذا كان يرى الحديث إليه حديثا خاصا . فتووب هتلر لقبول الفسكرة واجتمع الزعمان في شقة هتلر الخاصة في ميونخ صباح الثلاثين من شهر

سبتمبر . ولم يحضر معهما أحد إلا مترجم واحد . وأخرج تشمبرلين مسودة بيان كان قد أعدّه . يعلن فيه « أن مسألة العلاقات الإنكليزية - الألمانية هي أهم شيء بالنسبة للبلدين ولأوروبا جميعها وأن الفريقين يمدان الاتفاق الذى وقع أمس والاتفاق البحرى الإنكليزى الألمانى همارز على رغبة شعبيهما فى أن يحارب أحدهما الآخر »

وقرأ هتلر الوثيقة ووقعها بنير تردد

وعاد تشبرلين إلى انكلترا . وقد لوح بورقة البيان المشترك التى حمل هتلر على توقيعها مجرد هبوطه من الطائرة - وقرأها على مسمع من أعيان الشعب ووجوه ممن حضروا إلى المطار لاستقباله . وبينما كان فى طريقه إلى داوننج ستريت والسيارة تنهب الأرض وسط هتاف الماتقين أسر إلى هاليفاكس الجالس إلى جواره بقوله : « سوف ينتهى كل هذا خلال ثلاثة أشهر . ولكنك عاد يلوح بقصاصة الورق التى فى يده من نوافذ داوننج ستريت وقال مخاطباً الجماهير من النافذة « هذه هي المرة الثانية فى تاريخنا التى عاد فيها السلام مع الشرف من ألمانيا إلى داوننج ستريت . وأعتقد أن هذا السلام سيطول طوال جيلنا » .

وهكذا انتصر رأى هتلر وتقديره من جديد . وبادت القيادة الألمانية العليا بالخزى والخجل . فقد تبين ثانية أن الفوهرر كان على حق . إذ استطاع بمهيقته وإلهامه وحدهما أن يقدّر سائر الظروف العسكرية والسياسية تقديراً سليماً . وانتصرت زعامة هتلر مرة أخرى على ممارسة القادة العسكريين وكان كل هؤلاء القواد من الوطنيين الصادقين . وكان مهمهم أن يروا بلادهم تستعيد مكانتها الأولى بين أمم العالم وكانوا يقضون أوقاتهم كلها ليل نهار فى القيام بكل ما يؤدى إلى تقوية ألمانيا المسلحة ولذا أحسوا من أعماقهم بنصبة شديدة لظهورهم بظهر الذين لا يقدرّون الأحداث . وتحوّات كراهيتهم لهتلر وعدم ثقتهم به إلى نوع من الإعجاب بمواهبه الخارقة . وجده المزعوم وتأكدوا من بزوغ نجم يجب أن يسيروا على هداة . ومن ظهور دليل يجب أن يتبعوه ، وهكذا أصبح هتلر أخيراً السيد المطاع لألمانيا وقد أصبح الطريق واضحاً للمشروع العظيم واختفى القآمرون وراء ستار من الخزى بمد أن امتنع زملاؤهم العسكريون عن إنشاء نوابام فى المؤامرة .

وليس من اليسير الآن بعد أن مرت بقا تلك السنوات في طيها الجهود الشاقة والقوتر الفكرى والبدنى - أن تصدر للأجيال القادمة تلك العوطف التي كانت تضطرم في بريطانيا بسبب موضوع اتفاق ميونخ . وقد انقسم الرأي بين أفراد أسر المحافظين وأصدقائهم المخلصين إلى حد لم أر له مثيلاً في حياتى من قبل . وكان الرجال والنساء الذين تربطهم وشائج قوية من الصلات الحزبية والروابط الاجتماعية والعائلية ينظر بعضهم إلى البعض نظرات تحمل شيئاً من الازدراء والنعيب . ولم يكن من اليسور تسوية هذه القضية بهتافات الجماهير التي احتشدت للترحيب بالمستر تشمبرلن عند عودته من المطار إلى داوونج ستريت ولا عن طريق الجهود التي يبذلها مراقبو المجلس وأنصار الحزب . ولم نكن نحفل نحن الأقلية بما تقابل به من السخرية والهزء من أنصار الحكومة .

وقد اهتزت الحكومة من أسسها . ولكن كان كل ما فات قد انقضى . فتماسك أعضاء الحكومة حفظاً لحياتها . ولم يصمد في الميدان غير المستر داف كوبر وزير البحرية الذي استقال من منصبه الكبير الذى كان قد حافظ على كرامته بالأوامر التي أصدرها بتمبئة الأسطول . في الوقت الذى كان فيه المستر تشمبرلن يسيطر على رأى العام سيطرة كلية . اندفع هذا الوزير الشجاع من بين الصفوف ليعلن مخالفته لموقف زعيمه ورئيسه .

وألقي المستر كوبر خطاب استقالته في أيام المناقشة الثلاثة التي قامت في مجلس العموم حول اتفاق ميونخ . وكان هذا الحادث من الحوادث البارزة في حياتنا البرلمانية . فقد تحدث الوزير المستقيل بطلاقة مرتجلاً أربعين دقيقة وقد سيطر على مشاعر الغالبية من خصومه من نواب الحزب .

وكان من السهل على نواب المال والأحرار المعارضين كل المعارضة للحكومة القائمة أن يصفقوا له وأن يهتفوا . فقد كانت هذه الاستقالة فاتحة لانشقاق في حزب المحافظين .

ولم تكن المناقشة التي جرت في المجلس إلا خاية بالمشاعر التي استثيرت في البلاد والقضايا المعرضة للخطر . وإنى لأذكر تماماً أننى حين قلت مرة في المجلس :

« إننا أصبنا بهزيمة كلية لانظير لها ثارت ضدى عاصفة شديدة فى المجلس توقفت معها عن الكلام لحظة قبل أن أستأنفه . فقد كان هناك شعور جارف من الإعجاب بالمحاولات التى يبذلها مستر تشمبرلين للمحافظة على السلام . ومحاولاته الشخصية فى هذا السبيل . ومن التعمذر على فى هذا الكتاب أن أترك الإشارة إلى سلسلة الأخطاء الطويلة التى جرت فى التقدير . وسوء التقدير للرجال والحقائق التى استند إليها . وإن كنت لا أنكر الدوافع التى دفعته إلى هذا السبيل الذى سلكه واستدعى أقصى ما يمكن من الشجاعة الأدبية ، وقد أثبتت على هذه الشجاعة بمد سنتين حين ألقى خطابى بمناسبة وفاته .

وكان فى استطاعة الحكومة أن تركز إلى حجة أخرى عملية واسكنها بالغة جد الخطورة . على الرغم مما فيها من تمييز بها فلا يستطيع أحد أن يفكر أننا لم نكن على استعداد لدخول الحرب ولكن هل كان ثمة من هو أسرع منى ومن أسدقنى فى إثبات هذه الحقيقة

لقد سمحت بريطانيا العظمى للقوة الجوية الألمانية بأن تتفوق على قوتها إلى حد كبير . فسائر مراكزنا المعرضة للهجوم تحتاج إلى الحماية . ولم يكن فى أكبر مدن العالم وأكثرها ازدهاما بالسكان أكثر من مائة مدفع مضاد للطائرات . وهى فى أيدى أناس غير مدربين على استخدامها . ولو أن هتلر كان صادقا وكان ما تم فى اتفاق ميونخ سلاما حقيقيا . فإن تشمبرلين يكون على حق أما إذا كان قد وقع فى خدعة لسوء الحظ . فإن علينا أن ننتهز فرصة هذا التوقف العاجل لنصاح ما كان من أهمالنا وأغلاطنا وكانت هذه الاعتبارات هى التى سيطرت على أفكار مؤيدى الحكومة . وأقر المجلس سياسة حكومة جلالة الملك التى تجنب الحرب فى الأزمنة الأخيرة ، بأغلبية ٣٦٦ صوتا إلى ١٤٤ ولم يستطع الثلاثون أو الأربعون نائبا من المحافظين المنشقين أن يفعلوا أكثر من تسجيل معارضتهم بالامتناع عن التصويت .

وانتخب رجل نسكرة رئيسا لما تبقى من حطام تشيكوسلوفاكيا هو الدكتور هاشا . وتسلمت حكومة جديدة زمام الحكم فى براج وقال وزير خارجية هذه الحكومة المهجورة « إن الأمور فى أوروبا وفى العالم بأسره لا تبشر بأمل فى قيام فترة طويلة من

الهدوء في المستقبل القريب » وكان هتلر يرى هذا الرأي نفسه وقد تم اقتسام الفناشم بصفة رسمية بين ألمانيا وبين الطامعين الآخرين في الأول من نوفمبر واحتلت بولندا مقاطعة تيشين دون أن يزعمها أحد . ونال السلوفاكيون الذين استخدموا كخواب القبط من لدن ألمانيا استقلالاً ذاتياً عجيباً . ونالت المجر قطعة من لحم الفريسة على حساب سلوفاكيا فلما أثبتت كل هذه المسائل في مجلس العموم أوضح المستر تشمبرلين أن العرض البريطاني والفرنسي بتقديم ضمانة دولية لتشكوسلوفاكيا وهى تلك الضمانة التى قدمت بعد اتفاق ميونخ لا تؤثر على حدود الدولة الحالية وإنما تشير إلى افتراض حدوث عدوان لم يسبق باستفزاز وقال وكأن الأمر لا يمتنع في كثير أو قليل : إن ما نراه الآن لا يعدو أن يكون تعديلاً للحدود التى وضعتها معاهدة فرساي . ولا أدري إذا كان الذين خطوا هذه الحدود كانوا يظنون أنها ستبقى ثابتة كما هى . وإنى لأشك كل الشك في أنهم قد تصوروا ذلك وإنما أعتقد أنهم قدروا أن هذه الحدود ستكون عرضة للتعديل من وقت لآخر . وأعتقد أننى قد قلت ما يكفى في موضوع تشكوسلوفاكيا ولكن الفرصة الأخرى كانت لا تزال في انتظاره .

وقد تردد كثيرا السؤال عن استفاد أكثر من غيره من السنة التى تلت اتفاق ميونخ في موضوع تدعيم القوة وتأيينها . أحجم الحلفاء وهتلر ؟ . وقد أحس كثيرون ممن يعتقدون بحاجتنا إلى الحماية الجوية بشمور من الارتياح عندما رأوا تطور قوتنا الجوية من شهر إلى آخر ومصانعنا تكاد تفتيح الأنواع الجديدة من طائرات هاريكين ونافاثات اللهب . وأخذت أسرابنا الجوية يزداد عددها ومدافعنا المضادة تتضاعف . ولكن هذا التقدم على ماله من أهمية يبدو قليل الأهمية إذا قورن بتسليح ألمانيا وقد أوضحت فيما سبق أن انتاج المعتاد على نطاق شامل يتطلب أربع سنوات من التخطيط .

في السنة الأولى لا يكون ثمة انتاج على الإطلاق وفي السنة الثانية يكون إنتاج قليل وفي السنة الثالثة انتاج كثير أما في الرابعة ففيها فيض من الانتاج . وكانت ألمانيا المهترئة قد وصلت إلى السنة الثالثة أو الرابعة من استمدها السكبير على حالة تشبه تماما حالة الحرب . أما بريطانيا فكانت تسير على أساس سلى مألوف لا أثر

- ١٩٣ -

فيه للطوارئ . وبمخازن أقل ونطاق أضيق . وقد بلغت نفقات بريطانيا الحربية سنة ١٩٣٨ - ١٩٣٩ في مختلف الأنواع نحو ٣٠٤ ملايين من الجنيهات إلى جانب (٢٣٤) مليوناً في العام السابق و ٣٦٧ مليوناً للعام الثاني والـ وخمسمائة مليون من الجنيهات لألمانيا . وقد تكون ألمانيا في السنة الأخيرة التي سبقت الحرب أنتجت ضعفين على أقل تقدير أو ثلاثة أضعاف مما لدى بريطانيا وفرنسا من عتاد مجتمعين كما وصلت مصانعها الضخمة التي تفتج الدبابات إلى أقصى مدى إنتاجها . ومن هذا يتبين أن ألمانيا كانت تجد السلاح الذي تريده بسرعة أشد من إنتاجنا .

وقد أدى إخضاع تشيكوسلوفاكيا إلى حرمان الحلفاء من قوة الجيش التشيكي وهي إحدى وعشرين فرقة نظامية وست عشرة فرقة للخط الثاني تم تمثيلها . وكذلك خطها الدفاعي الحصين الذي يتطلب خرقه أيام ميونخ ثلاثين فرقة ألمانية تشمل حركتها جميعاً . أو ما يعادل ثلث القوة الرئيسية للجيش الألماني الميكانيكي الكامل التدريب . وقد ذكر الجنرالان يودل وهولند أن ثلاث عشرة فرقة ألمانية بقيت في الغرب منها خمس فرق عندما وقع اتفاق ميونخ ولا شك أن خسارتنا بإنهيار تشيكوسلوفاكيا كانت تعادل ضياع خمس وثلاثين فرقة . يضاف إلى ذلك أن مصانع سكودا قد انتقلت بفعل ميونخ من جانبنا إلى جانب هتلر وهي تعد الثانية في الأهمية بين مصانع أوروبا الوسطى وكان إنتاجها ما بين شهر أغسطس سنة ١٩٣٨ وسبتمبر سنة ١٩٣٩ معادلاً لإنتاجه كل مصانع السلاح البريطاني في هذه الفترة .

وفي الوقت الذي كانت تعمل فيه ألمانيا تحت ضغط الجهود الحربية الشديدة ، كان العمال الفرنسيون قد حققوا منذ سنة ١٩٣٦ ما كانوا يريدون من العمل ستاً وثلاثين ساعة في الأسبوع .

وربما كان أساس الكارثة في التميز الشديد في النسبة بين الجيشين الفرنسي والألماني . فبعد سنة ١٩٣٨ كانت قوة الجيش الألماني في كل شهر تزداد لا في العدد والتشكيلات وتجنيد القوى الاحتياطية بل في التحسن والكفاية كذلك . وكان السير في التدريب والكفاية العامة يتمشى جنباً إلى جنب مع العتاد الذي يزداد

وينمو على الدوام . ولم يكن ذلك التقدم لفتح للجيش الفرنسى وهكذا ظل الجيش
الألماني بسابق الجيش الفرنسى فى كل ميدان .

وكان فى وسع فرنسا وحدها سنة ١٩٣٦ بغير مساعدة حلفائها السابقين أن
تغزو ألمانيا وتحتلها دون عناء كبير وبغير معارك جديّة وفى سنة ١٩٣٦ لم يكن هناك
شك فى تفوقها الكبير على ألمانيا وقد ظهر لنا الآن بعد انهيار ألمانيا من الأسرار
ما يدل على أن التفوق الفرنسى ظل حتى سنة ١٩٣٨ . وكان اعتقاد القيادة
الألمانية فى ضعف جيشها إلى جانب الجيش الفرنسى هو الذى جعلها تسمى لكبح
ججاج هتلر ومنعه من تلك الانتصارات التى أحرزها وعظمت بها شهرته حتى رفعت
إلى الذروة .

وفى السنة التى تلت ميونخ وهى موضوع دراستنا الآن أخذ الجيش الألماني على
الرغم من ضعفه فى موضوع الاحتياطى المدرب يقترب إلى القمة من كفايته .
ولما كان هذا الاحتياطى يستند إلى شعب يبلغ مقداره ضعف عدد الشعب الفرنسى ،
فقد أصبحت المسألة مسألة وقت ليصبح الجيش الألماني متفوقاً على منافسة الجيش
الفرنسى من سائر الدواحي . على أن الألمان كان لهم التفوق المعنوى أيضاً . لأن تخلى
أحد الحلفاء عن الجبهة المتحددة خشية الحرب يبعث الضعف فى القوى المعنوية لأى
جيش فضلاً عن الشعور بالحاجة والخضوع وماله من أثر فى ضعف معنويات
الضباط والجنود .

وكان الجانب الألماني يزدد حماساً كلما رأى النجاح الذى يحالفه والقوة العسكرية
التي تنمو وتزداد فتشتد عزيمته وتقوى روحه المعنوية بينما كان اعتراف فرنسا بضعفها
يفت فى عضد جودها على مختلف رتبهم ويحط من معنوياتهم .

ولكن كان هناك ميدان حيوى واحد بدأنا نلاحق فيه ألمانيا ونحسن مركزنا
باطراد . ففي سنة ١٩٣٨ بدأنا نستبدل الطائرات المقاتلة ذوات المحركين من أمثال
« الفلاد بيغورز » بأنواع جديدة من طائرات الهاريكين والسبتيفاير . وفى سبتمبر
سنة ١٩٣٨ لم يكن عندنا إلا خمس أسراب من طائرات هاريكين وفى أثناء ذلك

- ١٩٥ -

توقف لإنتاج قطع الغيار والاحتياطي من أنواع الطائرات القديمة . بعد أن أصبحت غير صالحة للاستعمال . وكان الألمان قد سبقونا كثيراً في إنتاج الطائرات المقاتلة الحديثة وأصبح لديهم عدد كبير من طائرات السرشميث ١٠٩ التي تقف أمامها طائراتنا القديمة عاجزة عن العمل . وقد تحسن وضعنا سنة ١٩٣٩ إلى حد يعيد بعد أن ألقت أسراب جوية جديدة . وفي يولية من تلك السنة أصبح لدينا ستة وعشرون سرباً من المقاتلات الحديثة ذات الثمانية مدافع . مع أن الوقت لم يكن كافياً لبناء عدد يكفي من الطائرات الاحتياطية وقطع الغيار .

فلما حل شهر يولية سنة ١٩٤٠ ووقعت معركة بريطانيا كان عندنا سبعة وأربعون سرباً من أحدث المقاتلات .

وكان الألمان كذلك قد وصلوا إلى ما يبغون من التوسع الجوى عدداً وعدة قبل بدء الحرب . وكان مجهودنا متأخراً عنهم قرابة عامين . ولكنهم لم يحققوا في سنتي ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ إلا زيادة بسيطة تباعث المشرين في اللأمة بينما كانت زيادتنا في الطائرات الحديثة تباعث ثمانين في اللأمة . وفي سنة ١٩٣٨ كنا متأخرين عن ألمانيا وعلى الرغم من أننا قطعنا سنة ١٩٣٩ مرحلة كبيرة في طريق المساواة إلا أننا كنا أسوأ بكثير من وضعنا سنة ١٩٤٠ عند ما جاءت ساعة التجربة .

وكان متوقفاً أن تتعرض مدينة لندن سنة ١٩٣٨ لغارات جوية لم نكن على استعداد لها بصورة مؤلمة . ولكن لم يكن ثمة ما يحملنا نعتقد أن في الإمكان وقوع معركة حاسمة للسيطرة على بريطانيا قبل أن يتمكن الألمان من احتلال فرنسا والأراضي المنخفضة وتأمين القواعد الجوية لتكون على المدى الذي يمكنها من إطلاق النار والإغارة على شواطئنا .

ولم يكن في مقدور ألمانيا دون هذه القواعد أن تبعث بطائراتها المقاتلة لتضرب القاذفات في غاراتها علينا في تلك الأيام ، ولم يكن في استطاعة ألمانيا أن تهزم جيش فرنسا في سنتي ١٩٣٨ و ١٩٣٩ .

ولم يقم لألمانيا الإنتاج الهائل من الدبابات التي اسقطت بها أن تحطم الجبهة

الفرنسية إلا في سنة ١٩٤٠ . ومن ثم لم تستطع ألمانيا وأمامها التفوق الفرنسي في الغرب ووراءها بولندا التي لم تخضعها في الشرق ، أن تركز كل قوتها الجوية ضد بريطانيا كما تم لها ذلك بعد أن أرغمت فرنسا على الإذعان والاستسلام .

ولم يعمل حساب روسيا بالطبع في هذه المقارنة . أو ما يمكن لتشكوسلوفاكيا أن تقوم به من مقاومة . لذلك فإن سياسة أخذ النفس « التي كثيرا ما كان يقال إن اتفاق ميونخ قد أتاحها لنا قد خلفت بريطانيا وفرنسا في وضع أسوأ إذا ما قورن بوضع ألمانيا المحتلة عند وقوع أزمة ميونخ » .

وأخيراً فهناك حقيقة أخرى تدعو إلى الدهشة فقد استطاع هتلر في سنة واحدة وهي ١٩٣٨ أن يضم إلى الرايخ وتحت سيطرته المباشرة ستة ملايين وسبعمائة وخمسين ألف نساً وثلثة ملايين وخمسمائة ألف سوديتي أى عشرة ملايين من الرعايا العمال والجنود ولا شك أن هذه الحقيقة قد قلبت الميزان إلى صالحه إلى حد كبير .

براغ، ألبانيا، وضمانة بولندا

ما كاد ينتهى شعور الارتياح الذى تتمتع به المستر تشمبرلن وحكومته بعد اتفاق ميونخ حتى ظهرت مشكلة حادة جديدة .

كان رئيس الوزراء قد أعلن رأيه « بأن السلام سيدوم هذا الجيل » لكن أكثر زملائه من أعضاء الحكومة . رأوا الإفادة فى هذه الفترة للتعجيل بالسلح . وهنا وقع خلاف فى صفوف الحكومة . فقد دعا الفزغ الذى أثارته أزمة ميونخ . وما تبعه من كشف مواضع الضعف فى أوضاعنا إلى العمل على التسامح السريع . وقد قوبل هذا بالنقد الشديد من جانب الحكومة الألمانية ومخافتها الموجهة . وعلى الرغم من دوافع السرور التى عمت البلاد لتفادى الحرب بفضل رئيس الوزراء فإن الشعور بالحاجة إلى السلاح كان شديداً وقد أخذت وزارات القوات المسلحة تتقدم بمطالبها معلنة عن مظاهر النقص الفزعة التى كشفت الأزمة عنها . وقد توصل بحاس الوزراء إلى حل وسط مقبول لاتخاذ كل ما يمكن من استعداد دون تعريض تجارة البلاد للخطر وبغير استفزاز للألمان والإيطاليين .

وكان المستر تشمبرلن لا يزال يعتقد أن فى استطاعته أن يحدث تحسنا بارزا فى الوضع عن طريق اتصاله بالديكتاتورين ولم يكن فى حسابه أنهما قد حزما أمرهما . وقد اقترح أن يقوم هو ولورد هاليفاكس بزيارة إيطاليا فى أوائل شهر يناير . وقد وصلتته الدعوة بعد تريت وتردد من موسوليني فسافر هو ووزيره فى الحادى عشر من يناير سنة ١٩٣٩ حيث تم الاجتماع وإن الإنسان ليحمر وجهه خبيلا عندما يقرأ فى مذكرات تشيانو ما كان يقال فى إيطاليا من خلف الستار عن بلادنا وممثلها فقد كتب تشيانو يقول : كنا ننظر إلى الزيارة على أنها مسألة ثانوية ، ولذا لم تجر أية اتصالات إيجابية . ما أبعدنا عن هؤلاء الناس اننا فى عالمين مختلفين . وقد تحدثنا إلى الدوتش فى ذلك فقال : إن هؤلاء الناس ليسون الطينة التى أنبتت فرنسيس دريك وغيره من المعاصرين البارزين الذين أقاموا الامبراطورية . وإنما هم الذرية المنحطة (٢ - مذكرات)

لسلسلة من الأرباء المترفين « ومضى شيانو في يومياته يسجل » أن البريطانيين لا يريدون أن يحاربوا . ويحاولون أن يتراجعوا بخطى وثيدة . ولكنهم لا يريدون القتال . وقد انتهت محادثاتنا مع البريطانيين دون أن تصل إلى تحقيق شئ ، وقد تحدثت تليفونيا إلى رينفروب لأقول له إن المحادثات كانت فاشلة ولكنها لاخير منها « ويمودتشيانو ويكتب بعد أسبوعين « قدم السفير البريطاني الخطوط العريضة للخطاب الذى سيلقيه المستر تشمبرلن فى مجلس العموم للموافقة عليه وإبداء مايريد من مقترحات أو تبدلات بشأنه . وقد وافق الدوتشى على الخطاب . وعلق عليه قائلا : هذه أول مرة يقدم فيها رئيس حكومة بريطانية مسودة خطابه إلى حكومة أخرى وهذه ظاهرة لا تبشر بخير لهم ولكن تشيانو وموسوليني هما اللذان ذهبا إلى مصيرهما المحتوم . وفى خلال ذلك أى فى شهر يناير ١٩٣٩ كان رينفروب قد سافر إلى وارسو ليواصل هجومه الدبلوماسى على بولندا . فضم تشكوسلوفاكيا يجب أن يتبعه الاحاطة ببولندا . وكانت المرحلة الأولى ترمى إلى عزل بولندا عن البحر بقتيبت سيادة ألمانيا على دانزج والتوسع فى اشراف ألمانيا على سواحل البلطيق حتى ميناء ميمل الليتوانى . وقد أبدت الحكومة البولندية مقاومة شديدة لهذا الضغط . وكان هتلر فى أثناء ذلك برقب تطور الأمور ينتظر حلول الفصل الصالح للهجمات العسكرية وانتشرت الأخبار فى الأسبوع الثانى من شهر مارس عن تحركات عسكرية واسعة النطاق تقوم بها الجيوش الألمانية فى ألمانيا والنمسا لاسيا فى منطقة فيينا - سالتزبرج . وقيل إن أربعين فرقة ألمانية قد احتشدت واصبحت متأهبة للمركة . وكان السلوفاكيون ، بعد أن تأكدوا من مساعدة ألمانيا يضمعون الخطط لفصل بلادهم عن الجمهورية التشكوسلوفاكية وقد شعر الكولنيل بيك وزير خارجية بولندا بالارتياح حين رأى الرياح التيونونية تهب فى انجاء آخر : فأعلن فى وارسو أن حكومته تعطف كل العطف على آمال السلوفاكيين واستقبل هتلر فى برلين الأب تيسو الزعيم السلوفاكى بالمظاهر التى اعتاد أن يقابل بها رؤساء الوزارات . وعند ماسشل المستر تشمبرلين فى الثانى عشر من شهر مارس عن الضمانة المطاة لتشكوسلوفاكيا وحدودها ذكر المجلس بأن هذه الضمانة مقرونة بشرط العدوان الذى لم يستغز ولم يكن وقع عدوان بعد ولكنه وقع بعد وقت قصير .

وانتشرت موجة من التفاؤل المضلل في سائر أنحاء بريطانيا في شهر مارس سنة ١٩٣٩ . وعلى الرغم مما كانت تمنيه تشكوسلوفاكيا من الضغط الألماني الشديد خارج البلاد وداخلها . فإن الصحف البريطانية التي دبرت اتفاق ميونخ لم تكن قد قدمت ثقتها بالسياسة التي جرت إليها البلاد وقد ألقى وزير الخارجية في العائير من شهر مارس خطابا في دائرته الانتخابية عن أملة في مشروع خمس سنوات لأجل السلم يؤدي في النهاية إلى خلق العصر الذهبي . وكان يجري البحث في ذلك الوقت لمعاهدة تجارية مع ألمانيا .

ونشرت صحيفة « بنش » الأسبوعية المشهورة رسما كاريكاتوريا يصور جون بول . وقد أفاق من كابوس مرعب وقد تهددت الشائعات والتشكوك والأوهام وطارت من النافذة .

وفي نفس اليوم الذي نشرت فيه هذه الصورة . وجه هتلر إنذاره النهائي إلى الحكومة التشكوسلوفاكية الهزيلة التي أفقدتها قرارات ميونخ خطوطها الدفاعية المحصنة . وزحفت الجيوش الألمانية إلى براغ وسيطرت على الدولة التي لم تقاوم . وأذكر أنني كنت أجلس في حجرة التدخين مع المستر إيدن عندما أصدرت الصحف المسائية ملاحظتها لتسجيل هذه الحوادث . وقد كان هذا العدوان السافر بما فيه من عنف ومفاجأة موضع دهشة لدى الجميع حتى نحن الذين لا نجرى وراء الخيال . والذين كنا ننتظر هذه التطورات ولم يكن يخطر ببال أي إنسان أن حكومة جلالة الملك بكل مالدتها من أجهزة المخابرات ستفاجأ بهذا العمل . وقد شهد اليوم الرابع عشر من شهر مارس انحلال الجمهورية التشكوسلوفاكية وعبوديتها ، وسرعان ما أعلن السلوفاكيون استقلالهم . واجتازت القوات المجرية تشد أزرها بولندا بصورة سرية الحدود إلى المناطق الشرقية من تشكوسلوفاكيا أو ما يسمى بالكرايات . - الأوكرانية التي كانت الجزر تطالب بها . - ووصل هتلر إلى براغ يعلن فرض حماية ألمانيا على تشكوسلوفاكيا التي ضمت إلى الرايخ . وقد وجد المستر شيرلن نفسه مضطرا إلى التحدث في مجلس العموم في الخامس عشر من شهر مارس فقال : « في الساعة السادسة من صباح هذا اليوم بدأ احتلال القوات العسكرية الألمانية لبوهيميا » وقد أصدرت

الحكومة التشكية أوامرها إلى شعبها بعدم المقاومة . ومضى يوضح للمجلس أن الضمان الذي كان قد قدمه إلى تشكوسلوفاكيا لم يمد صالحاً فقد تغير الوضع تماماً منذ أعلن مجلس الدايت السلوفاكي استقلال سلوفاكيا وأنهى هذا الإعلان ما اعتزمناه من ضمانه حدودها . لهذا فإن حكومة جلالته لا تجد نفسها بعد ذلك مرتبطة بهذا الالتزام .

وقال في ختام خطابه الحاسم : « ومن الطبيعي أن أجد نفسي أسفا لما حدث ولكن هذا الأسف لا يصبح أن يحولنا عن طريقنا وعلينا أن نذكر أن العالم أجمع يرغب في السلام » .

وكان مقررأ أن يلقى المستر تشمبرلين خطاباً آخر بعد يومين في برمنجهام . وكنت أنتظر منه أن يقبل ما حدث بكثير من التسامح فقد كان يظن أنه قادر على تفهم طبيعة هتلر كل الفهم وخيل إليه أنه يستطيع بشيء من الدهاء أن يقيس الذي اتى يذهب إليه هتلر وقد اعتقد أن اجتماع ميونخ كان لقاء للعقول وأنه هو وهتلر وموسوليني قد استطاعوا إنقاذ العالم من ويلات الحرب وواضح أن هذا الاعتقاد وما نشأ عنه من أعمال وأقوال قد تبدد فجأة وكأنه لم يكن . فتبين له أنه خدع نفسه وفرض أخطائه على زملائه الخاضعين وعلى الرأي العام البريطاني المسكين وسرطان ما انقلب على ماضيه وتفكر له . وإذا كان تشمبرلين قد أخطأ فهم هتلر . فإن هتلر قد ضعف تقديره لضيفه رئيس الوزراء . فقد أخطأ في مظهره المسالم ورغبته الشديدة في السلام . وبعدها جزءاً بارزاً من شخصيته . وقد جعل من مظلمته رمزاً لهذه الشخصية . ولم يحطر لهتلر أن لفيصل تشمبرلين إلى جانب هذا طبيعة صلبة قاسية وأنه عمت من يخدمه .

وقد جاء خطاب برمنجهام يمزج على نفمة جديدة : فوجه اللوم الشديد إلى هتلر واتهمه بالفتكر لوعوده وعهوده التي قطعها في اتفاق ميونخ . وعدد التأكيدات التي صدرت عن هتلر مثل قوله « هذا آخر مطلب أقليمي لي في أوروبا » أو قوله « لم يمد يعني شأن الدولة التشيكوسلوفاكية وأستطيع أن أضمن حدودها . إننا لا نريد في بلادنا تشيكيين » ومضى رئيس الوزراء يقول « وإنى على اقتناع بأن الغالبية

العظمى من الشعب البريطاني بعد ميونخ كانت تشترك معى فى الرغبة الصادقة فى السير بهذه السياسة نحو الأمام . أما اليوم فأنا أشارك الشعب خيبة أمله وحنقه لتدهور هذه الآمال فكيف نستطيع أن نوفق بين أحداث هذا الأسبوع وبين التأكيدات التى تلوتها عليكم ! ولا أدري أهذا آخر هجوم على دولة صغيرة أم أن هجمات أخرى ستقبمه ؟ وهل هذا الهجوم خطوة لفرض السيطرة على العالم بالقوة ؟ وليس من اليسير علينا أن نتصور من التناقض ما هو أشد من هذا الذى يبدو بين خطاب اليوم وبين موقف رئيس الوزراء وسياسته فى الخطاب الذى ألقاه قبل يومين فى مجلس العموم . ولا شك أنه فى هذين اليومين قد اجتاز فترة من الإجهاد العصبى العنيف . ولم يقف التغير الذى طرأ على تشمبرلن عند حدود الكلمات . وكانت الدولة الصغيرة التالية فى حساب هتلر هي بولندا ولم يضع المستر تشمبرلن وقته سدى فى استشارة من يجب عليه استشارتهم وفى الحادى والثلاثين من شهر مارس أعلن فى البرلمان ما يلى :

« إذا وقع أى حادث يهدد استقلال بولندا ويضطرها إلى مقاومته بقواتها الوطنية . فإن حكومة جلالته تجد نفسها مضطرة إلى أن تقدم - فى الحال - إلى الحكومة البولندية كل مساعدة تستطيعها . وقد أرسلت حكومة جلالته مثل هذا التأكيد إلى حكومة بولندا » .

« وأريد أن أضيف أن الحكومة الفرنسية صرحت لى بأن أوضح أنها تقف نفس الموقف الذى تقفه من هذه المسألة وقد أعلنت هذا القرار إلى سائر حكومات الدومينيون ولم يمد الوقت سالحا لتبادل التهم فيما يتعلق بالماضى فقد أيد زعماء الأحزاب جميعها فى المجلس الضمان الذى قدمته الحكومة إلى بولندا .

وعلمت أنا بقولى « بمون الله لن يكون ثمة بد من أن نعمل هذا » فقد كان هذا العمل أمرا لا مفر منه بالنسبة إلى النقطة التى وصلنا إليها . ولكن كل من كان يدرك الموقف لم يكن يشك فى أن هذا الضمان يعنى حربا عالمية على كافة الاحتمالات .

وهكذا وصلنا إلى الثاية القصوى فى أمر هذه الأحكام الخاطئة التى وقم فيها أنا من أكفاء حسنو النية ولا شك أن وقوعنا فى هذا المأزق يحمل المسئولين عنه

مهما خلصت بيتهم . ملومين أمام التاريخ . ولنعد إلى الخلف لئرى ما قبلناه وما تركناه .

كانت ألمانيا متزوعة السلاح بحكم معاهدة قوية حاسمة . ثم سلحت نفسها متحدية هذه المعاهدة . ثم تخلفنا عن تفوقنا الجوى وحتى عن تملدنا معها . ثم احتلال منطقة الراين بالقوة وإقامة تحصينات سيجفريد ثم إقامة محور رومة - برلين وابتلاع النمسا والتخلى عن تشيكوسلوفاكيا وتخطيطها فى اتفاق ميونخ بوقوع خط دفاعها المحصن فى أيدى الألمان وانتقال مصانع سلاحها العظيمة فى شكودا إلى الجانب الألمانى لتقوم بصنع الذخائر للجيش . وتجاهل المحاولة التى قام بها الرئيس روزفلت لإيجاد الاستقرار فى أوروبا أو العمل على إيجاد طريق تدخل الولايات المتحدة . وإهمال الرغبة الصادقة للاتحاد السوفيتى للاشتراك مع الدول القريبة والمضى إلى أبعد الحدود لإنقاذ تشيكوسلوفاكيا . وإضاعة خمس وثلاثين فرقة تشيكوسلوفاكية كان من الممكن استعمالها ضد الجيش الألمانى الذى لم يستوف نصيبه وإعداده . فى حين لم يكن فى استطاعة بريطانيا العظمى نفسها أن تقدم إلى فرنسا أكثر من فرقتين لثقوية جبهتها وكل هذه أمور ذهبت مع الرياح .

والآن بعد أن ذهبت هذه الزايا وتبددت تقبل بريطانيا وتقدم الصفوف وتقود فرنسا من يدها لتقدما معاً الضمان الواجب لحماية حدود بولندا . وهى الدولة نفسها التى كانت لها شهوة الضبع واشتركت قبل ستة أشهر فقط فى تدمير الدولة التشيكوسلوفاكية سنة ١٩٣٨ ولم يكن فى وسع الجيش الألمانى أن يحشد أكثر من ست فرق مدربة على الجدار الغربى . بينما كان فى استطاعة فرنسا أن تحشد ستين أو سبعين فرقة . ترحف بها على الراين أو الرور على الأقل . ولكن مثل هذا العمل اعتبر فى ذلك الوقت تهوراً وتسرعاً وبعيداً عن المنطق والتعقل : وزولا عن المستوى من ناحيتى الفكر والأخلاق . ولكن الدولتين الديمقراطيتين جاءتا تملنان الآن استعمالهما للتضحية دفاعاً عن سيادة بولندا الإقليمية .

ولو بحثنا فى بطون التاريخ عن حادث مماثل لهذا التغيير الفجائى لسياسة ظلت تعمل خمس سنوات أو ست للتهدة المستكنة الخاضعة ثم تحولت بين يوم

وليلة إلى سياسة تقبل الحرب الواضحة التي لا محالة منها ، في ظروف أسوأ وأتمثل ،
لما وجدنا مثيلا لهذه السياسة على الإطلاق .

وثمة شيء آخر . إذ كيف نستطيع أن نحمل بولندا . وأن نفق بتمهلاتنا . لاسبيل
لنا إلى ذلك إلا بإعلان الحرب على ألمانيا ومهاجمة جدار غربي أصبح أقوى مما كان
عند تراجعنا في سبتمبر سنة ١٩٣٨ ويدافع عنه جيش ألماني أشد قوة وصلابة إن
هناك قائمة كبيرة من حوادث الاستسلام حين كان كل شيء هينا وسهلا . بنمو قوة
ألمانيا وتضخمها .

أما الآن فقد جاء دور الانتهاء من سياسة الخدوع التي اتبعها البريطانيون
والفرنسيون . واتخذ القرار الواجب ولكن في أسوأ الظروف وعلى أسس أقل من
التي سبقتمها وتؤدي ولا شك إلى ذبح عشرات الملايين من الأنفس وهكذا نرى أن
القضية الحقة المادلة قد برزت أخيراً في معركة مهلكة عن هزم وتصميم سابقين وبعد
تزويق من الفن المقلب وبعد أن فقدت هذه القضية الكثير من مزاياها بسبب
التفريط وسوء التصرف .

فإذا تخلفت عن القتال في سبيل الحق وكل وسائل النصر في يدك . وكان
فوزك مؤكداً قليل التكاليف . فقد تجد نفسك مرغماً على القتال وسائر القوى المضادة
تتألب عليك ولا تجد أمامك إلا أملاً ضعيفاً في البقاء .

وما زال هناك وضع أسوأ فقد ترغم على القتال وليس لك أمل في النصر . فن الخير
للإنسان أن يموت كريماً ولا يعيش عبداً ذليلاً .

وكان البولنديون قد كسبوا مقاطعة تيش بعد موقفهم الخزي من تصفية الدولة
التشييكوسلوفاكية . ولكن ما أسرع أن وجدوا أنفسهم في موقف يحتم عليهم أن
يدفعوا العزم فلما استقبل ريبنتروب في الحادي والعشرين من شهر مارس سفير بولندا
في برلين . كانت لهجته أكثر حدة من المرات السابقة فقد أدى احتلال بوهيميا
وخلق دولة سلوفاكيا التابعة لألمانيا إلى وصول الجيش الألماني إلى حدود بولندا
الجنوبية وقد أوضح السفير أن رجل الشارع البولوني لا يستطيع أن يدرك لماذا أخذ

الراجح على نفسه أمر حاية لدولفا كيا تلك الحماية التي لا تحمل أى معنى عدائى ضد بولندا .

وطلب السفير معلومات عن المحادثات الأخيرة التي دارت بين ريبنتروب وبين وزير خارجية ليتوانيا . وهل تتناول ميناء ميميل ، وقد تلقى الرد على سؤاله بعد يومين أى فى الثالث والعشرين من شهر مارس حين احتلت القوات الألمانية ميناء ميميل ولم يبق هناك وسيلة لوقف المدوان الألمانى فى أوروبا الشرقية فالجر إلى جانب ألمانيا . وكانت بولندا قد وقفت بمنأى عن تشيكوسلوفا كيا ولم تكن على استعداد للتعاون مع رومانيا ، ولم تكن بولندا أو رومانيا ترضيان لروسيا بالتدخل ضد ألمانيا عن طريق أراضيها . وكان مفتاح التحالف هو الوصول إلى تفاهم مع روسيا ، واقترحت الحكومة الروسية فى التاسع عشر من مارس . تحت عوامل التأثير بما دار ويدور — على الرغم من بقائها بعيدة عن اجتماع ميونخ — أن يمد مؤتمر جديد للدول الست . وكانت المستر تشمبرلن آراؤه الخاصة المقررة فى هذا الشأن فقد ذكر فى رسالة شخصية أنه « يعترف فى أعماق نفسه بعدم الثقة بروسيا » ومضى يقول « وإنى لا أعتقد مطلقاً بأنها تستطيع القيام بهجوم فعال حتى لو أرادت ذلك فضلاً عن أننى لا أثق بدوافعها . ويظهر لى أنها لا تمت بقليل أو كثير بأفكارنا عن الحرية . وكل ما يستهويها هو أن تمسك بالآخرين من آذانهم . وهى فوق هذا مكروهة من معظم الدول الصغرى وفى مقدمتها بولندا ورومانيا وفنلندا » .

وعلى هذا فقد استقبل الاقتراح السوفياتى الذى يدهو إلى عقد مؤتمر سداسى بفتور أدى إلى فشله .

وأخذت تختفى آمال الدوائر البريطانية الرسمية فى احتمال إخراج إيطاليا من المحور . تلك الآمال التى كانت بريطانيا تضمها فى حساباتها ، وألقى موسوليني فى السادس والعشرين من شهر مارس خطاباً شديداً أكد فيه مطالب إيطاليا من فرنسا فى البحر الأبيض المتوسط وفى بحر السابغ من شهر أبريل سنة ١٩٣٩ نزلت القوات الإيطالية فى ألبانيا وقد سيطرت على سائر البلاد بعد اشتباكات قصيرة . وكما كانت تشيكوسلوفا كيا نقطة ارتكاز للمدوان على بولندا فقد رأى أن تكون

ألبانيا نقطة لاعتداءات مقبلة على اليونان - وشمل يوغسلافيا ومنعها من الحركة . وكانت بريطانيا قد التزمت بضمان السلام في الشمال الشرقي من أوروبا فاعسى أن يكون موقفها من الخطر الجديد من الجنوب الشرقي ؟ لقد سمح للأسطول البريطاني الذي كان يستطيع أن يقف الايطاليين عند حدهم في البحر الأبيض المتوسط بالانصراف وبدأت باخرة السلام تتعرض للقوب من كل ناحية . وفي الخامس عشر من أبريل . وبعد إعلان الحماية الألمانية على بوهيميا ومورافيا اجتمع جورجيج موسولينى وتشيانو في روما لشرح لها التقدم الذى وصلت إليه استعدادات ألمانيا في طريق الحزب .

وفي نفس اليوم بعث الرئيس روزفلت برسالتين شخصيتين إلى هتلر وموسولينى حثهما فيهما على أن يتمهدا بعدم القيام بأى عدوان جديد لمدة عشر سنوات « أو خمس وعشرين سنة إذا كنا نريد أن نتطلع للامام » وقد رفض موسولينى في البداية أن يطلع على الرسالة وقد علق عليها بعد الاطلاع « إنها عمرة شلل الأطفال » ولم يدر بخلده أنه سيساق فيما بعد إلى آلام أشد من شلل الأطفال .

واتخذ رئيس الوزراء في السابع والعشرين من شهر إبريل الخطوة الحاسمة بتقرير الخدمة العسكرية الإلزامية . على الرغم من تأكيداته سابقا بأنه لا يتخذ مثل هذا الإجراء . ويرجع الفضل في هذه اليقظة التأخيرة إلى المستر هوربليشا وزير الحربية . وقد قام كما يبدو بحياته السياسية في هذا الشأن إذ كانت المقابلات المديدة التى تمت بينه وبين رئيسه في هذا الشأن متسمة بالصراحة والعنف . وقد رأيته كثيراً في خلال هذه الفترة وكان دائماً الاعتقاد بأن اليوم الذى كنت أراه فيه هو آخر أيامه في الوزارة

ولم يكن إدخال التجنيد الإجبارى في جيشنا ليؤدى إلى تأيين جيش لنا . فقد طبق هذا القانون على الشبان الذين يبلغون سن العشرين . وكان عليهم أن يجتازوا فترة عن التدريب وكان على الحكومة بعد ذلك أن توفر لهم السلاح اللازم . ولكن هذه الإيلاء الرمزية كانت لها الأهمية الكبرى بالنسبة لفرنسا وبولندا وغيرها من الدول التى أغرقناها بضماناتنا ووعدونا . وقد توانت المعارضة في المناقشة العامة

التي دارت في مجلس العموم عن أداء الواجب . وتخوف حزبا العمال والأحرار من مواجهة الكراهية العميقة الشديدة في إنسكلترا للخدمة العسكرية الإجبارية .

ووجد زعمائهما البررات اللازمة لمعارضة هذه الخطوة . ولا شك أن هؤلاء الزعماء قد ساورهم الألم لاضطرارهم إلى الوقوف هذا الموقف الذي أملىته عليهم الأهواء الحزبية ولكنهم اتخذوه على كل حال ووجدوا البررات الحزبية التي تملئهم . فلما أجرى الاقتراح في المجلس وجد الانقسام على أسس حزبية وتمكن المحافظون من تأييد سياستهم بأغلبية ٣٨٠ صوتا إلى ١٤٣ ، وقد بذلت كل ما أستطيع من محاولات في الخطاب الذي ألقيته لإفناع المعارضة بتأييد هذا الأجراء الذي لا مفر منه ، ولكن محاولاتي كلها ذهبت سدى وقد أدركت حرج موقفهم « سيا و هم يواجهون حكومة يمارسونها كل المعارضة » ورأيت من واجبي تسجيل هذا الحادث لأنه يحرم أنصار الأحرار والعمال كل حق في لوم الحكومة إذ ذاك ، فقد كانوا يقيسون آراءهم بالنسبة للحوادث بسذاجة وبساطة ، ولكن سرعان ما وجدوا أنفسهم في حال تحتم عليهم أن يقيسوا الأمور بمقياس صادق جديد .

واشتركت في مارس مع المستر إيدن ونحو من ثلاثين نائبا محافظا في تقديم مشروع قرار إلى المجلس يدعو إلى تأليف حكومة قومية .

وظهرت حركة قومية طوال الصيف تدعو إلى تأييد هذه الفكرة أو إلى إدخالها أنا والمستر إيدن في الوزارة . وأحس السير ستافورد كرييس في موقفه المستقل عن الأحزاب بالقلق الشديد للأخطار التي تهدد الوطن .

وقد زارني وزار عددا من الوزراء ليدعوا إلى تأليف حكومة « تضم الجميع » ولم أكن أستطيع أن أتحمل شيئا ولكن المستر ستانلي وزير التجارة . تحمس للفكرة كل الفهمس . وكعب إلى رئيس الوزراء يعرض منصبه الوزاري . إذا كان يأمل إعادة تأليف الحكومة على أسس جديدة واكتفى المستر تشمبرلين بإشعاره يتسلم الكتاب بصفة رسمية

وأخذت سائر الصحف تقريبا مع مرور الأيام وفي مقدمتها الديلي تلغراف والمانشستر جارديان تنشر هذا الرأي وتطالب به بالحاح . وقد أدهشني ما رأيت فيه

من تكرار يومى للحملة وبدأت ألوف اللافتات فى أماكن مختلفة من العاصمة تحمل شعار « تشرشل يجب أن يعود » وكان عشرات المقطوعين من الشباب والفتيات يحملون شعارات مماثلة يدورون بها جيئة وذهابا أمام مجلس العموم . ولم يكن لى شأن بهذه الطرق . ولكن لو طاب منى فى ذلك الوقت أن أشترك فى الحكم ما ترددت . ويظهر أن حظى الطيب قد أراد أن يكون حليفى فى هذه الفترة أيضا وظلت الأمور تسير إلى نتائجها الطبيعية والمنطقية المعروفة .



على أبواب الحرب

وصلت العلاقات بين بريطانيا وألمانيا إلى حد يهدد بانقطاعها . ونحن نعرف أن العلاقات بين البلدين لم تكن صادقة منذ تولى هتلر الحكم . وغاية الأمر أنه حاول أن يلزم بريطانيا بالإقناع أو الإرهاب على أن تطلق يده في أوروبا الشرقية . في حين حاول تشمبرلين تهدئته وإصلاحه والرجوع به إلى النهج السليم . لكن الوقت قد حان أخيراً لتمود الحكومة البريطانية إلى نفسها وتصد عن كل أمل لها في هذا الشأن .

وقد اقترح مجلس الوزراء أخيراً بأن ألمانيا النازية جادة في سبيل الحرب . فبادر رئيس الوزراء بالضمانات وعقد الأحلاف يلقيها حيث شاء دون دراسة صحيحة للمون الذي نستطيع أن قدمه لتلك البلاد . وفضلاً عن الضمان الذي قدمه لبولندا وجدناه يعطى ضماناً مماثلاً على اليونان ورومانيا ويمقد حلفاء مع تركيا .

ولنعد بذنا كرتنا إلى تلك القصة التي دفع المستر تشمبرلين هتلر إلى توقيعها في ميونخ . والتي عاد يلوح بها للجهاير المحتشدة من الشعب . بعد مغادرة الطائرة التي في مطار هيستون . وكان اعتماده في هذه الورقة على الارتباطين القائمين بينه وبين هتلر وبين بريطانيا وألمانيا وهما اتفاق ميونخ والماهدة البحرية بين بريطانيا وألمانيا . وقد قضى على الارتباط الأول إخضاع هتلر تشيكوسلوفاكيا ، أما الثاني فقد تخلص منه في الثامن والعشرين من شهر إبريل . ثم أعلن إلغاء ميثاق عدم الاعتداء الموقع بين ألمانيا وبولندا . متخذاً ضمان بريطانيا لها سبباً لهذا الإلغاء .

وقد أصبح حتماً على الحكومة البريطانية أن تعجل بدراسة الوسائل العملية لتنفيذ ضماناتها لبولندا ورومانيا ، ولم يكن لهاتين الضمانتين قيمة من الناحية العسكرية إلا إذا دخلتا في دائرة اتفاق عام يعقد مع روسيا . ولتحقيق هذه الغاية تقرر أن تبدأ المحادثات في موسكو في الخامس عشر من إبريل بين السفير البريطاني والسيو لتفنينوف .

وإذا نظرنا بعين الاعتبار إلى الطريقة التي اتخذت مع الحكومة السوفياتية في

الماضى ، اتضح لنا أنه لم يكن ينتظر منها الآن الشيء الكثير ، ومع ذلك فقد عرض الروس بصفة رسمية في السادس عشر من شهر أبريل مشروعا لم تنشر نصوصه ، لإيجاد جبهة متحدة للتعاون المشترك تضم بريطانيا العظمى والاتحاد السوفياتى وفرنسا على أن تقوم هذه الدول الثلاث وبولندا معها إذا أمكن ، بتقديم الضمانات اللازمة لأوروبا الشرقية والوسطى المهددة بخاطر العدوان الألماني .

وكانت العقبة في طريق هذا الاتفاق هي خشية هذه الدول نفسها من تلقى العون الروسى في جيوش سوفياتية ترحف نحو أراضيها للدفاع عنها ضد الألمان ومن ثم تضمها إلى النظام الشيوعى السوفياتى ، الذى كانت هذه الدول في المقدمة من معارضيه ولم تكن بولندا ورومانيا وفنلندا ودول البلطيق تدرى أى الناحيتين تتق : العدوان الألمانى أم العون الروسى . ولعل هذا الموقف الخيف للاختيار بين الناحيتين هو الذى شل حركة السياسة البريطانية والفرنسية وأفعداها .

ولا ريب — على ضوء ماحدث فيما بعد أن الأمر كان يحتم على بريطانيا وفرنسا أن تقبل العرض الروسى ، وأن تعلنا تأليف التحالف الثلاثى ، وتجملا طريقة التطبيق في حالة نشوب الحرب . محتملة التعديل بين الحلفاء المتضامنين في الحرب ضد العدو المشترك .

ففي ظروف الحرب تتحكم ظروف وعوامل مختلفة كل الاختلاف ، فيميل المتحالفون إلى التساهل فيما بين بعضهم من رغبات حتى لا يسيطر على الجبهة إلا صوت المركة . ويقبل الكل أمورا كانوا يكرهونها وقت السلم . ولم يكن من السهل في حلف كبير كهذا الحلف الذى كان مقوقما أن يدخل أى حليف أراضى خليف آخر إذا لم يدع إلى ذلك .

لكن المستر تشمبرلان ووزارة خارجيته وقفا حائرين إزاء هذه المعضلة ، التى تشبه لنز أبى الهول ، وكان من الحكمة والأحداث تتابع سراعا على هذا النحو ، أن تتخذ الخطوات واحدة إثر أخرى .

فلو تم إعلان التحالف بين بريطانيا وفرنسا وروسيا في سنة ١٩٣٩ لآلى هذا العمل الفرع في قلوب الألمان ولكان من المستطاع تجنب الحرب . وكان في مقدور

الحلفاء بعد أن يصلوا إلى القوة المتفوقة أن يخطوا الخطوة التالية . حيث يكون موقفهم قد أتاح لهم فرصة المبادرة . وكان على هتلر أن يواجه مشكلة معقدة ، فهو لا يستطيع أن يحارب في جبهتين وقد حمل في كتابه « كفاحي » في شدة وعنف على هذه الناحية . . ولا يستطيع من الناحية الأخرى أن يحتمل أثر الكبح وما له من نتائج وقد أضعنا مع الأسف فرصة وضعه في هذا المأزق الذي كان من المحتمل أن يكلفه غاليا وربما كلفه حياته .

ليس كل ما يرجى من رجال الدولة أن يبتوا في بسائط الأمور فحسب لكن غرضهم الحقة وكفائتهم تبدو في قراراتهم العظيمة التي يقدر لها أن تنفذ العالم حين يكون الميزان متأرجحاً . وتكون الأمور المتعادلة مخفية وراء الحجب . ولما كنا قد وصلنا أنفسنا إلى تلك الحال الرهيبة التي وصلنا إليها سنة ١٩٣٩ فقد تحتم علينا أن ننتهز الفرص العظيمة . ولو أجاب المستر تشيرلين عندما تلقى العرض الروسي وقال : « نعم لنتفق نحن الثلاثة على تحطيم هتلر » أو قال كلمة أخرى من هذا القبيل فإن البرلمان كان سيؤيده في سياسته ولا شك . وكان ستالين سيدرك الغرض المقصود ويسير التاريخ في طريق مخالف لما حدث . ولن تكون النتيجة أسوأ مما وقع .

ومع ذلك طال الصمت ، وظلت تمتد أنصاف الحلول والتسويات البطيئة . وكانت هذه الماطلات ضربة قاضية للتيفينوف . فقد أدرك أن محاولاته الأخيرة للوصول مع الحلفاء الغربيين إلى قرار حاسم قد فشلت كل الفشل . وتدهورت الثقة بنا عند الروس . الذين بدءوا يحسون بحاجتهم إلى سياسة مخالفة كل المخالفة لتأمين سلامة روسيا .

وصدر في الثالث من شهر مايو بيان رسمي من موسكو بإقضاء لتيفينوف غن وزارة الخارجية بناء على طلبه وتولى رئيس الوزراء مولوتوف أعمال الوزارة بدلا منه . وهكذا أقصى عن العمل اليهودى البارز الذى كان هدفاً لعداء ألمانيا . وقد ألقي به من مسرح السياسة العالمية إلى زوايا النسيان والرقابة البوليسية . ولم يسمح له بكلمة واحدة يدر بها موقفه . وقد أصبح مولوتوف الذى لم يكن معروفاً خارج روسيا قوميسارا للشؤون الخارجية يعمل بالتماون الوثيق مع

ستالين . وكان هذا متحررا من سائر القيود التي عملها البيانات السابقة وكذلك من محيط عصبة الأمم . وكان في مقدوره أن يتحرك في أى اتجاه يرى فيه سلامة روسيا . ولم يكن أمامه إلا طريق واحد يتجه إليه . إذ كان دائما من المؤيدين للوصول إلى تسوية مع هتلر وقد اقترنت الحكومة السوفياتية باتفاق ميونخ وغيره بأن بريطانيا وفرنسا لم تكونا على استعداد اخوض المعركة إلا إذا هوجمتا . مما لا يجعل لهما قيمة ما فالعاصفة على وشك المهبوب وعلى روسيا أن تعنى بحالها الخاصة .

ولا شك أن هذا التحول الشديد الغير الطبيعي للسياسة الروسية لا تستطيع أن تقوم به غير الدول الجماعية . ولم يكن قد مضى غير عامين على ذبح قادة الجيش الروس وآلاف من ضباطه لقبولهم تلك الاتجاهات التي أصبحت الآن مقبولة لدى فئة من القلقين من سادة الكرمالين . كانت البول المؤيدة لألمانيا كغفرا وخيانة . لكنها الآن سرعان ما أصبحت سياسة الدولة وقد أصبح الوبل والشقاء لمن يجرءون على معارضة تلك السياسة أو الذين لا يسرعون إلى تقبل هذا التغير .

ولم يكن هناك من هو أجدر من القوميسار الجديد للشئون الخارجية ولا أكفا منه للقيام بهذه المهمة الجديدة .

* * *

إن هذه الشخصية التي وضعها ستالين آنذاك على رأس السياسة الخارجية السوفياتية تستحق شيئا من الوصف الذي لم يكن متوفرا في ذلك الحين للحكومتين البريطانية والفرنسية . فقد كان فياشيسلاف مولوتوف رجلا ذا كفاية ظاهرة يتسم بالقوة والعنف ، وقد تصدى للمخاطر والمحن الرهيبة التي تعرض لها الزعماء البلاشفة ابان انتصار الثورة . وعاش وبزغ نجمه في مجتمع حافل بالدسائس التي تمرض شخصية لخطر التصفية وكان رأسه الذي يشبه في صورته قذيفة المدفع . وشاربه الأسود وعيناه اللتان تتوقدان فهما وذكاء ، ووجهه المسكئظ ، ولسانه الذائق ، ومظهره الساكن المطمئن . كلها ظواهر تدل على ماله من كفايات ومزايا . وكان أصالح من سواء لتنفيذ سياسة جهاز لا تعد قواه ولا تحصى . ولم ألتق به إلا ونحن في وضع واحد متساو . وفي محادثات كان يظهر فيها متأثرا بطرفة لطيفة أو في مأدبة كان يقترح فيها

بعض الأنجاب التقليدية ولم أرق حياتي رجلاً غيره تتمثل فيه الفكرة المصرية من الرجل الآلى .

ولكن كانت تخفى خلف هذه الصفات سياسة معقولة في ظاهرها مهيبة إلى درجة كبيرة . ولا أستطيع أن أبدى حكى على موقفه ممن يعملون تحت رآسته . أما موقفه من السفير الياباني في السنوات التي تلت مؤتمر طهران عند ما وعد ستالين بمهاجمة اليابان بعد هزيمة الجيش الألماني . فنستطيع أن ندركه من محادثاته المسجلة . فقد تمت مقابلات متتالية تتسم جميعها بالرقّة والتمعق والفرابة معاً . وكانت تجري وفقاً لغرض عميق محتجب ، واتزان تام ، وجد رسمي ، ولم يثر في هذه المقابلات مشكلة أو يحدث ثغرة ، ولكنه كان يمثل بابتسامته الباردة صقيع شتاء سيبيريا . مع كلمات منزلة متخيرة ومظهر محبوب ، يجعله وكيلاً ممتازاً للسياسة السوفياتية في عالم شديد الاضطراب .

وكانت طريقة التراسل معه في الأمور المختلف عليها لا تجدى . وإذا مضى هذا التراسل قدماً فإنه كان ينتهى بالأكاذيب والإهانات التي سيحتوى هذا الكتاب على أمثلة بارزة منها . ولم أرفيه الاستجابة الإنسانية المألوفة لإلمرة واحدة وكان ذلك في ربيع سنة ١٩٤٢ عند ما نزل إلى بريطانيا في طريق هودته من الولايات المتحدة إلى بلاده ، وكنا في ذلك الوقت قد وقعنا المعاهدة البريطانية السوفياتية وهو على وشك الرحيل في رحلته الجوية الخطرة نحو بلاده .

فلما وقفت معه في مدخل حديقة داوونج ستريت الذي كنا نلوذ به حين نتحدث في أمور سرية - أمسكت بذراعه . وأخذ كل منا ينظر في وجه صاحبه . وفجأة ظهر لى وكأنه تأثر تأثراً عميقاً . وبدت لى من وراء الصورة حقيقة الإنسان . فاستجاب لقبضتى وأمسك كل منا بيد الآخر بشدة في مودة وفي سكون ، ولكننا كنا معاً نخوض معركة الحياة أو الموت بالنسبة لنا أو لكثيرين ممن معنا . إن الخراب والهلاك يحيطان به في كل لحظة إماله أو عليه .

ولاشك أن الآلة السوفياتية قد وجدت فيه ممثلاً ممتازاً في إخلاصه الحربي المذهبي الشيوعى . ومن دواعى غبطتى أنني لم أعان ما عاناه من الشدة فقد كنت

أفضل حينئذ أنني لم أوه . ولا شك أن مازاران وتاليران ومترنيخ يرحبون به في زميرتهم لإدارة السياسة الخارجية لو كان البلاشفة يسمعون لأنفسهم أن يعيشوا في العالم الآخر .

وقد سار مولوتوف على سياسة ترى إلى عمل تسوية مع ألمانيا على حساب بولندا . وكانت المفاوضات الروسية مع بريطانيا تسير سيراً وثيداً . وقد أثير الموضوع كاملاً في مجلس العموم في التاسع عشر من شهر مايو . وقد كانت المناقشات مقصورة على البارزين من رجال السياسة ومن الوزراء السابقين . وقد كنت أنا والمستر لويد جورج والمستر إيدن نستحث الحكومة على الوصول إلى تسوية عاجلة مع روسيا على أن تكون على قدم المساواة وعلى أسس واسعة .

وقد أجاب رئيس الوزراء . وكشف عن آرائه في العرض السوفياتي فقد استقبله استقبالا فاتراً ينطوي على السخرية . ويفتقر إلى التقدير شأنه في رفض الاقتراح الذي أرسله روزفلت قبل عام . وقد تحدث أتلي وسنكلير وإيدن عن الخطر العاجل والحاجة إلى التحالف مع روسيا . ولم يكن هناك أقل شك في فوات الوقت . فقد ارتطمت جهودنا بجمود لا يتحول . فعلى الرغم من قبول الحكومتين البولندية والرومانية الضمان البريطاني . فإنهما لم يكن ليهما استعداد لقبول تعهد مثل هذا من الحكومة الروسية . وقد ظهر موقف مماثل في منطقة استراتيجية حيوية أخرى هي دول البلطيق . وكانت الحكومة السوفياتية قد أعلنت أنها لن تسام في ميثاق لتبادل المساعدة إلا إذا شمل فنلندا ودول البلطيق الأخرى . وكانت هذه الدول ترفض هذا الميثاق وترفض قبول هذا الشرط تحت عامل الخوف وقد بالغت فنلندا وأستونيا في هذا الرفض فأعلننا أن أي ضمان يقدم دون موافقتهم تمدانه عملاً عدائياً . ووقعت أستونيا ولااتفيا في السابع من شهر يونيه موافقتهم على عدم الاعتداء مع ألمانيا .

وهكذا استطاع هتلر بسهولة أن ينفذ إلى الخطوط الدفاعية الأخيرة لذلك الحلف المتشكك المتأخر الذي أقيم ضده .

وأخذت تنصرم أيام الصيف ، والتأهب للحرب مستمر في سائر أنحاء أوروبا . ولم يعد ثمة تقدير لمواقف الدبلوماسيين وخطب الساسة وآمال الجنس البشري ، (٣ — مذكرات)

وبدت النذر الألمانية لتسوية مشكلة النزاع على دائرج مع بولندا بطريق العنف .
كقائمة للهجوم على بولندا . وأعلن المستر تشمبرلين للبرلمان عن قلقه في العاشر من
شهر يونية . وكرر اعتزاه الوقوف إلى جانب بولندا إذا تعرض استقلالها للخطر .
وأعلنت الحكومة البلجيكية بطريقة منافية لما عليه الحجة ثنى . وبثأثير من ملكها .
في الثالث والعشرين من يونية منارضتها احراء محادثات لأركان الحرب مع انكلترا
وفرنسا وقد أكدت عزمها على التمسك بالحيداد الدقيق .

وقد أدى تطاول الأحداث إلى توحيد الصفوف بين بريطانيا وفرنسا وفي داخل
بريطانيا نفسها ، وتمددت حركات الانتقال بين لندن وباريس خلال شهر يولية .
وكانت احتفالات الرابع عشر من شهر يولية في فرنسا فرصة سانحة لإعلان الاتحاد
بين انكلترا وفرنسا . وأرسلت الحكومة الفرنسية دعوة إلى لشهود هذه الاحتفالات .

وقد اقترح على الجنرال جلان وأنا أبارج ميدان « ليبورجيه » بعد العرض
المسكى أن أزور الجبهة الفرنسية وقال : « إنك لم تترك قط قطاع الراين . فتمال
في شهر أغسطس لأطملك على كل شىء » وأعددت الخطة اللازمة لهذه الزيارة .
وفي الخامس عشر من شهر أغسطس ذهبت أنا والجنرال سبيرز وقد رحب بنا
سديقه الجنرال جورج القائد العام لجيوش الجبهة الشمالية الشرقية والمرشح لثولى
القيادة العليا ، عند غياب جلان . وقد سررت كثيرا للقاء هذا الضابط العظيم
المهذب ، وقضينا الأيام الدشرة التالية معه ننظر في شتى المسائل العسكرية ونتمصل
بجملان وكان يقوم بتفتيش بعض الأماكن في الجبهة .

بدأنا رحلتنا في ليربورج عند مخرج الراين ومررنا بسائر القطاع حتى وصلنا إلى
الحدود السويسرية . وكان الشعب في انكلترا كما كان سنة ١٩١٤ ياهو بقضاء
اجازاته ، واللب مع أطفاله على الشواطىء ، أما هنا في الراين ، فقد بدا لى منظر
مغاير فقد رفعت جميع الجسور مؤقتة القاعة على النهر من أماكنها إلى أماكن أخرى
أما الجسور الثابتة فقد وضعت تحتها الألغام وأقيمت عليها الحراسة القوية وعهد إلى
ضباط أكفاء بمراقبتها ليلا ونهاراً . ليضبطوا على الأضرار اللازمة لنسف هذه
الجسور في اللحظة الملائمة .

وكان النهر العظيم يسير في فيضان عارم لساغات مياهه من تلوج الألب الذائبة . وكانت المراكز الفرنسية الأمامية تحتل أماكنها بين الشجيرات القصيرة . وكان في استطاعة رجلين أو ثلاثة منا ان يصلوا إلى ضفة الماء ولا يكون منا هدف معرض للاصابة وكذا ترى الألمان على مسافة ثمانمائة ياردة منتشرين بين الأدغال في الجانب الآخر . يعملون في بسر واطمئنان في إعداد مراكزهم الدفاعية والنفوس والمجاري في أيديهم . وقد أجلى المدنيون من الحى الواقع على ضفة النهر في مدينة ستراسبج . ووقفت لحظة على الجسر أراقب السيارات وهي تمر من فوقه . وكنت أرى أن عملية فحص الجوازات والبطاقات تستغرق وقتاً أكثر من المألوف على الجانبين ، ولم يكن الواقع الألماني يبعد عن الفرنسي هذا أكثر من مائة ياردة . وليس مع ذلك بين الموضمين أى اتصال لكن أوروبا كانت ما تزال تتمتع بالسلام حتى تلك اللحظة . ولم يكن هناك أى صراع بين ألمانيا وفرنسا . وكان نهر الراين لا يزال يجري بسرعة ستة أميال أو سبعة في الساعة . ولم أر الراين مرة أخرى إلا بعد خمس سنوات في مارس سنة ١٩٤٥ وأنا أعبره مع المرشال مونتيجمرى بالقرب من ويسل إلى ناحية الشمال .

ولعل أهم ما لفت نظري في هذه الزيارة هو الروح الدفاعية التي سيطرت على مضيق من البارزين الفرنسيين وقد فرضت على فرضاً فقبلتها راضياً . وقد اتضح لي من الأحاديث التي دارت بيني وبين هؤلاء الضباط الفرنسيين العظام أنهم جميعاً يشعرون بتفوق القوة الألمانية على قواهم . وأن فرنسا لا تستطيع القيام بهجوم عظيم . ولكنها تحارب دفاعاً عن كيائها فحسب . فهناك خط سيجفريد المحصن بكل ما للأسلحة الحديثة من قوة عظيمة ضاربة وكفت أشعر برعدة تنساب في جسدي عند ما أذكر هجوم السوم وباشينديل ، وكان الألمان الآن أقوى مما كانوا عليه أيام ميونخ ولم نكن ندرك ما تحسه قيادتهم العليا من القلق . وقد قبلنا هذا الوضع من الناحيتين الواقعية والنفسية . ولم يكن لأى إنسان مسئول — ولم أكن مسئولاً حتى تلك الآونة — أن يعمل على أساس اقتراحين ، أن اثنتين وأربعين فرقة ألمانية فحسب مجهزة نصف تجهيز ومدربة نصف تدريب تتوالى لحراسة هذه الجبهة الطويلة الممتدة من بحر الشمال إلى سويسرا وكان هذا الرقم لا يتجاوز ثلاث عشرة فرقة أيام ميونخ .

ولشد ما كنت أخشى في هذه الأسابيع الأخيرة أن تراجع حكومة جلالته على الرغم من ضمانتها لبولندا عن الحرب ضد ألمانيا . إذا حاربها . ولكن لم يكن هناك شك في أن المستر تشمبرلن كان قد استقر رأيه على الحرب على الرغم مما في هذا القرار من مضمض ولكني لم أكن أعرفه كما عرفته بعد مضي عام . وكنت أخشى أن يقدم هتلر على أ كذوبة جديدة من مبتدعاته فيزعم وجود سلاح جديد يهرب مجلس وزرائنا الذي تراكت عليه الأعباء وكان الأستاذ ليندمان يتحدث إلى على الدوام عن الطاقة الذرية فطلبت منه أن يعلمني على معلوماته في هذه الشأن وبعد حديثي معه بعثت إلى كنجزلى وود وزير الطيران بالرسالة التالية وكانت صلتى به وثيقة .

« ظهرت صحف الأحد منذ أسابيع معلنة عن الطاقة الهائلة التي يمكن استخراجها من اليورانيوم ، عن طريق سلسلة من التجارب التي اكتشفت حديثاً والتي تقع عند ما ينفلق هذا النوع من الذرة وقد تلقى هذه المكتشفات في روعنا الخوف من وجود متفجرات جديدة لها قوة تدمير هائلة ولهذا يجب أن نعلم ألا خطر لهذا الاكتشاف على الرغم من قيمته العلمية إذ لا يمكن أن يؤدي إلى نتائج عملية قبل بضع سنوات » .

« وقد بدت إشارات تدل على أن قصصاً ستجتاح عند ما تشقد الأزمة الدولية عن استخدام هذا الاكتشاف العلمي في متفجرات سرية جديدة ذات أثر بالغ يمكنها أن تمحو مدينة لندن من الوجود ، وستبدو محاولات عن طريق رجال الطابور الخامس بنهديننا ودعوتنا إلى استسلام جديد . لهذا رأيت من واجبي أن أوضح لك الموقف على حقيقة ته » .

فالخوف من أن يكون لدى النازيين سلاح جديد يستطيون به أن يدمروا أعداءهم لا يستند على أساس علمي سليم . وستظهر ولا شك : إيماءات سود من هذا النوع ، وستنتشر همسات خفيفة من هذا النوع بصور مكبرة ، ولكن كل ما أمل أن لا يصدق أحد من المسؤولين هذه الشائعات » .

ومن الواضح أن هذا التنبؤ كان دقيقا وفي غاية الدقة . ولم يكن الألمان هم الذين عثروا على الطريق الذي يريدون ولكنهم ولاشك قد سلكوا الطريق الخطأ ثم تخلوا فعلا عن البحث عن القنبلة الذرية وقد وضعوا كل همهم في صنع الصواريخ الموجهة والطائرات التي تقاد بغير طيارين . في الوقت الذي كنت فيه أنا والرئيس روزفلت نتخذ القرارات ونضع الاتفاقات الخالدة التي سأشرحها في موضعها من هذا الكتاب ، لصناعة القنابل الذرية على نطاق واسع .

وفي السابع من شهر يولية قال موسوليني للسفير البريطاني « قل لتشميرلين إن انكلترا إذا كانت مستعدة للقتال دفاعا عن بولندا فإن إيطاليا ستحمل السلاح مع حليفاتها المانيا .

لكن موقفه الحقيقي الذي كان يخفيه وراء الستار كان مخالفا لهذا كل المخالفة فقد كان لا يريد أكثر من تثبيت أقدامه ورعاية مصالحه في البحر الأبيض المتوسط وشمال أفريقيا ، وقد جنى ثمرة تدخله في أسبانيا ، ونتائج احتلاله ألبانيا . ولم تكن له رغبة في أن يساق إلى حرب أوروبية بسبب احتلال المانيا لبولندا .

وكان على كثرة ما يدعى ويتبجح يعرف أكثر من غيره حقيقة ضعف إيطاليا سياسيا وعسكريا . وكان على استعداد للتحدث عن دخول الحرب سنة ١٩٤٢ إذا قدمت المانيا له السلاح . أما الإقدام على الحرب سنة ١٩٣٩ فلا .

ولما اشتد على بولندا الضغط في أشهر الصيف عاد موسوليني يكرر دوره الذي مثله في ميونخ كوسيط واقترح عقد مؤتمر عالمي للسلام . ولكن سرعان ما بدد هتلر هذه الأفكار من ذهنه . وصرح لنشيانو في شهر أغسطس بأنه مصمم على تسوية الوضع مع بولندا وأنه ربما أجبر على الدخول في حرب مع انكلترا وفرنسا كذلك وأنه يريد من إيطاليا أن تشارك في الحرب . وقال « إذا كانت انكلترا ستبقى القوات اللازمة في بلادها فإنها لا تستطيع أن تبعث إلى فرنسا أكثر من فرقتين من المشاة . مع فرقة مدرعة ولا تستطيع أن تبعث إلى برلين غير الطائرات القاذفة للقنابل أما القنابلات فليس في وسعها أن تبعث منها طائرة واحدة إذ أنها ستحتاج إليها في بلادها إذ أن القوة الجوية الألمانية ستهاجم انكلترا في الحال . وستسكون

في حاجة إلى مقائلاتها للدفاع عن أرضها » وقال متحدثنا عن فرنسا إنه بعد تدمير بولندا الذي لا يستغرق وقتا طويلا ستستطيع ألمانيا أن تحشد مئات الفرق على جدارها الغربي . فتصبح فرنسا مضطرة إلى حشد سائر قواتها على خط ماجينو من أن تنقل مالدتها منها من المستعمرات أو على الحدود الإيطالية . لمركة هي معركة الحياة والموت بالنسبة لبلادها . وهاد تشيانو آسفا لينقل إلى مولاء ما ألقى على سمه فوجده مقتنعا كل الاقتناع بأن الدول الديمقراطية ستدخل المعركة ووجده مصمما على البقاء خارجها .

* * *

وبذلت الحكومتان البريطانية والفرنسية محاولة جديدة للتفاهم مع روسيا السوفياتية . وتقرر إيفاد مندوب إلى موسكو وقبل المستر ايدن القيام بهذه المهمة وقد سبقت له اتصالات مجدية مع ستالين قبل بضع سنوات . إلا أن رئيس الوزراء رفض هذا الرض وعهد بهذه المهمة إلى المستر سترانج في الثاني عشر من شهر يونيو وهو موظف كفء من موظفي وزارة الخارجية ولكن ليست له مكانة سياسية خارج وزارة الخارجية . وكان ذلك خطأ كبيرا إذ أن إيفاد موظف كهذا يعد صغيرا مهما ارتفع شأنه أساء كثيرا إلى روسيا . وإلى لأشك في أنه استطاع النفاذ من القشرة الخارجية للجهاز السوفياتي . وقد فات الوقت المناسب ووقعت أحداث كثيرة منذ بعث السيو مايسكي لكي يلتقي بي في شارتويل في سبتمبر سنة ١٩٣٨ . وقعت ميونخ . وأنيحت لجيوش هتلر فرصة سنة كاملة لتزداد قوة ونضجا . وأخذت مصانع الذخيرة الألمانية التي ضمت إليها مصانع شكودا تعمل ليلا ونهارا في إنتاجها . وكانت الحكومة السوفياتية قلقة أشد القلق من جراء تشيكوسلوفاكيا . ولكنها قد اندثرت وأرسل بنيش إلى منفاه وقد حل محله حاكم ألماني في براج .

وكانت بولندا تفضل لروسيا في عدة مشاكل استراتيجية وسياسية طويلة أمدها . وكان الاشتباك الأخير بينهما قد وضع في معركة وارسو سنة ١٩٢٠ عندما صد بلودسكي الجيوش الهاشفية التي قادها كامه نبيف . بتأييد الجنرال فيجيان والبعثة البريطانية التي كان يرأسها اللورد دايرنون . ثم سرعان ما تأثرت لنفسها وطاردتها

بإهراق كثير من الدماء . وظلت بولندا طوال هذه السنوات رأس رمح في جانب البلشفية . وكانت تمد يدها اليسرى لتأييد دول البلطيق المعادية للسوفيات ونصرتها بينما كانت تمد يدها اليمنى في أزمة ميونخ لتقطيع أوصال تشيكوسلوفاكيا . وكانت الحكومة السوفياتية تعلم علم اليقين أن البولنديين بكرهونها وأنهم لا حول لهم للوقوف في هجوم ألماني . وكان الروس فضلا عن هذا يعرفون كل المعرفة ما يتعرضون له من الأخطار ويعرفون الوقت الذي يحتاجونه لإصلاح ما حل بقيادة جيوشهم من أضرار . ولم يكن من المنتظر أن ينتجج الاستراتيجية في مهمة في مثل هذه الظروف .

ومن ثم بدأت المفاوضات تدور حول تردد بولندا ودول البلطيق في قبول مساعدة السوفيات ضد ألمانيا . ولم تنه إلى نتيجة . وظلت المحادثات تدور في هذا الشأن دون انقطاع طوال شهر بولية . وقد اقترحت الحكومة السوفياتية أخيرا أن تظل المحادثات قائمة على أسس عسكرية باشتراك ممثلين عن القيادتين البريطانية والفرنسية . ومن ثم أرسلت الحكومة البريطانية الأميرال دراكس على رأس بعثة إلى موسكو في العاشر من شهر أغسطس ولم يكن لديهم أى تفويض كتابي بحق المفاوضات . ووصلت البعثة الفرنسية برأسه الجنرال دومانك ومثل الجانب الروسي في المحادثات المرشال فوروشيلوف . وقد وافقت الحكومة السوفياتية على أن يصل إلى موسكو مفاوض ألماني . ولكن سرعان ما اصطدم هذا المؤتمر العسكري برفض بولندا ورومانيا السماح للقوات الروسية بعبور أراضيها وكان شعار البولنديين « إننا سفنمصر مع الألمان بفقد حريتنا . أما مع الروس فإننا سفنمصر بأرواحنا » .

وقد شرح لي ستالين في أغسطس سنة ١٩٤٢ ونحن في الكرملين في الساعات المبكرة صباح يوم من الأيام ناحية من نواحي الموقف السوفياتي فقال : « لقد أيقنا بأن الحكومتين البريطانية والفرنسية لا تمتزمان الاشتراك في الحرب إذا هوجت بولندا . ولكنهما تتوقعان أن يؤدي إملان الحلف البريطاني الفرنسي الروسي إلى إرهاب هتلر ووقفه عند حده . ولكننا كنا موقنين بأن هذا الإعلان لا يصد هتلر ويرجمه عن عزمه » وكان يسائل أثناء المفاوضات « كم فرقة تستطيع فرنسا

أن تبعث بها إلى الميدان في حالة التهيئة ضد ألمانيا « وكان الرد « حوالى مائة فرقة » وعاد بتساءل « وكم تستطيع إنكساراً أن تبعث » وكان الرد « فرقتين في الحال » ثم فرقتين أخريين فيما بعد « وعاد ستالين يقول « آه فرقتين الآن وفرقتين فيما بعد ١١ » ثم مضى يقول « أنعرفون كم عدد الفرق التي سندفعها إلى الجبهة الروسية إذا دخلت روسيا الحرب ضد ألمانيا ؟ » ولم يجب أحد من المتفاوضين فقال ستالين « أكثر من ثلثمائة فرقة » ولم يخبرني ستالين عن الرجل الذى أفضى إليه بهذا الحديث ولا عن تاريخه . ولكن يجب أن نعرف بصحة ما كان يقول وإن كان هذا لا يوافق المستر سترانج .

وكان ستالين ومولوتوف قد قررا ضرورة إخفاء نواياهما للمساومة إلى اللحظة الأخيرة . وقد أبدى مولوتوف ومساعداه خدفاً شديداً في التزاج أثناء هذه المفاوضات التي كانت تجري مع الفريقين وأعلن ستالين مساء التاسع عشر من شهر أغسطس في جلسة عقدها المكتب السياسى للحزب الشيوعى اعترافه عقد ميثاق مع ألمانيا . ولم يستطع ممثلوا الحلفاء أن يمتروا في الثانى والعشرين من شهر أغسطس على الريشال فوروشيلوف حتى ساعة متأخرة من الليل وقد وصل ريبنتروب إلى موسكو في اليوم التالى وأعلنت ألمانيا في اتفاق سرى عقده في روسيا أنها لا تهتم سياسياً ببلاتينيا واستونيا وفنلندا . وقد اعتبرت لتوانيا داخلة في حدود منطقة نفوذها . وتم رسم خط للحدود بعد تقسيم بولندا . ولم تطلب ألمانيا من دول البلطيق سوى بعض المصالح الاقتصادية . وقد وقع في ساعة متأخرة من ليلة الثالث والعشرين من شهر أغسطس على ميثاق عدم الاعتداء والاتفاق السرى .

وعلى الرغم من جميع الوقائع المحزنة التي أوضححتها في هذا الفصل . لم يكن إلا في مقدور الديكتاتورية الجماعية أن تواجه الكراهية المترتبة على هذا العمل الشاذ . ونستطيع أن نتساءل هل كانت كراهية هتلر لهذا العمل أشد من كراهية ستالين ؟ أو كان الأمر على النقيض . ولكن لا شك أن الرجلين كانا يدركان أن هذه النسوية أمرها موقوت وأنها تسوية أملتها المنفعة المؤقتة . فالمداء بين النظامين والامبراطوريتين عداة فقال . وربما خطر لستالين أن هتلر سيكون عدواً أضعف قوة بعد سنة من

القتال مع الدول الغربية . أما هتلر فقد سار على القاعدة التي اتبعتها « عدو واحد في وقت واحد » ، ولكن وقوع هذا الاتفاق يدل على مدى ما وصلت إليه السياسة البريطانية الفرنسية من الغش طوال هذه السنوات .

ويقترح علينا أن نذكر أن الجانب الروسي كان في حاجة شديدة إلى إبقاء الجيوش الألمانية مشغولة في الغرب إلى أبعد مدى ليجد الوقت الكافي لتجميع القوى الروسية المنتشرة في سائر أنحاء الامبراطورية الواسعة الأرجاء . وكانوا قد شغلوا أذهانهم بالتفكير فيما حل بجيوشهم من الكوارث في سنة ١٩١٤ حين اندفعت لمهاجمة الألمان ولم تكن قد استكملت استعدادها . ولكن حدودهم الآن تقع بميداً في الشرق من حدودهم في الحرب العالمية الأولى . وعليهم أن يحتلوا دول البلطيق وجزءاً كبيراً من بولندا بالقوة أو بالخديعة قبل أن يهاجموا . وإذا كانت السياسة السوفياتية معروفة بالأناة فإنها كانت في هذه المرة واقعية إلى أبعد مدى .

ويجدر بنا أن نسجل هنا نص الميثاق الذي أشرنا إليه :

« ترى الدولتان المتعاقدتان الساميتان ، أن من واجبهما الامتناع عن أى عمل من أعمال القوة أو العدوان أو الهجوم بمضهما على البعض بصفة فردية أو بالاشتراك مع دول أخرى على حد سواء » .

وكان من المقرر أن يبقى هذا الميثاق نافذاً عشر سنوات ويتجدد تلقائياً لمدة خمس سنوات أخرى إذا لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين إلغائه قبل سعة من انتهاء هذه المدة . . وقد احتفل بتوقيع هذا الميثاق احتفال كبير . وتبودلت الأتخاب الكثيرة على مائدة المؤتمر واقتراح ستالين أن يشرب الحاضرون نخب الفوهرر « بهذه العبارة » أنا أعرف تماماً كيف يحب الشعب الألماني زعيمه لذلك فإني أشرب نخب صحته أو نستطيع أن نخرج من كل هذه الوقائع بمغزى واحد في غاية من البساطة . وهو « أن الاستقامة هي السياسة المثلى » وسرى في صفحات هذا الكتاب أمثلة عديدة تبرز هذه النظرية . فقد يخذع الساسة والدهاة في تقديراتهم التي قضوا زمناً في وضعها . ولكن هذا المثل يبدو أكثر وضوحاً حيناً نرى أنه لم يعض أكثر

من اثنين وعشرين شهرا حتى أرغم ستالين وعشرات الملايين من الشعب الروسى على دفع ثمن باهظ مرعب لما حدث . وقد تصل أية حكومة على فوائد جمة وليست لها قواعد ومثل أخلاقية تحد من حريتها فى العمل . ولكن الأمور تتعادل فى نهاية اليوم ثم تتعادل أكثر وأكثر وأكثـر فى نهاية الأيام .

وهبطت الأنباء المشثومة على العالم كالقنبلة . ولكن مهما تكن العواطف التى اجتاحت الحكومة البريطانية فإن الخوف لم يكن سبيلها ولم تضع وقتاً حتى أعلنت « أن الحادث ان يؤثر بحال من الأحوال على التزاماتها التى صممت عليها » .

وقد عجل باتخاذ الاجراءات الاحتياطية وصدرت الأوامر للدفاع الساحلى ضد الطائرات . وتأمين الدفاع عن الجهات المعرضة للخطر . وأرسلت برقيات الإنذار إلى دول الدومنيون وألغيت الاجازات فى القوات المسلحة ، وأصدرت الاميرالية تحذيرها إلى البواخر التجارية ، واتخذت السلطات خطوات أخرى . وأعلنت الحكومة البريطانية فى الخامس والعشرين من شهر أغسطس توقيع معاهدة رسمية مع بولندا تؤكد الضمانات السابقة ، وكان الأمل من وراء هذا الاتفاق ، إعطاء الفرصة المثلى لألمانيا وبولندا لتسوية خلافتهما بالتفاوض . علماً بأن فشل هذه المفاوضات يعنى وقوف بريطانيا إلى جانب بولندا فى حالة الحرب ، وقد أجل هتلر موعد النزو النهائى من الخامس والعشرين من أغسطس إلى اليوم الأول من شهر سبتمبر وأخذ فى مفاوضات مباشرة مع بولندا ، تحقيقاً لرغبة تشمبرلن . ولم يكن هدفه الحقيقى الوصول إلى اتفاق مع بولندا ولكن إعطاء حكومة جلالته كل فرصة للهروب من ضماناتها . ولكن أفكار الحكومة وأفكار البرلمان وأفكار الشعب كانت جميعها تسير فى طريق مخالف . ومن الحقائق المجيبة التى تؤثر من سكان هذه الجزر البريطانية الذين يكرهون التدريب والدين لم تنز بلادهم منذ ألف سنة إن أعصابهم تهدأ شيئاً فشيئاً كلما اقتربوا من الخطر ورأوه ماثلاً أمامهم ثم سرعان ما ينقلبون إلى حال من القوة المستشرية .. وعندما يصبح الخطر واقعاً يظلمون بوسائل لا يهابون الموت وقد نجحتهم هذه الشرائل مرات عديدة من أخطار ساحقة وأخرجتهم من كثير من السأقرق .

وقد استبان هتلر بعد اتصاله بموسوليني - إن لم يكن قد توقع - أنه لا يستطيع أن يمول على تدخل إيطاليا المسلح إذا نشبت الحرب . ولعل الدوتشي علم بالخطوات الأخيرة من المصادر الانكليزية لا من المصادر الألمانية ، ويقول تشيانو في يومياته بتاريخ السابع عشر من شهر أغسطس « لقد نقل إلينا الانكليز نصوص الاقتراحات التي قدمها الألمان إلى لندن . ولم نكن نعرف عنها شيئاً من الألمان » ، وكان كل ما يبنى موسوليني هو أن يقبل هتلر حياد إيطاليا وقد قبل هتلر هذا الحياد .

وأصدر هتلر في الحادى والثلاثين من أغسطس « دعوته الاولى لإدارة دفعة الحرب »

« ١ - لما كانت سائر الاحتمالات السياسية المأمولة لتسوية الاوضاع على الحدود الشرقية بالطرق السلمية قد استنفدت ، وهي أوضاع لا يمكن لألمانيا أن تحتملها فقد قررت الوصول إلى حلها بطريق القوة » .

« ٢ - يجب تنفيذ الخطة الموضوعة للهجوم على بولندا ، وقد حدد الموعد في صباح اليوم الاول من سبتمبر سنة ١٩٣٩ الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والاربعين » .

« ٣ - وفي الغرب يجب أن تقع مسئولية البدء بالاعمال العدوانية من جانب انكلترا وفرنسا بحالة ظاهرة . وفي حالة وقوع أحداث بسيطة من المدوان على الحدود يجب الاكتفاء بالأمل المحلى البحث » .

وبعد عودتى من جهة الراين ، قضيت أياماً سعيدة أتمتع بالشمس في رحاب السيدة بلسان مع رفقة مؤنسة وإن سيطر عليهم شئ من القلق . وتلك هى الدار نفسها التي قضى فيها هنرى ملك النافار ايلته الأخيرة قبل معركة إيفرى . وكان كل إنسان يحس ذلك الجو المزعج الذى يخيم على الجميع . حتى كان الضوء المألوف فى هذا الوادى الجميل فى حوض الأور قد قد برقه وقد رأيت أننى لا أستطيع أن أرسم لوحاتى فى هذا الجو اللئى بالقاق والزيب .

وقد قررت في السادس والعشرين من شهر أغسطس أن أعود إلى الوطن حيث أكون على مقربة من الأحداث وأستطيع الاتصال بها . وأبلغت زوجتي أنني سأرسل في طلبها في الوقت الملائم . ودعوت وأنا في باريس في طريقى إلى لندن الجنرال جورج ليتناول معى الغداء . فأطلعتنى على الأرقام الخاصة بجيوش فرنسا وألمانيا وقد وضع أمامى كفايات الفرق ونوعها وعددها وقد كانت النتيجة ذات تأثير بالغ على نفسى حتى اننى قلت لأول وهلة « إذن فأنتم المتفوقون » ورد بقوله « إن للألمان جيشاً عظيم البأس . ولن نستطيع أن نكون البادئين بأية حال ولكن إذا هوجمنا فان بلدنا سيقفان في صف واحد للقيام بالواجب » .

وأمنيت تلك الليلة في شارتويل حيث كنت قد طلبت إلى الجنرال ايرونسايد أن يزورنى في اليوم التالي . وكان قد عاد لساعته من بولندا وقدم تقارير مرضية عن الجيش البولندى الذى شاهد مناوراته الفاجحة بغيران الدافع الحبة وكانت الروح المعنوية عند البولنديين عالية . وقد أمضى الجنرال ثلاثة أيام معى . وحاولنا معا أن نصل إلى أعماق الأمور ونكشف أسرارها وعادت زوجتي . عن طريق دنكرك في الثلاثين من شهر أغسطس بعد أن تلقت منى إشارة بالعودة .

وكان في إنجلترا نحو عشرين ألف من النازيين الألمان ومن المنتظر قيامهم بأعمال القتل والتخريب عند نشوب الحرب وفقاً لتقاليدهم . ولم يكن فى نيتى أن أطلب لنفسى حماية إلا أننى أعلم بأن شهرتى وبروز اسمى يحتمل على الاحتياط وكانت معلومات كافية لافناعى بأن هتلر يمدنى فى الصف الأول من أعدائه . وكان مفتش الشرطة السابق المستر طومسون من الذين سبق لاسكوتلند يارد أن انتدبتهم لمرافقتى قد أحيل إلى التقاعد فطلبت إليه أن يوافيتنى فى شارتويل ومعه مسدسه وأعددت أنا أسلحتى الخاصة . وكانت على أحسن حال . وكنت أبتادل معه مراقبة المكان فلا نسمع لأحد بالاقتراب من المنزل وكنت أفدر أن الحرب إذا وقعت فسوف يقع عبء تقيل على كاهل .

طلائع الحرب

قامت ألمانيا بالهجوم على بولندا فجر أول سبتمبر وفي صبيحة اليوم نفسه أصدرت حكومتنا أمرها بتعبئة سائر قواتنا ورغب إلى رئيس الوزراء في زيارة بداوننج ستريت بعد ظهر ذلك اليوم وقد قال لي إنه لا أمل لديه في تجنب الحرب مع ألمانيا ويقترح تأليف وزارة صغيرة للحرب تضم وزراء ليست لهم وزارات خاصة لإدارتها . وذكر أن حزب العمال - ليس على استعداد للاشتراك في حكومة ائتلافية . أما الأحرار فإنه يأمل أن يشتركوا معه .

ودعاني أن أكون عضواً في هذه الوزارة الحربية الصغيرة . ووافقت بغير تعليق . وقد دار بيننا على هذا الوضع حديث طويل حول الشخصيات والإجراءات .

وكان موضع دهشتي أنني لم أسمع شيئاً من المستر تشمبرلن طوال اليوم الثاني من سبتمبر على ما كان في هذا اليوم من أزمات فخطرت لي أنه يبذل محاولة أخيرة لانتقاذ السلام . وقد دلت الأيام على صدق ظني . ومع ذلك فقد دارت عند انعقاد البرلمان في مساء مناقشة حادة وإن كانت قصيرة . وقد تلقى المجلس خطاب الهدئة الذي ألقاه رئيس الوزراء إلقاء سيئاً فلما قام المستر جرينود ليتكلم باسم المعارضة صاح المستر ايمرى من مقاعد المحافظين قائلاً « دافع عن انكترا » . وقد استقبلت صرخته بهتاف مدو ولاشك أن المجلس كان ميالاً إلى الحرب ، وأمله كان أكثر عزماً وتآلفاً في ذلك اليوم مما كان في الطرف المائل في الثالث من أغسطس سنة ١٩١٤ وكنت مشاركاً فيه وعلمت أن بريطانيا أرسلت إنذاراً إلى ألمانيا في الساعة التاسعة والنصف من مساء اليوم الأول من شهر سبتمبر وأن هذا الإنذار سيعقبه إنذار آخر نهائي في الساعة التاسعة من صباح اليوم الثالث من سبتمبر وأعلنت الإذاعة البريطانية في الساعات الأولى من صباح اليوم الثالث من سبتمبر أن رئيس الوزراء سيوجه رسالة إلى الشعب في الحادية عشرة والرابع من صباح ذلك اليوم .

وأعلننا رئيس الوزراء في إذاعته بأننا قد أصبحنا في حالة حرب مع ألمانيا .

وما كاد ينتهى من كلامه حتى قرع آذاننا صوت غريب طويل صارخ يكاد يحترق
الآذان وقد ألفنا هذا الصوت فما بعد وجاءت زوجتى إلى الحجرة وقد قوت الأزمة
من عزيبتها وعلقت تعليقاً فى صالح الألمان . ووصفتهم بالدقة والتصميم ثم صعدنا
إلى الدور العلوى من المنزل لرى ما يحدث وكنا نرى حولنا فى ذلك الصباح الصافى
من أيام سبتمبر أبراج لندن وأسطحة منازلها وقد خيم على ذراها نحو ثلاثين أو أربعين
منطاداً أسطوانياً . ولم يسعنا إلا الثناء على هذه الإشارة التى تدل على حسن اعتماد
الحكومة فلما مرت ربع الساعة من الإنذار التى قيل لنا أن ننتظرها . أسرعنا
إلى الملجأ المخصص لنا وقد تسليحنا بزجاجة من « البراندى » وببعض ما يلزم من
الوسائل الطبية .

وكان نخبوناً على بعد مائة ياردة من المنزل . وهو كهف لا نجميه حتى أكياس
الرمل ويلجأ إليه سكان ستة منازل . وكانت أمارات المرح بادية على الوجوه وتلك
عادة انكسرت عند مواجهة الشدائد . وقد نظرت إلى الشارع المقفر من الناس
والتفت إلى الخبأ المزدهم فارسمت فى خاطرى منور للخراب والذبح والانفجارات
التي تهز الأرض والشوارع والبنى التى تنهار وتتحول إلى أنقاض وسيارات الإسعاف
والطاقى تدوى وسط الدخان تحت أزيز الطائرات المعادية . ألم نعرف شيئاً عن أهوال
الغارات الجوية ؟ وقد بالغت وزارة الطيران لإظهار أهميتها فى تصوير هذه الغارات .
وكان دعاة المزعمة يحاولون التأثير على عواطف الشعب عن طريق هذه الصور .
وكفا ومن كانوا على شاكلتنا ممن يدعون إلى الاستعداد للتعفوق الجوى — على الرغم
من رفضهم هذه التكهّنات والصور المزعجة — يرون فيها ما يحفز الهمم . وقد عرفت
أن الحكومة أعدت فى الأيام الأولى من الحرب نحو مليون سرير فى المستشفيات
لتلقى المصابين من الغارات الجوية . ولم يكن فى ذلك الرقم خطأ فى التقدير من حيث قلته
ولننظر الآن إلى الحقائق .

دوت أصوات صفارات الإنذار من جديد بعد عشر دقائق على التقريب ولم أكن
أنا شخصاً أعتقد أن هذا الدوى كان تأكيداً للإنذار الأول ولكن رجلاً جاء إلينا مسرعاً
من الشارع ليخبرنا بانتهاء الغارة فعدنا متفرقين إلى منازلنا ومضينا إلى أعمالنا

وكان على أن أذهب إلى مجلس العموم الذى اجتمع فى الموعد المعين عند الظهر بصورته المألوفة بعد صلاة قصيرة . وتلقيت فى المجلس رسالة من رئيس الوزراء يطلب فيها أن أوافيه فى حجرته بعد انتهاء المناقشة . فلما جلست على مقعدى أصرنى إلى الخطب استولى على إحساس قوى من الهدوء بعد تلك المواطن النائرة والصخب الذى سيطر علينا فى الأيام القليلة الماضية . وشرمت بصفاء ذهنى . وانفصال عن المشاكل الدائبة فأعجاب بريطانيا المعجوز المحبة للسلام . والقليلة العدد والمدد قد تمثلت أمامى فى هذه الشجاعة والجلد عندما دعاى السكرامة والشرف وشرمت بنوع غريب من الجمان استشعرته فى هذا السمو بمسيرنا إلى آفاق بعيدة عن الحقائق الأرضية . وحاولت أن أنقل صورة من هذا الإحساس إلى المجلس فنحدثت إليه وقد شرمت بتقبل الأعضاء لما قلت .

وقال لى الستر تشمبرلن ذلك اليوم إنه يستطيع أن يعرض على وزارة البحرية مع مقعد فى وزارة الحرب . وقد سرنا ذلك العرض سروراً كبيراً . فعلى الرغم من أننى لم أتر الحديث فى هذا فإننى كنت أفضل ولا شك أن يهدى إلى مهمة معينة بدلاً من الجدل فى أعمال وشئون قام بها غيرى من الوزراء وأسهل للانسان أن يصدر التوجيهات من أن يعطى النصائح ويرضى أن يكون له حق العمل وإن كان محدوداً عن أن يكون له حق الحديث حتى ولو فى الموضوعات التى يكون المجال فيها واسماً ولو خيرنى رئيس الوزراء بين عضوية وزارة الحرب ومنصب وزير البحرية لاخترت المنصب . أما الآن فقد عهد إلى بالعملين .

ولم يجر الحديث عن الوقت الذى سأتولى فيه وسام منصبى من الملك ولم أبشر عملى بالفعل حتى الخامس من شهر سبتمبر . إلا أن ساعات المبادأة فى الحرب قد تكون ذات أثر حيوى بالنسبة للأساطيل . ولهذا بعثت بكلمة إلى الأميرالية أقول فيها إننى سأتولى القيادة عاجلاً ، وإننى سأصل فى الساعة السادسة . وأبرق مجلس الأميرالية إلى الأسطول فى سائر وحداته « لقد عاد ونسقون » وهكذا عدت إلى الحجرة التى كنت قد فارقتها ونفسى حزينة قبل ربع قرن عندما أدت استقالة اللورد فيشر إلى تنحيته عن منصب وزارة البحرية وتحطمت فكرة اقتحام الدردنيل فلما اتخذت

مقدمى وجدت على بعد بضعة أقدام منى إلى الخلف مجموعة الخرائط الخشبية التى أعدتها سنة ١٩١١ وفيها خريطة بحر الشمال التى كنت أطلب إلى دائرة الخبّارات البحرية لتركيز الاهتمام بالهدف الاسمى أن تسجل لى عليها حركات الأساطيل الألمانية وطرق توزيعها . وقد مرأ أكثر من ربع قرن ومازال الخطر المميت يهددنا على أيدي نفس الشعب الذى هددنا من قبل . وهما نحن نمود مرغمين إلى حمل السلاح دفاعا عن دولة صغيرة انتهكت حرمتها وتعرضت للعدوان لغير ما سبب يدعو إلى ذلك وهكذا أصبح حتما علينا أن نحارب دفاعا عن كيانتنا وشرفنا ضد غضب الشعب الألمانى وقواته العنيفة البعيدة عن الشفقة . وقد أصبحنا من جديد نخوض غمار الحرب .

وأسرع لورد الأميرالية إلى لقائى وكنت أعرف « دادلى باوند » بعض المعرفة منذ كنت فى الوزارة ، وكان أحد أركان حرب اللورد فيشر الذى يثق بهم كل الثقة . وكنت قد حملت حملة عنيفة فى البرلمان على طريقة توزيع أسطولنا فى البحر الأبيض المتوسط حيث كان قائداً له فى اللحظة التى غزا فيها الإيطاليون ألبانيا . وقد اجتمعنا الآن كزميلين يعتمد عمل الأميرالية الضخم على علاقة كل منا بالآخر ويسير سيرته فى هدوء وبسر وإن كان كل منا ينظر إلى الآخر فى شئ من الود يمازجه بعض الشك . ولكن صداقتنا والثقة المتبادلة بيننا ظلنا فى ازدياد منذ اليوم الأول . وقد قدرت واحترمت السكفايات الشخصية التى يتمتع بها الأميرال باوند وأصبحنا رفيقين وصديقين على مدى الحرب فى شدتها ورخاؤها وسمودها ونحوسها . فلما فارق الحياة بعد أربع سنوات فى الوقت الذى حققنا فيه النصر ضد إيطاليا رثيته فى كلمة وجهتها إلى الأسطول والأمة جماء مملنا عن الخسارة التى أحسستها بموته .

ولعل القارئ يعرف . أنه كان لى إلمام ملحوظ بشئون الأميرالية والأسطول الملكى . وربما كانت أهم أيام حياتى تلك السنوات الأربع التى قضيتها بين سنة ١٩١١ ، ١٩١٥ فى وزارة البحرية وأنا أودى واجبى فى تهيئة الأسطول للحرب وتوجيهه فى الأشهر العشرة الدقيقة فى الحرب الماضية . وكنت قد كونت لنفسى

معلومات واسعة عن الأسطول وحرب البحار متخذاً من دروس الماضي شتى الصور وفي تلك الفترة المنقضية بين عمل الماضي وعمل اليوم درست كثيراً من الشئون وكتبت كذلك الكثير عن المشاكل الحربية . وكنت أتحدث كثيراً في مجلس العموم عن الشئون البحرية . وما زلت طوال السنوات الماضية على اتصال وثيق بالأميرالية . وإذا كنت في تلك السنوات من نقادها الشديدين فقد كنت أطلع على كثير من أسرارها وقد أدى عملي أربع سنوات في لجنة البحوث المتعلقة بالدفاع الجوي إلى معرفتي الوثيقة بآخر التطورات المصرية في شئون الرادار تلك التطورات التي أصبح لها أبلغ الأثر في الأعمال البحرية وكان اللورد شنفيلد لورد الأميرالية الأول السابق قد مضى معي بنفسه في يونية سنة ١٩٣٨ في جولة بـ مدرسة مكافئة الفواصات ببروتلاند ومضيت معه إلى البحر في مدمرة تقوم بالتدريب على كشف الفواصات باستخدام جهاز « أسديك » وكانت علاقتي الوثيقة بالأميرالية هندسون الذي كان قبل موته مرافقاً للأسطول حتى سنة ١٩٣٨ . والمحادثات التي شجعتني وزير البحرية في ذلك الوقت على إجرائها مع اللورد شنفيلد حول تصميم البوارج الجديدة والطرادات قد أتاحت لي أن أطلع أطلاعاً واسماً على مجال المنشآت الجديدة . وكنت أدرك بحكم اطلاعي على الوثائق قوة أسطولنا وطرق تأليفه سواء ما كان منه في حكم الواقع أو ما كان تحت التصميم وأعرف كيف أقارن بينه وبين أسطول كل من ألمانيا وإيطاليا واليابان .

وما أن تسلمت زمام الأميرالية وأصبحت عضواً في وزارة الحربية حتى قمت بتأليف دائرة خاصة لي للأرقام واعتمدت في ذلك على الأستاذ ليندمان صديق الأمين منذ عدة سنوات . وقد استعظمتنا مما أن نكون آراءنا وتقديراتنا واستبقيته في الأميرالية مع بضعة من الاختصاصيين والاقتصاديين الذين نثق باهتمامهم بالحقائق الواقعة دون غيرها وقد استطاعت هذه المجموعة بإرشاد ليندمان من الاطلاع على سائر المعلومات الرسمية أن تمدني على الدوام ببيانات ورسوم عن سير الحرب . وكانوا ينظرون نظرات دقيقة في سائر الوثائق الوزارية التي تنشر على وزارة الحرب ويتفحصونها بدقة ويتابعون البحث عن الأسئلة والاستعلامات التي أطلبها منهم .

(٤ - مذكرات)

. ولم تكن هناك آنذاك دائرة حكومية للإحصاء . وكان لكل وزارة إحصاءاتها وحساباتها فكانت وزارة الطيران مثلا تتبع نظاما في الإحصاء غير الذى تتبعه وزارة الحربية . وكانت وزارتا التموين والتجارة تتفاهمان بطرق مختلفة وإن اتفقا فى المعنى وكثيراً ما أدى هذا إلى الكثير من الاختلاف وإضاعة الوقت عند مناقشة أى موضوع فى وزارة الحرب . أما أنا فقد كانت لى من البداية مصادر الوثيقة فى معلوماتى التى تتصل كل منها بالأخرى اتصالاً وثيقاً . وعلى الرغم من أن هذه الأرقام كانت تشمل جزءاً خاصاً من الميدان أول الأمر ولكنها كانت ذات نفع كبير فى استحضار صورة شاملة صحيحة عن سائر الحقائق والأرقام التى تتتابع علينا .

ولم يكن الوضع البحرى المزيج الذى واجهناه سنة ١٩١٤ قد تكرر فى تلك الأيام كانت بوارجنا الكبيرة تماثل ست عشرة إلى عشر بالنسبة إلى بوارج العدو . وكانت طراداتنا ضعف قوته : أما الأسطول الألمانى فإنه مازال فى مرحلته الأولى ولم يكن فى مقدوره أن يخوض معركة بحرية .

فالبارجتان الكبيرتان بيسارك وتبريتز . اللتان زادت حولتهما عن الحد المتفق عليه كانتا مازالتا فى دور الإنشاء وبمضى عام كامل على اكتمالهما أما البارجتان — الطرادان شارنهورست وجيزناد اللتان زاد الألمان حولتهما من عشرة آلاف طن إلى ستة وعشرين ألفاً فقد تم تشييدهما سنة ١٩٣٨ بالإضافة إلى هذه الوحدات كان لدى الألمان ثلاث بوارج جيب حمولة الواحدة منها عشرة آلاف طن وهى جراف شبي والأميرال شيرودويتشلانند مع طرادين سريعين يحملان مدافع عيار ثمانى بوصات وحمولة كل منهما عشرة آلاف طن وستة طرادات خفيفة وستين مدمرة وقطعة صغيرة . وهكذا لم يكن ثمة من خطر يهدد أسطولنا من القطع الألمانية البحرية المائمة وبلحق الخطر بسيطرتنا على البحار . ولم يكن هناك أدنى شك فى تفوق الأسطول البريطانى على الأسطول الألمانى فى عدده وعدده وقوته . ولم يكن ثمة ما يمحّلنا نفترض احتياج أسطولنا إلى شىء من الناحية المادية أو التدريبية . وإذا استثنينا حاجتنا إلى بعض المدمرات والطرادات فقد كان الأسطول فى مستواه الرفيع الذى نعرفه وكان عليه أن يقوم بواجبات عظيمة

ولم تكن إيطاليا قد دخلت الحرب بعد . وكان موسوليني كما هو ظاهر يتقرب الأحداث وقد رأى على سبيل الاحتياط أن نحول سائر ملاحقاتنا إلى طريق رأس الرجاء الصالح . وكان معنا فوق تفوقنا البحري العظيم على أسطول ألمانيا وإيطاليا مما أسطول فرنسا القوى الذى وصل بإدارة الأميرال دارلان إلى حد كبير من القوة لم تتوفر له فى يوم من الأيام منذ أيام الملكية وإذا اشتركت إيطاليا فى الحرب فإن ميداننا الأول سيكون فى البحر الأبيض المتوسط . وكنت أعارض معارضة كلية . إلا أن يكون إجراء مؤقتاً . كل خطة ترمى إلى التخلي عن المراكز وإغلاق مداخل ذلك البحر وكانت قواتنا البحرية دون مساعدة الأسطول الفرنسى وموانئه الحصينة ، نستطيع أن تطرد السفن الإيطالية من البحار وتسيطر سيطرة تامة على البحر الأبيض المتوسط فى خلال شهرين على أكبر تقدير .

وكان من رأى الصحافة بزعامة صحيفة التيمس أن تقوم وزارة حرب محدودة تضم خمسة وزراء أو ستة على أكثر تقدير يخلون من المسؤوليات الوزارية فى وزارات أخرى وقد أشارت تلك الصحف إلى أن هذه هى الطريقة المثلى التى بها يتيسر وضع سياسة حربية قوية على أسس واسعة . ولا سيما فى النواحي الخطيرة الكبيرة المدى وكان القصد كما ذكرت تلك الصحف أن يوضع « خمسة رجال ليعمل لهم إلا إدارة دفعة الحرب » إلا أن هذا الإجراء كانت تنفذ دون إجراء عملية فوجودة فئة من الساسة بمنأى عن العمل — مهما تكن كفاياتهم — يحملهم غير قادرين على التعامل مع وزراء يتولون مسئوليات الوزارات الكبيرة التى تهتم بشئون الحرب . وهذا المزل ينطبق بصفة خاصة على وزارات القوات المسلحة . وليس وزراء الحرب بمسؤولين عما يقع كل يوم من الأحداث . وإذا كانوا يستطيعون أن يقدموا نصائحهم فى كلمات عامة فى بادئ الأمر أو يفتقدوا فيما بعد ، فإنهم لا يستطيعون أن يقفوا أمام وزراء البحرية أو الحربية والطيران وجها لوجه ليعترفوا كل صغيرة وكبيرة ويؤيدهم زملائهم من المحترفين فى تلك الوزارات ويتحملون المسئوليات العملية . وقد يستطيعون إذا أجمعوا أمرهم أن يقرروا ما يشاءون وإن كانوا كثيراً ما يخلطون . ولا تنتهى فيما بينهم الحجج والأقوال . والحرب تدور رحاها وتسير فى تيارها وسيكون

أعضاء وزارة الحرب عاجزين عن التصدي للوزراء المختصين المزودين بكل الحقائق والأرقام . وقد يؤنبهم الضمير إذا وجدوا أنهم سيضيعون متاعب جديدة لأولئك الذين يديرون الادارة التنفيذية . ومن ثم يتحولون إلى مراقبين نظريين يقرأون ركاما هائلا من المواد كل يوم ولا يستطيعون أن يستخدما معارفهم دون أن يلحقوا ضرراً بالمجهودات العامة . وقد لا يستطيعون في غالب الأحيان إلا أن يقدموا بدور الحكم وتسوية ما يقع من خلاف بين الوزارات . ولهذا كان مما لا بد منه أن يكون وزراء الخارجية والدوائر الحربية أعضاء دائمين في وزارة الحرب . وأن يكون من المحتمل أن يختار منهم عدد من اللجنة الكبار لأهميتهم السياسية لا لمرقتهم بشئون الحرب وهكذا أخذ العدد يتزايد عن الحد الذي كان مقرراً . فلما توليت رئاسة الوزارة لم أشأ أن أرى حولى وزراء غير مثقلين بالأعباء والأعمال وفصات التعاون مع رؤساء دوائر ومنظمات على أن أعمل مع مستشارين . فمن الواجب أن يكون لكل مناعه البومى ومهامه المحددة . حتى لا يستطيع هؤلاء الذين لا عمل لهم أن يمدوا المسائل ويخلقوا المشا كل رغبة في خلقها أو رغبة في محو رقم أو إنقاصه .

وقد أدت الأحوال القاهرة إلى التوسع في وزارة الحرب التي وضعها المستر تشمبرلين فأصبحت تضم اللورد هاليفاكس وزير الخارجية والسير صمويل هور حامل أختام الملك والسير جون سيمون وزير المالية واللورد شانيلد وزير تنظيم شئون الدفاع واللورد هانكي الوزير بلا وزارة وأضيف إلى هؤلاء وزراء القوات المسلحة وهم أنا والمستر هور بلايشيا وزير الحربية والسير كينجزلى وزير الطيران فضلا عن ذلك فقد تقرر أن يحضر اجتماعات وزارة الحرب دون شرط المضوية المستر مايدن بوصفه وزيراً للممتلكات المستقلة والسير جون اندرسون وزير الداخلية والأمن الداخلى ومن ثم أصبح عدد الوزراء أحد عشر وزيرا .

وكان سائر الوزراء قد ساهموا في شئون الدولة عدة سنوات في الفترة الأخيرة أو ارتبطوا بما نواجهه من الارتباطات في ميدانى السياسة والحرب . ولم أشارك في الحكم منذ أحد عشر عاما على وجه التقريب ولهذا لم أكن مستولا عما مضى ولم أكن في غفلة عن الأعداء بل على العكس كفت طوال السنوات الست أو السبع الأخيرة

أنكهن دائماً بالشروع التي أخذت أراها تنزل بنا . وإذ رأيتني اليوم اتسلح بقوة الأسطول المتيدة التي تكفلت بحمل أعباء القتال فأنى لا أجدنى أشمر بنقص أو حاجة وإذا أحسست شيئاً من ذلك فإن هذا الاحساس يتبدد سريعاً بما أراه من إخلاص رئيس الوزراء وزملائه وولائهم ودعمهم وكنت أعرف بعضهم معرفة تامة . فقد عمل أكثرنا مما فى وزارة المستر بلديون خمس سنوات وكنا متصلين على الدوام اتصالاً ودياً أو معارضاً على سفين المناظر المتغيرة للحياة البرلمانية وكنت أنا والمسترجون سيمون نمثل جيلاً سياسياً أقدم من الجيل الذى يشمل الوزراء الحاليين وكنت أنا وهو قد قطعنا قرابة الخمسة عشر عاماً فى مناصب الوزارات قبل أن يصل إليه أحد من الآخرين . وقد قمت بالعمل فى وزارتي التموين والبحرية إبان الحرب العالمية الأولى ورغم أن رئيس الوزراء كان متقدماً عني فى السن بضع سنوات فقد كنت الوحيد الذى بقى بعد الطوفان . وإذا كانت الضرورة والطبيعة تَحْتِمَانِ على اللجوء إلى قوة الشباب وإلى الأفكار الحديثة فقد شعرت أن من واجبي أن أبذل جهدى لى أن أكون نداً للجيل الحاكم . وأقف على قدم المساواة مع الجبابرة من الشباب الذين يحتمل ظهورهم على المسرح فى أية لحظة .

وقد عولت على معرفتي وما لدى من حماس وعقلية متيقظة حية ومن ثم عدت إلى طريقة التزميتها مرغماً أيام اشتغالى بالأميرالية عامى ١٩١٤ - ١٩١٥ وقد وجدت أنها تزيد من نشاطى ومقدرتى على العمل . فقد كنت أنام ساعة فى الساعة الأولى من وقت الظهيرة وأستغل إلى ابد الحدود بهذه مقدرتى عاجلاً على النوم العميق وبهذه الوسيلة كنت أستطيع أن أؤدى عمل يوم ونصف فى يوم واحد . ولم تسكن الطبيعة لتسمح للإنسان أن يعمل من الثامنة صباحاً حتى منتصف الليل دون هذه الراحة . وقد أسفت لأننى وجدت نفسى مجبراً على النوم كالطفل ظهر كل يوم . ولكن كان يخفف عني هذا الأسف أننى كنت أستطيع المضى فى العمل حتى الساعة الثانية أو الثالثة أو ما بعدها من الصباح وأعود فأبدأ يومى فى الساعة الثامنة أو التاسعة وقد سرت على هذا النظام طوال سنى الحرب وإنى لأنعم كل من يجد نفسه مضطراً إلى بذل كل ما يمكن من جهد الإنسان وبنائه أن يسير على هذا النوال . ولما رأى لورد البحر

الأول الأميرال باوند الطريقة التي أنبعمها لجأ إليها لكنه كان يختلف عني في أنه لا يذهب إلى فراشه بل يسترخي على مقعده وقد سار على هذه الطريقة إلى حد المغالاة فيها فكنا كثيرا ما نراه نائما في جلسات مجلس الوزراء . إلا أن كلمة ، واحدة عن الأسطول كانت كافية لإيقاظه واستعادة حيويته إلى الحد الأقصى ولم يكن يفوت عقله التيقظ أى شئ .

وكذا في خلال ذلك فرب حول مائدة مجلس الوزراء التدمير الآلى الخاطف لدولة ضعيفة . حسب الخطة التي ابتكرها هنلر فقد بث أكثر من ألف وخمسمائة طائرة إلى أجواء بولندا وأرسل ستا وخمسين فرقة بينها فرقة التسع المدرعة ليتألف منها جيش الفزو . ولم يكن البولنديون في مقدرة مهاجمهم لا من حيث العدد ولا من حيث المتاد الحربى . ولم تكن خططهم في توزيع قوتهم قائمة على أسس قوية فقد وزعوا قواتهم على سائر حدود بلادهم ولم يتركوا داخلها قوة احتياطية مركزية . وإذا كانوا يقفون من أعدائهم هذا الموقف فقد كانوا يخافون أن يتموا بالاستفزاز إذا عبأوا قوتهم في وقت مبكر أمام القوات الهائلة المحتشدة أمامهم ، وعندما وقم الهجوم الخاطف الذى وجه ضدهم لم يكن يواجه هذا الهجوم أكثر من اثنتين وثلاثين فرقة تمثل ثلثي قوتهم الفعلية . وقد أدت الأحداث السريعة وتدخل القوات الألمانية الجوية إلى حجب القوات الباقية لديهم ومنعها من الوصول إلى المواقع الأمامية حتى انهارت الجبهة . ولم تستطع الاشتراك إلا في الأحداث الأخيرة . وهكذا واجه البولنديون الفزو على ضعف قواتهم في جبهة طويلة دون أن يجدوا وراءهم سندا . ولم يكن ضعفهم من خصومهم راجعا إلى الناحية المددية فحسب بل كانوا ضعفاء في قوة المدفعية . ولم تكن لديهم إلا كتيبة واحدة مدرعة أمام تسع فرق ألمانية مدرعة . وكانت فرقة الفرسان الإثنى عشرة تهاجم الدبابات والسيارات المدرعة بسيوفها ورماحها ولكنها لم تستطع أن تلحق بها أى أذى . وقد فوجئت قوتهم الجوية — وتبلغ تسعمائة طائرة للخطط الأمامى منها نحو نصفها من النوع الحديث — في مطاراتها ودمر عدد كثير منها قبل أن تطير في الهواء . ولم يمس على الحرب يومان حتى كانت القوة البولندية قد دمرت كل التدمير . وبعد أسبوع واحد كانت الجيوش الألمانية قد توغلت بعيدا داخل بولندا ولقد كانت المقاومة شديدة قوية بأسلة ولكنها لم تجد نفعا وانهار الجيش البولندى ويبلغ عدده مليونين اسما في مدى أسبوعين .

وجاء دور السوفييات . فقد أخذوا يطبقون ما يسمونه الديمقراطية وفي السابم عشر من شهر سبتمبر تدنقت الجيوش الروسية على حدود بولندا الشرقية المجردة من الدقاع واتجهت غربا في جهة واسمة وفي الثامن عشر من سبتمبر التقوا بالألمان الذين يتعاونون معهم في بريست ليتوفسك . وكان البلاشفة قد نقضوا اتفاقاتهم الرسمية مع حلفائهم الغربيين وعقدوا صلحا مع جيوش الفيصر الألماني خاضعين لشروط الألمان القاسية . أما اليوم فقد وقفوا مع جيش هتلر في بريست ليتوفسك يصاحفونها . واستمر تدمير بولندا واستعبادها على حده الأكل . وكانت مقاومة وارسو بفضل المزعمة الجبارة التي أبداهأ أبنائها عظيمة . ولم تمنح أيام طويلة من قصف المدافع من الجو والمدفعية الثقيلة التي نقل أكثرها بصفة سريعة من الطرق الألمانية الرئيسية من الجهة الغربية وتوقفت إذاعة وارسو عن إذاعة النشيد الوطني البولندي ودخل هتلر إلى أطلال المدينة وهكذا قضى الأمر كله في شهر واحد . ووقع شعب عدده خمسة وثلاثون مليونا في قبضة لا ترحم لقوم لا يبحثون عن الاحتلال فحسب بل يريدون استعباد السكان واهلاكهم .

وقد شاهدنا صورا صحيحة للغارات الجوية الساحقة والتعارون بين قوات الجو والقوات البرية في ميادين القتال وصحق طرق المواصلات وتسليح الطانور الخامس والاندفاع الذي لا يقاوم لقوات هائلة من الميكانيكيات والمدركات . وليس البولنديون بآخر من قدر لهم هذا البلاء .

عمل الأميرالية

ذهل العالم حين رأى فترة طويلة تم ساحت القتال بمد هجوم هتلر المدر على بولندا . وبعد إعلان بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا . وقد وصف المستر تشمبرلين هذه المرحلة في خطاب له إلى صديق نشره مؤرخ حياته بأنها فترة « طلائع الحرب » وقد رأيت صدق هذا التعبير حتى أنني جعلته عنواناً لهذه الفترة . فالجيوش الفرنسية لا تقوم بأى هجوم على ألمانيا . وعلى الرغم من استكمال التعبئة فقد ظلت هذه الجيوش واقفة في أماكنها بلا حراك . ولم يقم الألمان بنشاط جوى على بريطانيا عدا أعمال الاستطلاع . ولم يقوموا بغارات جوية على فرنسا وقد طلبت إلينا الحكومة الفرنسية أن لا نقوم بغارات جوية على ألمانيا حتى لا تكون هذه الغارات سبباً في استفزاز الألمان للقيام بغارات للتأثر على مصالحهم الحربية التي كانت في حاجة ماسة إلى الحماية وكنغينا بإلقاء المنشورات على ألمانيا لرفع الألمان إلى المستوى الأخلاق الرفيع . وقد دهش الجميع لهذه المرحلة الغربية من الحرب في البر والجو فقد وقفت فرنسا وبريطانيا موقف الجود وقد تم تدمير بولندا وإخضاعها خلال أسابيع عن طريق القوة الهائلة التي استخدمتها ألمانيا . ولم يكن هتلر ليتحرج من ذلك .

إلا أن الحرب البحرية بدأت على العكس من الساعة الأولى إلى حد كبير من الشدة ومن ثم أصبحت الأميرالية المحور الأساسي للأحداث . وكانت بواخرا في الثالث من سبتمبر . تبخر في سائر أنحاء العالم في أعمالها المعتادة . وسرعان ما فاجأتها القواصات التي كانت قد وزعت من قبل بعناية في المداخل الغربية . ففي الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم قذفت بالطوربيد باخرة الركاب أثينا وحولتها ١٣٥٠٠ طن وغرقت مع ١١٢ شخصاً ممن كانوا على سطحها منهم ثمانية وعشرون من الرعايا الأمريكيين . وانتشر النبا سريعاً في سائر أنحاء العالم . ونشرت الحكومة الألمانية نخباً لسوء التفاهم مع الولايات المتحدة بيانا زعمت فيه بأننى الذى أمرت بنفس هذه الباخرة - لأوقع بين الحكومة الألمانية والولايات المتحدة . وقد لقي

هذا الادعاء من يصدقه في بعض الدوائر المادية . وأغرقت في اليومين الخامس والسادس من شهر سبتمبر بواخر « البوسنة والمسلحان الملكي وريوكلاو » قرب ساحل أسبانيا وكانت هذه البواخر كلهما من السفن ذات الأهمية .

وكانت الأميرالية قد أعدت برامج شاملة لمضاعفة عدد وحدات مكافحة الغواصات . وقد اتخذت الإجراءات السريعة بعد إعلان الحرب مباشرة لتنفيذ البرامج المعدة لبناء المدمرات الصغيرة والكبيرة والطرادات والسفن الانشائية الأخرى مع كل ما يتعلق بها . وكانت الحرب الماضية قد أثبتت نجاح نظام القوافل الحربية فمجلنا بتطبيقه في شمال الأطلنطي . ولم ينته شهر سبتمبر حتى كانت القوافل البحرية المنظمة تسير رائحة من مصب التيمس وليفربول . وآية من هاليفاكس وجبل طارق وفريتاون .

وقد شعرنا في هذه اللحظة . التي ألقت علينا عبء إطعام الجزر البريطانية وتنمية قوتنا لخوض غمار الحرب بالحساسة التي منينا بها كغنياع الموانئ الايرلندية . فعدم حيازتنا لها قد حد من نشاط مدمرائنا القليلة العدد .



وقد أصبح حتما علينا بعد أن أدخلنا نظام القوافل أن نبحث عن قاعدة سليمة للأسطول . وكانت قاعدة سكايافلو في أي حرب مع ألمانيا القاعدة السليمة التي يستطيع الأسطول البريطاني منها أن يشرف على مداخل بحر الشمال ويفرض الحصار وقد رأيت من واجبي أن أقوم بزيارة هذه القاعدة في أقرب فرصة . وأخذت إجازة من جلسات مجلس الوزراء وسافرت مع فئة من موظفي ليلة الرابع عشر من سبتمبر وقضيت معظم اليومين التاليين في التفتيش على الميناء ومداخله بما عليه من شبكات وجواجز . وقد ارتاحت نفسي حيث كانت ما زالت كما كانت في الحرب الماضية من المناعة والقوة . وقد أدخل عليها كثير من الإصلاح والتعمير . ونزلت ضيفا على السير تشارلز فوربس القائد العام في سفينة قيادته . وبحثت معه ومع كبار المسؤولين من ضباطه الحالة العامة للأسطول . وكانت بقية تحتي . في « لوك يو » وفي السابع عشر من سبتمبر ذهبت مع الأميرالاي إلى هنالك على ظهر نلسون . وكان المدخل

الضيق إليها مغللاً بسدود ممتدة من الشباك وسفن الدورية وألغام الأعماق والأوتاد البحرية . وكل مشغول بأداء واجبه وعلى طرفي المضيق ترتفع جبال أسكوتلندا بكل ما فيها من جمال ورجعت بي الذاكرة إلى ربع قرن مضى في مثل هذا الشهر حيث قمت بزيارتي الأخيرة للسيرجون جيليكو وربابنته في نفس هذا الميناء . وقد وجدتهم مع الصف الطويل من بوارجهم وطراداتهم كما هم الآن رهن المخاوف والريب .

وكان ربابنة تلك الأيام وأميرالاتها قد نزحوا عن هذه الدنيا أو أحبلوا إلى التقاعد أما اليوم فقد كانت النالبية من الضباط الذين وفدوا إلى في زيارتي للقطاعات المختلفة إما من صفار الملازمين أو البحارة . وقد مرت قهول الحرب الماضية بثلاث سنوات للتعرف على كبار الضباط والواقعة على تعيينهم أما اليوم فإني أراهم جميعاً حديشين على . وإن كان النظام والدقة وسائر المظاهر الأخرى قد ظلت كما كانت دون تغيير . وغاية الأمر أن جيلاً جديداً أصبح يملأ هذه المراكز ويرتدى تلك الملابس البحرية . أما البواخر فأكثرها خرج إلى البحر أثناء عملي بالأميرالية ولم يكن بينها أى قطعة جديدة . وقد شعرت بأننى أرتد إلى حياة قديمة في حياتي الجديدة . وقد رأيت أننى الرجل الوحيد الذى يشغل مركزاً كان يشغله من قبل . ولكن الأخطار ما زالت تحمينا كسالف حالها . بالخطر الدائم من تحت الأمواج تهدد به غواصات أقوى وأشد ، والخطر من الجو في غارات قوية شديدة الدمار .

ولا أظن إنساناً مر بتجربة كهذه مرتين مع ما بينهما من طول الزمن . ولا أحسب إنساناً أحس بالمخاطر والمسئوليات من الدورة التى هو فيها كما أحسست بها . وقد نزلت من الدورة لكى أدرك كيف يحس وزراء البحرية وكيف يعاملون عند ما تفرق بواخر كبيرة أو عند ما تسوء الأحوال . وإذا كنا نمر بنفس التجربة مرة ثانية . وهل أستطيع أن أمحمل ألم الطرد من وزارة البحرية مرة ثانية ؟ لقد مضى ويلسون وفيشر وباتنبرج وجيليكو وبتى وكنهام وستروى .

« وأصبحت أشعر كما يشعر إنسان وحيد

تطأ أقدامه قاعة حفل بهيج

أطفئت أضواؤه ، وذبلت أزهاره

وانصرف السكل ما عدا « (١)

وللنظر إلى المهنة التي لاحد لها التي نرى أننا غرقنا فيها من جديد ؟ فبولندا تعيش في آلامها . وفرنسا تعيش في انعكاس حماسها في الحرب السابقة والمارد الروسي لم يعد حليفا لنا ، ولا على الحياد . يحتمل أن يكون عدوا لنا وإيطاليا ليست بالصديقة واليابان ليست حليفة لنا . فهل لأمريكا أن تمجّل إلى معونتنا وتنضم إلى حلنا مرة ثانية ؟ وقد ظلت الأمبراطورية البريطانية متمسكة متحدة ولكنها ليست على استعداد نحن مازانا نسيطر على البحار ولكننا نقف متأخرين بدرجة مخيفة . في ذلك السلاح الرهيب سلاح الجو وقد احتجب عنى بصيص النور الذي كان أمامي .

وأخذنا القطار في ايفرنيس وسافرنا طوال ساعات الظهر والمساء إلى أن وصلنا إلى لندن . ودهشت حين رأيت أمير البحر الأول في انتظارى ، استقبلى عابس الوجه ثم قال « عندى أخبار سيئة لقد غرقت الكوريجيوس مساء أمس في قناة بريستول » وكانت الكوريجيوس من أقدم حاملات الطائرات في أسطولنا . ولكنها لاغى عنها في هذا الوقت . فشكرته لتحمله مشقة الحضور ليبلغنى هذا النبأ . وقلت « ليس في استطاعتنا أن نتحمل حربا تسير هكذا وإذا سرنا على هذا المنوال فسوف يحدث لنا مثل هذا من وقت لآخر . وإن كنت قد رأيت الكثير منه فيما مضى . ومضيت إلى الحمام لأبدأ عمل يوم آخر .

فلما انقضى شهر سبتمبر لم يكن ثمة كثير مما نشكوه من نتائج المارحة الأولى من الحرب البحرية . وقد أحسست أنى أودى على بقوة ونجاح وقد تحملت مسؤولية تلك الوزارة التي أحبها وأعرفها كل المعرفة . وقد الممت بكل ما يحدث وما ينتظر حدوثه . وعرفت أين تقف الأمور . وكنت قد قمت بزيارة القواعد البحرية الرئيسية على اختلافها واجتمعت بمختلف القادة البحريين وأنى وزير البحرية المسئول أمام التاج والبرلمان عن كافة أعمال البحرية . وقد كنت ولاشك على استعداد تام للقيام بواجبى .

(١) من أبيات للشاعر توماس مور

وانقضت فترة الانتقال الرهيبة الخطر من السلام إلى الحرب وكان على التجارة العالمية أن تتحمل غرما كبيرا . فالنواصات تهاجها بغير تمييز منتهكة حرمة القوانين الحربية البحرية والاتفاقات الدولية لكن سير القوافل أخذ يتمشى في طريقه الطبيعى وقد أخذت السفن التجارية ترحل من موانئنا كل يوم في مجموعات وقد زودت كل منها بمدفع وفريق من المدفعية المدربين وأخذت كاسحات الألغام المجهزة بمعدات كشف النواصات والقطع البحرية الصغيرة المسلحة بقنابل الاغوار مما أعدته الأميرالية قبل أن تؤدي جيمها واجها في عدد كبير وزيادة دأمة . وأحسنا أن هجوم النواصات السابق على التجارة البريطانية قد انهار وأننا قد سيطرنا على الخطر . وكان من المعلوم لنا أن الألمان سيشيدون مئآت من النواصات ، وأن عددا كبيرا منها بوشك على الانتهاء وعليها أن نتوقع أن تبدأ الحرب الرئيسية للنواصات في مدى اثني عشر شهرا أو ثمانية عشر شهرا على الأكثر . ولكننا كنا نتوقع في ذلك الوقت أن نكون قد أتممنا تشييد مدمراتنا والقطع المضادة للنواصات . وقد جعلنا لها الشأن الأول من اهتمامنا حتى نكون على استعداد لمواجهة الخطر بقوة .

ومضت خلال ذلك عملية نقل قوات الحملة البريطانية إلى فرنسا تسير قدما وفي بساطة ويسر . وقد أقننا على ألمانيا حصارا كالذي أقننا عليها في الحرب السابقة وكانت طراداتنا على سطح البحار تطارد البواخر الألمانية . ونجمي بواخرنا من هجوم الوحدات الألمانية وقد توقفت الملاحة الألمانية . وأجبرت ، ٣٢٥ باخرة ألمانية تبليغ حولتها ثلاثة أرباع مليون طن إلى التوقف في الموانئ الأجنبية . ولعب حلفاؤنا الفرنسيون كذلك دورهم في هذه الحرب فتكفلوا بمهمة الإشراف على البحر الأبيض المتوسط . وعاونونا في المعركة ضد النواصات في المياه الداخلية وخليج بسكاي . كما قامت قوة كبيرة في ميناء دكار بدور كبير في تنفيذ خطط الحلفاء في أواسط الاطلنطي وأعمال الوقاية من قطع الألمان المهاجمة .

وقد وقع في نفسى موقع السرور تلقى رسالة شخصية من الرئيس روزفلت وكنت قد قابلته مرة واحدة في الحرب الماضية في حفلة عشاء وقد أدهشنى بما يتمتع به من بظلة الذهن ومن شباب وحيوية . ولم يكن بيننا إلا تبادل التحيات . وقد كتب إلى

يقول « لما كان وضعنا في الحرب المالية الماضية متشابها . فاني أود أن أبلغك مقدار سرورى بمودتك إلى الأميرالية وإذا كانت مشا كلكم قد ألت بها عوامل جديدة جعلتها معقدة إلى حد ما فاني أرى الوضع الرئيسى لم يختلف عن سابقه . وكل ما أريد منك ومن رئيس الوزراء أن تعرفا أننى أرحب باتصالكما الشخصى بى وموافقى بكل ما تريدان أن تبلغانى من الأخبار . ومن اليسور أن تبعثا إلى برسائل مغلقة ومختومة بحقيبتنا السياسية أو حقيبتكم » .

وقد أسرع بالرد على هذه الرسالة واستخدمت توقيع « شخص من البحرية » وبهاتين الرسالتين بدأنا مراسلاتنا الطويلة التى تجاوزت الألف رسالة من كل منا وقد تتابعت باستمرار حتى وفاته فى حوالى خمس سنوات .

وفى شهر أكتوبر وقع حادث كان له أسوأ الأثر على الأميرالية فى الرابع عشر من ذلك الشهر جاء تقرير بأن غواصة دخلت إلى ميناء سكا بافلو . واختارت وسائلنا الدفاعية وأغرقت البارجة « رويال أوك » بحرسها بالميناء . فقد انطلق عدد كبير من الطوربيدات أصاب أحدها قوس البارجة وأحدث فيها انفجاراً مكثوما ولم يستطع الأدميرال والبان وما على ظهر البارجة أن يوقنا بأن طوربيدا أصاب بارجتهما وهى راسية بميناء سكا بافلو فى أمان واعتقدا أن الانفجار داخلى ولم تمض عشرون دقيقة حتى انهال على البارجة سيل آخر من الطوربيدات وأصاب ثلاثة طوربيدات أو أربعة البارجة فهوت إلى الأعماق وكانت الغالبية من رجالها يقومون بعملهم ولم يستطع أحد منهم أن ينجو من الفرق للسرعة الفائقة التى أغرقت فيها البارجة .

ولا شك أن هذا الحادث الذى يعد من أعمال الشجاعة والجرأة الخارقة بالنسبة إلى قائد الغواصة الريان براميين قد اهتز له رأى العام البريطانى . وكان هذا الحادث كافياً للقضاء قضاء سياسياً على أى وزير من الوزراء إذا كان مسؤولاً عن إعداد الإجراءات الوقائية قبل الحرب . وقد أخلا من اللوم فى هذه الأشهر الأولى أتى كنت حدث عهد بالوزارة ولم تحاول المعارضة استغلال الحادث ضد الحكومة . وقد وعدت بعمل تحقيق شديد وقد تبين من التحقيق ضرورة تأمين وسائل الدفاع

عن الميناء ضد أى هجوم قبل اتخاذ قاعدة للأسطول وقد انسلخت ستة أشهر حتى
يمكن الانتفاع بما أبقنا من تحصينات .

وبدا خطر جديد رهيب يهدد كيفذا . ذلك أن ما يقرب من اثنتى عشرة باخرة
تجارية أغرقت عند مداخل موانئنا فى شهرى سبتمبر وأكتوبر على الرغم من إخلاء
هذه الموانئ من الألغام وقد شكت الاميرالية من وجود ألغام مخفطة يستخدمها العدو .
ولم تكن هذه الألغام بالجديدة علينا فقد بدأنا باستخدامها على نطاق ضيق فى آخر
الحرب العالمية الأولى . ولكننا لم نكن قد أدركنا مدى الأضرار البالغة التى تحدث
من استخدام ألغام أرضية كبيرة تبشها السفن أو الطائرات على أغوار بعيدة . لم
يكن من اليسور الوصول إلى علاج لهذه الحال إلا إذا عثرنا على نموذج من هذه الألغام .
وقد بلغت الخسائر من بواخر الحلفاء والبواخر المحايدة من جراء الألغام فى شهرى
سبتمبر وأكتوبر نحو ستة وخمسين ألف طن مما دعا هنر فى شهر نوفمبر إلى أن
يشير إشارة خافية إلى هذا السلاح السرى الجديد الذى لا يمكن اتقاؤه وقد جاء فى ذات
ليلة وأنا فى شاريتويل الاميرال بارلند . وقد ظهرت عليه أمارات القلق ليخبرنى بفرق
ست بواخر عند مداخل نهر التيمس . إن البواخر التى تدخل الموانئ البريطانية
وتخرج منها تمتد بالثلاث . وإن هذه الحركة تتوقف عليها حياتنا . ولا شك أن خبراء
هتلر قد أوعزوا إليه بأن مثل هذا الهجوم سيؤدى إلى هلاكنا ويسرع بنهايتنا .
ومن حسن الحظ أن هتلر قد بدأ يستخدم هذا السلاح على نطاق محدود .

وقد أسمعنا الحظ بصورة مباشرة فقد ظهرت طائرة ألمانية بين الساعة التاسعة
والعاشر مساء اليوم الثانى والعشرين من شهر نوفمبر وشوهدت وهى تلقى شيئاً
كبيراً بمظلة إلى البحر بالقرب من شوبارنيس . وفى هذه المنطقة تغمر الساحل
مساحات شاسعة من الطمى الذى يبدو عند انحسار مياه البحر . ولا شك أن الشىء
الذى ألقيه الطائرة أياً كان لا بد أن يثر عليه ويفحص فحماً جيداً بعد إخراجه من
الماء . وكانت هذه فرصة سانحة لنا . وقبيل منتصف تلك الليلة استدعى إلى مقر
الاميرالية ضابطان كبيران من الضباط البارزين فى مؤسسة تطوير الاسلحة المائية
وهما أوفرى ولويس واجتمعت بهما مع لورد البحر الأول وسمعنا آراءهما . وفى الساعة

الواحدة والنصف صباحاً من الصباح ركبا السيارة إلى ساوئيند للقيام بمهمة الاستخلاص الرهيبة . وقد تمكنا قبل فجر الثالث والعشرين من الشهر في الظلمة وبلاستمانه بمصباح صغير من العثور على اللغم على بعد خمسمائة ياردة ونظرا لشدة المد فإنهما لم يستطعا أن يقوما بأي عمل غير فحص اللغم وعمل الترتيبات اللازمة لمعالجته بعد انحسار المد .

وبدأت العملية الدقيقة في الساعات الأولى من الظهر وقد عثر على لغم آخر بالقرب من الأول . وقام أوفري بمساعدة ضابط آخر يدعى يلدوين بمعالجة اللغم الاول ووقف زميله لويس ومعه البحار القدير فيرنيسكب في مكان أمين ينتظران النتيجة متأهبين للطوارئ . وكان أوفري كلما انتهى من عملية بحث بنتيجتها بالإشارات إلى لويس حتى يمكن الاستفادة منها في معالجة اللغم الثاني . وهكذا حققت الجهود التي بذلها الرجال الاربعة النجاح المأمول في اللغم الاول . وعاد بعض الاشخاص تلك الليلة إلى الاميرالية ليبلغونا أن اللغم قد استخلص سليما وأنه في الطريق إلى بورتسماوث لفحصه فحماً دقيقاً . وقد تلقيت هذا النبأ بحماس شديد وأسرعت بمقد اجتماع في سالتنا الكبرى شهده نحو من ثمانين أو مائة مابين ضابط وموظف وقد أخذوا يصنعون إلى الحادث والاحطار التي كانت تهددنا .

وبدأنا نطبق كل ما لدينا من علم وقوة حتى أدت التجارب إلى نتائج عملية . وكنا نقلب الأمور على سائر الوجوه ونبتكر كل الوسائل للقضاء على هذه الألغام بالطرق المستحدثة لكسحها وإعداد وسائل الدفاع السلبية لتسليح سائر البواخر لمواجهة مثل هذه الألغام إذا لم يمكن تجنبها أو اكتساحها قبل . وقد استطعنا تحقيق هذه الغاية بإبتكار نظام فعال لنزع مغناطيسية البواخر بتطويقها بأسلاك كهربائية . وقد وزعت الأجهزة الخاصة بذلك على جميع البواخر من شتى الأحجام . لكن الحوادث الخطيرة ظلت كما كانت . فقد انفجر لغم تحت الطراد الجديد بلغاست في « فيرت أوف فورث » في الحادي والعشرين من نوفمبر وأصاب لغم في الرابع من ديسمبر البارجة نلسون وهي في طريقها للدخول إلى « لوك يو » . ومع ذلك فقد استطاعت القطعتان من الوصول إلى ميناء أحواض السفن لإصلاحهما . وجدير بالذكر

— ٢٤٤ —

أن المخابرات الألمانية لم تستطع أن تحترق ستر السكتان التي أُرخيناها على حادث إصابة البارجة نلسون حتى تم إسلاحها وعادت سيرتها إلى البحار على أن الألوف من الانكسار قد ألوا بالحقيقة منذ البداية .

وقد أمكنتنا التجارب عاجلاً من الحصول على وسائل أسرواً أحدث لمكافة الألغام . وكان لذلك النجاح تأثيره الممنوع العظيم لكن اعتمادنا الأساسي في التغلب على محاولات العدو ظل قائماً على عمل كاسحات الألغام البحرية ، إلى جانب الجهود الثائرة التي ما زال يبذلها الفنيون الذين اكتشفوا الأجهزة الجديدة التي تستعملها تلك الكاسحات ورجالها .

وقد استطعنا على الرغم مما طائنا من أوقات القلق أن نسيطر على خطر الألغام وتهديدها . ومن ثم أخذ ينشع خطرهما .

وأقف هنا لحظة لأستعرض هذه الناحية من الحرب البحرية فقد كان علينا أن نركز جزءاً كبيراً من جهودنا الحربية في مكافة الألغام . وقد نقلنا الكثير من المال والمعدات من الميادين الأخرى إلى هذا الميدان . وقد كان الألوف يجازفون بحياتهم ليل نهار في كسح الألغام . وقد وصل الرقم إلى أقصاه في يونيو سنة ١٩٤٤ حيث كان نحو ستين ألفاً يعملون في هذا المجال . ولم يكن ليؤثر أى شيء على حماس أسطولنا التجاري وقوته الممنوعة التي كانت ترتفع مع الصعوبات التي صاحبت معركة الألغام وما اتخذناه من الإجراءات القوية الفعالة .

ولا شك أن جهود الأسطول وشجاعته وجلده كانت جميعها السبيل الوحيد إلى الخلاص . ولم نكن قد تعرضنا بمد لآى تحد بارز في الميدان الواسع للعمليات البحرية . ولكن هذا التحدى لم يلبث أن وقم . ولعل الإلغام بوصف عمليتين رئيسيتين مع قطع ألمانية غازية ، يكون خير خاتمة لهذا الفصل من الحرب البحرية سنة ١٩٣٩ .

لا شك أن خط الحصار الطويل القى ألقاه إلى الشمال من أوركى والقى يتألف

غالباً من الطرادات التجارية المسلحة التي تؤيدها بعض السفن الحربية بعض الأحيان كان معرضاً على الدوام لهجوم مباغت من القطع الألمانية الكبيرة وعلى الأخص البارجتان الطرادان السريمان شارنهورست وجنيزناو ولم يكن في مقدورنا أن نصد هذه الضربات . وكان كل أملنا أن نضطر هذه القطع المهاجمة إلى أن تدخل معنا في معركة حاسمة .

ورأت الطرادات التجارية المسلحة راوليندى بعد ظهر الثالث والعشرين من شهر نوفمبر بارجة معادية فأخذت تقترب منها بسرعة وظلت أن البارجة العدو هي بارجة الجيب دوتشلند فأبرقت بذلك في الحال . ولم يكن قائد راوليندى القبطان كينيدى ، يشك في نتيجة مثل هذه المعركة . فسفينة باخرة ركاب عادية حولت إلى طراد به أربعة مدافع قديمة عيار ست بوصات . بينما تحمل البارجة ستة مدافع من عيار احدى عشرة بوصة . بالإضافة إلى الأسلحة الثانوية التي تحملها . وعلى الرغم من ذلك فقد جازف قائد السفينة وقرر أن يقاتل إلى النهاية . وبدأت السفينة المعادية باطلاق النار على مسافة عشرة آلاف ياردة فردت عابها السفينة راوليندى . ومازالت المعركة بينهما حتى تمطلت جميع مدافع راوليندى وأصبحت قطعة من النيران وغرقت مع ربانها و ٢٧٠ من رجالها البواسل في حلقة الظلام .

ولم تكن السفينة الألمانية المعادية التي قامت بهذه المعركة هي دوتشلند ولكنها كانت الطراد شارنهورست ومعها جنيزناو وكانتا قد غادرتا ألمانيا قبل المعركة بيومين المهاجمة قوافلنا في الأطلنطي وقد عدلنا عن إتمام مهمتهما بعد أن اصطدمتا براوليندى وأغرقتاها وخشيتمنا من هذا العمل بعد أن اكتشف أمرهما . وشاهد الطراد نيوكاسل أثناء قيامه بدوريته النيران المندلعة وقد استجاب لرسالة راوليندى الأولى ووصل إلى مكان المعركة مع الطراد دلهي وقد وجدا الباخرة الملتهبة مازالت طائمة . وحاول نيوكاسل مطاردة العدو ولكن القطعتين اختفى أثرهما وتمكن العدو من الفرار .

وامتلات نفوس الجميع أملاً في إرغام هاتين السفينتين الألمانييتين على خوض المعركة . وخرج القائد العام في الحال إلى عرض البحر بأسطوله كاملاً . وكان أربعة عشر طراداً يكنسان بحر الشمال في الخامس والعشرين ومعها المدمرات والنواصات (• - مذكرات)

وبارجة القيادة ولكن لم يكن الحظ مواتيانا . فلم يستطع أسطولنا العثور على شيء ولم يبد مايدل على أية حركة معادية نحو الغرب وظلت عملية البحث تسير بنشاط وحماس على الرغم من رداءة الجو سبعة أيام ثم علمنا أن شارنهورست وجينزجاو دخلتا بحر البلطيق سالمين وقد تبين لنا أنهما مرتا عند خط طرادتنا التي كانت تقوم بأعمال الدورية بالقرب من الساحل النرويجي صباح السادس والعشرين من شهر نوفمبر وقد تمذرت رؤيتهما لكثرة الضباب .

وكان من الممكن أن يفرض الاتصال بواسطة الرادار العصى ولكنه لم يكن موجوداً . وقد كان لهذا الحادث أثر سيء لدى الرأى العام بالنسبة للاميرالية ولم يكن فى وسعنا أن نبين لكل إنسان اتساع البحار والمجهودات الجبارة التي يقوم بها الأسطول فى سائر المناطق وقد مضى شهران على نشوب الحرب مع مامينا به من الخسائر العديدة ولم نكن نستطيع أن نبدى شيئاً مما ألحقناه بالعدو ولم نجد مجالاً للرد على من يسأل « ماذا يعمل الأسطول ؟ »

وكانت السفن الألمانية المهاجمة تستطيع أن تكون ذات أثر فى الاغارة على سفننا وإصابة تجارتنا إذا صممت على ذلك فقد شيدت بوارج الجيب الألمانية الثلاث التي صممت بها معاهدة فرساي على أن تكون مدمرات تجارية . وقد اشتملت كل منها بطريقة عجيبة على ستة مدافع من عيار إحدى عشرة بوصة مع أسلحة إضافية عديدة ودروع من الفولاذ ، وكانت تسير بسرعة ست وعشرين عقدة فى اليوم ولم يكن فى مقدور أى طراد بريطانى واحد أن يقف وجهاً لوجه أمام بارجة جيب من هذا الطراز .

وكانت الطرادات الألمانية ذات مدافع من عيار ثمانى بوصات وهى حدث من طراداتنا . وتستطيع أن تكون سلاحاً رهيباً إذا استخدمت فى الإغارة على السفن التجارية . وكان فى استطاعة العدو أن يستخدم كذلك سفننا تجارية ثقيلة التسليح تحت ستار العمل التجارى البرىء : ولم تبرح القذكرة أعمال الغزو والسلب التي قامت بهما السفينتان ايمدن وكونجزبرج سنة ١٩١٤ حين اضطررنا إلى الزج بأكثر من ثلاثين بارجة وقطعة بحرية فى معركة تدميرها .

وأشيع قبل نشوب الحرب أن بارجة أو اثنتين من بوارج الجيب ابجرتا من ألمانيا وعبثا حاول أسطولنا أن يعثر عليهما . وقد تبين أن كلا من دوتشلند وجراف شبي قد ابجرتا ما بين الحادى والعشرين والرابع والعشرين من شهر أغسطس واخترقتا منطقة الخطر وأصبحتا طليقتين تفحركان كيف شاءتا في المحيطات وذلك قبل أن نعرض حصارنا وننظم شئون دورياتنا . وكانت الدوتشلاند في الثالث من سبتمبر قد عبرت مضيق الدانمارك وأخذت تترصد ببوارخنا الدوائر على مقربة من جرينلاند . أما جراف شبي . فقد اجتازت طريق القوافل شمال الأطلسي ولم يرها أحد وانبرت إلى الجنوب من جزر الآزور وكل منهما تصحبها باخرة لتمونها بالوقود وغيره من المطالب الأخرى . وظلت البارجتان في البداية متوقفتين عن النشاط وقد احتجبتا في غيابة المحيطات ولم يكن لهما من أثر مالم توجهها ضربات شديدة إلا أنهما كانتا في مأمن من الخطر .

وفي الثلاثين من سبتمبر غرقت الباخرة البريطانية كليمنت وحولتها خمسة آلاف طن وهي تبصر منفردة بالقرب من برنامبوكو وقد هاجمتها جراف شبي . وثارت ثائرة أميرالية وكان هذا وقتها المنتظر فتألفت في الحال وحدات لاصطياد البارجة تشتمل على حاملات الطائرات والبوارج والطرادات وقد زودت كل منها بالقوة اللازمة للقضاء على البارجة الألمانية مجرد العثور عليها .

وفي الأشهر التالية كانت تسع وحدات مطاردة تضم أكثر من ثلاث وعشرين قطعة من أقوى القطع البحرية تبحث عن البارجتين الألمانيتين . وكان في استطاعة هذه الوحدات أن تحمي المناطق الرئيسية التي تمر بها سفننا التجارية في الأطلسي والمحيط الهندي وإذا أقدم العدو على مهاجمة أى طريق من طرقنا التجارية سيكون ولا شك في متناول مجموعة من هذه الوحدات .

وقد أدركت الدوتشلاند التي كان عليها أن تعطل طرقنا الحيوية شمال غرب الأطلسي منزى الأوامر التي صدرت إليها بالحرص البالغ فلم تقصد خلال الشهرين ونصف من ابجارها لقوافلنا التجارية وقد ترتب على ابتعادها عن الاشتباك بالقوات البريطانية إلى عدم قيامها بعملية إغراق رئيسية . ووقفت جهودها عند إغراق

سفينتين صغيرتين إحداهما نرويجية . وفي نوفمبر استطاعت أن تعود متسللة إلى ألمانيا عن طريق المحيط المتجمد الشمالى . وقد كان وجود هذه الباقرة الحربية فى طريق مواصلاتنا الرئيسى يفرض عبئاً ثقيلاً على وحدات حراستنا والوحدات المكافئة بالبحث عنها فى شمال الأطلنطى . وكنا نفضل لو تصدت لنا الباقرة المادية على أن نبقى معرضين دائماً لخطرها .

وكانت جراف شبي أكثر جرأة وأوسع حيلة . وقد أصبحت موضع الاهتمام فى جنوب الأطلنطى . وكان سبيلها فى العمل أن تظهر فترة قصيرة تتمكن خلالها من فريسة توقعها ثم تختفى فى مجاهل المحيطات الواسعة وقد ظهرت مرة ثانية إلى الجنوب من مكانها الأول على طريق رأس الرجاء الصالح فأغرقت باخرة ثم اختفت عن الأنظار أكثر من شهر كانت وحداتنا خلاله تبحث عنها فى كل مكان وقد ركزت بحثها فى المحيط الهندى ولم يكن ثمة شك فى أنها تتجه إلى ذلك المحيط ، فقد أغرقت فى الخامس عشر من نوفمبر ناقلة زيت بريطانية صغيرة فى مضيق موزمبيق بين مدغشقر والشاطئ الإفريقى . وقد سجلت مكان ظهورها فى المحيط الهندى لتسفل الأنظار بوجودها فى هذه المنطقة . وأمر ربانها « لانجسد ورف » وهو من خيرة ضباط البحرية الإكفاء بعودتها سريعاً إلى المحيط الأطلنطى ماراً على بعد كبير من رأس الرجاء ولم نكن نجهل هذه الحركة . إلا أن خططنا قد فشلت لسرعته فى الانسحاب . ولم تكن الاميرالية على ثقة من عدد السفن الألمانية المنيرة أهى واحدة أو اثنتان . لذلك فقد ظل البحث على أشده فى المحيطات . وقد خيل إلينا أن الاميرال شير ، شبيهة جراف شبي نسيباً أيضاً فى عرض المحيط . فكان العبء الملقى علينا كبيراً لا يتصوره العقل على الرغم من أن قوة العدو كانت صغيرة . وقد دار بخلدى وأنا أذكر أحداث اليوم ذكر الاسابيع المقلقة التى سبقت معركة كورونيل وجزر فولكلاند فى ديسمبر سنة ١٩١٤ حيث كنا مستعدين فى سبع جهات أو ثمان فى المحيط الهادى وجنوب الأطلنطى فى انتظار الاميرال شبي بطراديه السابقين شارنهورست وجينزناو . وقد مر نحو ربع قرن .

ولكن اللز مازال كما كان . وقد شعرنا بارتياح حين علمنا أن جراف شبي

عاد إلى الظهور عن طريق مدينة الرجا ، فريتاون وأغرقت الباخرة دوريك ستار مع
باخرة ثانية في الثاني من ديسمبر ثم ثالثة في السابع منه .

وكانت مهمة السكومودور هاروود منذ بداية الحرب حماية البواخر البريطانية
المبحرة من نهر لابلاتا وميناء ريبودى جانيرو وكان واتقا من أن جراف شي ،
سقاءى ولا محالة إلى الأماكن القريبة من مصب نهر لابلاتا وكان قد وضع خطة بعد
تفكير طويل لملاقاة البارجة عند وصولها وكان مقدر أن في استطاعة طراديه كبرلانند
وابكستر اللذين يحملان مدافع من عيار ثمانى بوسات وطراديه إجاكس وأخيل
اللذين يحملان مدافع من عيار ست بوسات أن تقصدى لبارجة العدو وتفنى عليها
إذا اجتمعت الأربع معا عند المعركة وإن كانت ضرورات الوقت لا تجعل ذلك يسيرا
فلما سمع في الثاني من شهر ديسمبر أن جراف شي أغرقت الدوريك ستار قدرها روود
وكان تقديره صحيحا أن البارجة الألمانية على الرغم من وجودها في تلك اللحظة — على
بعد ثلاثة آلاف ميل ستنتج إلى مصب لابلاتا وقد قدر موعد وصولها تقديرا سديدا
صاحبه شيء من حسن الحظ في الثالث عشر من الشهر فأمر جميع وحداته بأن تحتشد
هناك في الثاني عشر من شهر ديسمبر وكانت كبرلانند لسوء الحظ تجرى بمض
الاصلاحات في ذلك الوقت إلا أن الطرادات الثلاثة الأخرى تجمعت على مقربة من
مصب النهر صباح الثالث عشر وفي الساعة السادسة والدقيقة الرابعة عشرة شوهد
الدخان من بعد وجاء وقت المعركة .

وكان هاروود يقف على سطح طراديه إجاكس وقد أمر بتوزيع قواته لمهاجمة
بارجة الجيب الألمانية من جهات مختلفة لتفريق قوة نيرانها ثم اقترب مسرعا من
البارجة المدوة ، وخيل للربان لانجسدورف بادى الأمر أنه أمام طراد ضعيف
واحد ومدمرتين فأسرع إلى المعركة ، ولكنه سرعان ما أدرك قوة الخصم وعرف
أن معركة فتاكة في انتظاره ، وأخذ كل من الخصمين يقترب من الآخر بسرعة
خمسين ميلا في الساعة ولم يتسع الوقت أمام لانجسدورف ليتخذ قرارا وكان أسلم
طريق له أن يعود أدراجه وبشغل مهاجميه أكبر وقت ممكن وهم على مدى نيران

مدافعه الثقيلة البعيدة المدى بينما هم عاجزون عن إصابته . وكان في مقدوره أن يستفيد من الميزة التي يتمتع بها في إطلاق مدافعه وقد يستطيع أن يشل حركة أحد الطرادات المهاجمة قبل أن يصل إلى مسافة إطلاق النار عليه ولكنه قرر عكس ذلك ورأى أن يواصل مهاجمة أليكسيتر وقد بدأ العمل من الجانبين في وقت مما .

وبرهنت طريقة الكومودر هاروود على سدادها ، فقد أصابت مدافع أليكسيتر من عيار ثمانى بوصات البارجة المادية في أولى مراحل المركبة بينما كان الطرادان الآخران اللذان يحملان مدافع من عيار ست بوصات يصبان على العدو نيران مدافعهما وأصيب الأيكسيتر إصابة مباشرة أطاحت ببرجه ودمرت سائر المواصلات وترك جميع من يقفون على ظهره بين قتيل وجريح وقد أفقدت ربانه السيطرة على سفينته . ولكن جراف شبي لم يستطع أن يتجاهل الطرادين الآخرين فحول لاجئسدورف إليهما نيران مدافعه الثقيلة وقد أتاح للاكسيتر فرصة تستريح فيها في تلك اللحظة الحرجة .

وأحس الريان الألماني خطورة الموقف فاستدار عازما على الانجاء إلى نهر لابلانا وقد أطلق ستارا من الدخان ليخفي وجهته وكان أولى له أن ينفذ هذه الخطة بادية الأمر .

ثم عاد جراف شبي بعد هذه الاستدارة إلى إطلاق النار على الأيكسيتر الذي أصيب إصابات شديدة عطلت سائر مدافعه الأمامية واشتعلت النيران في وسطه وعلى الرغم من ذلك فقد جمع الريان بل ضابطين أو ثلاثة في مراكز المراقبة الثانية وحافظ على حركة الباخرة أطول مدة مستطاعة حتى لم يبق في وسمه أن يعمل شيئا فاستدار في الساعة والدقيقة السابعة الأربعين واتجه إلى أقرب ميناء لعمل الإصلاحات اللازمة وتوقف عن خوض غمار المركبة .

ومازال أجاكس وأخيل يطاردان الجراف شبي في معركة من أقوى المعارك . وقد اعتدلت لهما البارجة الألمانية بجميع مدافعها الكبيرة وفي الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والعشرين نسفت قنبلة برجامن أبراج أجاكس وأصيب أخيل

بأضرار بالغة . ولم يكن في مقدور هذين الطرادين الخفيفين أن يقفوا في معركة أمام نيران بارجة العدو . فلما أحس هاروود أن ذخيرته تكاد أن تنتهي قرر التوقف عن القتال حتى يرعى الليل سدوله وتتاح له فرص أحسن لكي يستخدم مدافعه الخفيفة . وقد يجد فرصة لاستخدام الطوربيد . وانسحب هاروود تحت ستار من الدخان ولم يحاول العدو أن يطارده وظلت هذه المركبة ساعة وعشرين دقيقة واتجهت الجراف شي سائرة نحو مونتفيدو والطرادان البريطانيان في إثرها على بعد دون أن يشتبكا معها في معركة عدا بعض طلقات متبادلة بين الفريقين . وقد دخلت الجراف شي ميناء مونتفيدو بعد منتصف الليل لإصلاح ما فيها والتزود بالمؤن وأزال الجرحى ونقل رجالها إلى سفينة تجارية ألمانية وأبرقت إلى الفوهرر . ووقف الطرادان أجاكس وأخيل خارج الميناء وقد عقدا العزم على تدميرها إذا غامرت بالخروج من الميناء وفي خلال ذلك كان الطراد كبرلانند الذي كانت قد انتهت عملية إصلاحه في جزر نواكلاند قد أسرع ليحتل محل أبكسيتر الذي توقف عن العمل . وبوصول الطراد الجديد تعادل الموقف الذي كان موضع الشك .

وأرسل الريان لانبجسدورف في السادس عشر من ديسمبر إلى الأميرالية الألمانية بأن النجاة مستحيلة وتساءل إذا كانت التعليمات تقضى بأن يقوم بإغراق الطراد في مصب نهر لا بلاتا على قلة غوره أو ترى أن يقدم نفسه أسيراً .

وعقد الفوهرر اجتماعاً تحت رأسه وقد حضره الاميرال ريدير والجنرال يودل وتقرر أن يرد عليه بهذه العبارة « حاول بسائر الطرق أن نمد فترة بقائك في المياه المحايدة وحاول أن نشق طريقك نحو بيونيس ايرس إذا تيسر لك . لا أسرفي أوروغواي حاول تدمير البارجة تماماً إذا تقرر إغراقها ونقلات البارجة غراف شي أكثر من سبعمائة من بحارتها مع أمتعتهم وزادهم إلى الباخرة الألمانية الراسية في الميناء . وبعد قليل علم الاميرال هاروود أنها أخذت تفك مراسيها . وفي الساعة السادسة والربع شوهدت على مرأى من ألوف النظارة وهي تغادر الميناء وتجه في بطاء إلى البحر حيث تنتظرها الطرادات البريطانية .

وفي الساعة الثامنة والدقيقة الرابعة والخسين والشمس مؤذنة بالغروب . أعلنت

الطائرة العاملة من أجا كس أن جراف شبي قد نسفت نفسها . وقد أنهارت أعصاب
لأنجسدورف لخسارة باخرته فانتحر بعد يومين .

وهكذا انتهت المرحلة الاولى من مراحل تهديد التجارة البريطانية في المحيطات
بواسطة الغيريات وقبل ربيع سنة ١٩٤٠ لم تظهر أية سميكة مغيرة أخرى حين ابتداء
الامان حملة جديدة واستخدموا البواخر التجارية المتكررة وكان في مقدورها أن تتجنب
اكتشاف أمرها بسهولة إلا أن التدمير لم يكن يحتاج ذلك الجهد الذي يحتاجه تدمير
بارجة جيب المانية .

الجهة الفرنسية

اتجهت القوة البريطانية نحو فرنسا عندما بدأت الحرب وما كدنا نصل إلى منتصف شهر أكتوبر حتى كانت أربع فرق بريطانية من المحترفين قد احتلت مواقعها على الجهة الفرنسية البلجيكية ، ولم يحل شهر مارسى سنة ١٩٤٠ حتى كانت ست فرق أخرى قد انضمت إلى هذه الفرق . فأصبح مجموعها عشر فرق وقد انتظمت جهتنا بإزدياد قواتنا ، ولكننا لم نكن على اتصال بالعدو في أى مركز من المراكز .

فلما وصلت الحملة البريطانية إلى مواقعها ، وجدت الخنادق معدة للدبابات على طول الخط ، وعلى أبعاد حوالى ألف ياردة مواقع من الاسمات تتيح إطلاق نيران من الخنادق بالدافع الرشاشة والمضادة للدبابات ، وكانت الاسلاك الشائكة مقامة فى نطاق متصل . وكانت مهمة جنودنا فى فصلى الخريف والشتاء متجهة إلى تحسين مواقع الدافع التى أقامها الفرنسيون وتنظيمها على صورة من خط سيجفريد .

وكان العمل يسير بخطى واسعة على الرغم من الجليد المتراكم وقد ظهر من الصور الجوية التى أخذت أن الالمان كانوا يقومون بتوسيع خط سيجفريد باتجاه الشمال عبر الموزيل ، وعلى الرغم من الزايا التى يفيد بها الالمان لقرب المواد الأولية وتيسير العمل . فقد كان عملنا يسير بنفس السرعة التى يسرون بها . وأقيمت المنشآت اللازمة لإقامة قاعدة كبيرة كما تم تحسين الطرق . ومدت سكك حديدية واسعة طولها مائة ميل . وتم إنشاء وتحسين ما يقرب من خمسين مطاراً جديداً وقاعدة صغيرة وقد جمعت خلف جهتنا مقادير كبيرة من المعدات والعتاد على طول طرق مواصلاتنا . وأعدت المثونة الكافية لمشرة أيام بين السين والسوم وسبعة أيام إضافية أخرى إلى الشمال من السوم . مما كان له أثر كبير فى انقاذ جيشنا بعد أن اخترق الالمان الجهة . وكانت فترة الهدوء فرصة سانحة لاستخدام الموانئ الواقعة إلى الشمال من الهافر على التوالى حتى أمكننا فى النهاية أن نستخدم نحو ثلاثة عشر ميناء من الموانئ الفرنسية . .

كانت الروح الحماسية في الجيش الفرنسى والشعب سنة ١٩١٤ تلك الروح التى اشتملت في نفوس الآباء والأبناء منذ سنة ١٨٧٠ روحاً هجومية شديدة . وكانوا يفتقدون أن الدولة الأقل عدداً في مقدورها أن تواجه الغزو إذا قامت بهجوم مضاد في كل نقطة استراتيجية وتكتيكية . ولكن فرنسا اليوم كانت غير فرنسا التى قامت في أغسطس سنة ١٩١٤ تهاجم عدوها القديم . وكانت روح الثأر قد انطلقت لهيها بالنصر الذى أحرزته . وكان القادة الذين حققوه قد فارقوا الحياة منذ زمن بعيد . وكان الشعب الفرنسى قد أدرك معركة راح ضحيتها نحو مليون ونصف من خيرة رجاله . وكانت الأعمال الهجومية عند الفرنسيين مقترنة بفكرة الفشل الأول الذى أصاب هجومهم سنة ١٩١٤ والفشل الثانى الذى أصاب الجنرال نيفيل سنة ١٩١٧ وما قاسوا من الآلام الطويلة في هجومى السوم وباشنديل . وقد وقع في روعهم أن قوة النار الضاربة للأسلحة الحديثة تكون مدمرة للمهاجم . ولم يكن في فرنسا ولا في بريطانيا فهم واقى للحقيقة الجديدة . وهى أن السيارات المدرعة تستطيع أن تقف أمام نيران المدفعية وتتقدم مائة ميل في اليوم . ولم يلق الكتاب القيم الذى صدر في هذا الموضوع باسم رجل يسمى القومندان ديجول أى اهتمام . وكانت سلطة الريشال الديجوز بيتان في مجلس الحرب الأعلى قد طغت على الفكر المسكرى الفرنسى . وسدت الطريق أمام سائر الأفكار الحديثة . ولم تشجع على قبول أية فكرة من الأسلحة الحديثة .

وقد طرقت أسماعنا بمد الحرب حملات ضد سياسة خط ماجينو ولاشك أن هذه السياسة قد أوجدت عقلية دفاعية لدى الفرنسيين ومن التدابير الوقائية السديدة للدفاع عن حدود تمتد إلى مئات الأميال أن يشاد أكبر عدد من السدود والحصون . وكان من الممكن إذا استخدم خط ماجينو استخداماً حسناً في خطة فرنسا الحربية أن يؤدي خدمة عظيمة لفرنسا .

وإذا نظرنا بعين الاعتبار إلى أنه يكون سائسة طويلة من نقط الاندفاع ذات الأثر البالغ وكذلك الجيوب ويقف حاجزاً لأماكن شاسعة من الجهة لترك مجالا لإعداد القوات الاحتياطية والناورات الواسعة وإذا نظرنا كذلك إلى عدم التماثل

في عدد السكان بين فرنسا وألمانيا استطعنا أن نقرر أن إقامة خط ماجينو كان عملاً في منتهى الحكمة والساد . ولعلنا لانعدو الحقيقة إذا قلنا إن هذا الخط لم يمد على نهر الموز بصورة صحيحة . ولو امتد على طول هذا النهر لكان حصناً واقياً يستر لفرنسا بقوة جيشها الهجوى . ولكن الريشال بيتان عارض هذا الامتداد ورأى وواقفه مجلس الحرب الأعلى على رأيه أن الأردين لا يمكن أن تكون ميداناً للهجوم لطبيعة أرضها .

ولما زرت ميتر سنة ١٩٣٧ شرح لي الجنرال جيرو الاعتبارات الهجومية لخط ماجينو ولكن آراءه لم تنفذ ومن ثم كان خط ماجينو سبباً في حجب عدد كبير من الجنود النظاميين المدربين والفنيين ، كما أنه خلق نوعاً من التهدة في نظام الاستراتيجية العسكرية والوعى القوى .

وقد اعتبرت السلاح الجوى سلاحاً قوياً في سائر العمليات الحربية وإذا نظرنا إلى النقص النسبي في إعداد الطائرات لدى الفريقين في ذلك الوقت . عرفنا أن تأثيرها قد بولغ فيه كثيراً . وقد اعتبر مجرد عامل في عرقلة تجمع الجيوش الكبيرة وطرق مواصلاتها عند الشروع في الهجوم . وعلى الرغم من أن إعداد الطائرات الألمانية في ذلك الحين كاعداد طائرات الحلفاء لم يكن كافياً للقيام بمثل هذا العمل فإن القيادة العليا الفرنسية قد أيقنت بأن فترة التمهئة خطيرة للغاية لما ينتظر من تدمير مراكز السكك الحديدية بسبب الغارات .

وقد دلت الظروف في السنوات الأخيرة على صحة الآراء التي أعرب عنها قادة السلاح الجوى حين أصبحت القوة الحربية عشرة أضعاف أو عشرين ضعفاً مما كانت عليه عند بدء الحرب .

من السكات التي تدور على الألسنة في بريطانيا أن وزارة الحربية تستمد اليوم للحرب الماضية . وقد تصح هذه النكتة على بعض الوزارات وبعض البلاد . لكنها كانت صادقة تماماً بالنسبة للجيش الفرنسي وكنت أرى ميزة عظيمة للإجراءات الدفاعية إذا نفذت تنفيذاً عملياً . ولم أكن مستولاً ولم تتوافر لدى

المعلومات الكافية لأضع في حسابى فكرة دقيقة جديدة عن كل حال . وكنت أدرك أن مذابح الحرب الماضية قد خلفت في نفوس الفرنسيين أثراً بالئاً : وقد وجد الألمان فرصة سانحة لبذاء خط سيجفريد . وقد كان من الخطر أن نلقى بالبقية الباقية من الشبيبة الفرنسية في أتون من النار والأسمت السلاح لكي تفتح هذا الحسن . وكانت وجهة نظرى في هذه الحرب العالمية الثانية لا تختلف من الوجهة العامة من حيث الدفاع وكنت أعتقد أن السلاح المكافح للدبابات ومدافع الميدان في مقدورها إذا وزعت بطريقة سديدة وتوفر لها العتاد أن تشل حركة أية دبابات أو تحطمها تحطياً ، إلا إذا كان الظلام غنيا والضباب منتشرأ سواء أكان حقيقياً أو صناعياً .

ولا تتكرر المشا كل على حالها فيما تفرضه القدرة الإلهية على عبدها وإذا تكررت فإن ما بينها من المفارقات تحول دون تعميم الحكم عليها . وإذا لم يكن العقل البشرى موجهاً بمعرفة استثنائية فإنه لا يستطيع أن يقف أمام الحقائق القدرة التي تات تحت أعبائها . وقد رأينا هتلر بعد ثمانية أشهر من التبلد من الجانبين يبدأ هجومأ عنيفاً شاملاً تتقدمه حشود كبيرة من السيارات ذات الفولاذ الذى لا تؤثر فيه المدافع لمتانته فتحطم سائر المقاومات الدفاعية وتجعل من المدفعية لأول مرة في تاريخها منذ اخترع البارود سلاحاً عاجزاً وقد قدر لنا أن نرى أن ازدياد القوة النارية ، قد قلل من عدد الضحايا فجعل في الإمكان الاحتفاظ بالأرض اللازمة بأقل عدد من الجنود مما أبعد المنصر الإنسانى عن الهدف .

وعلى أية حال لم يكن في مقدور الفرنسيين أن يقوموا بأى هجوم قبل انتهاء الأسبوع الثالث من شهر سبتمبر . ولكن قوة المقاومة البولندية كانت قد انتهت في ذلك الوقت وفي منتصف شهر أكتوبر كان الألمان قد حشدوا سبعين فرقة في الجهة الغربية ومن ثم لم يكن للتقوى المددى الفرنسى أى أثر .

وإذا قام الفرنسيون بهجوم في جبهتهم الشرقية تعرت جبهتهم الشمالية وهى أ كثر أهمية وأشد حيوية من الاولى . وحتى إذا أحرزوا نصراً في البداية فلن ينقضى شهر حتى يجدوا أنفسهم غير قادرين على المحافظة على الأماكن التي احتلوها .

أضعف مما كان متوقفاً فإن هذا الخط سيكون مقدمة طيبة للدخول إلى ألمانيا والاشراف على منطقة الروهر الحيوية للانفتاح الألماني الحربى .

ويقول رؤساء أركان الحرب « إن الخطة الفرنسية التى تدعى خطة « د » قائمة على أن البلجيكين إذا استطاعوا الاحتفاظ بحوض نهر الموز فإن على الجيوش الفرنسية والبريطانية أن تعجل باحتلال خط جيغيت - نامور وتعمل القوات البريطانية فى الناحية اليسرى .

وليس من المعقول تنفيذ هذه الخطة ما لم يكن البلجيكيون قد اشتركوا فى وضعها فى وقت كاف قبل بدء الزحف الألماني . وإذا لم يتميز موقف بلجيكا الحالى وتوضع الخطط اللازمة لاحتلال خط جيغيت - نامور الذى يسمى أحياناً بخط الموز - انتويرب فى وقت مبكر . فأننا نرى بصفة قاطعة أن علينا أن نواجه الزحف الألماني فى مواقع نعدّها فى وقت مبكر على الحدود الفرنسية نفسها .

وفى السابع عشر من نوفمبر اجتمع مجلس الحلفاء الأعلى وقد اصطحب المستر تشمبرلين معه اللورد هاليفاكس واللورد شانفيلد والسير كينجزلى وود . واتخذ القرار على الصورة الآتية : « للأهمية القصوى التى نعلقها على بقاء الألمان فى أقصى نقطة إلى الشرق ، لیتحتم بذل كل محاولة للمحافظة على خط الموز - انتويرب إذا تعرضت بلجيكا للغزو الألماني » وقد تمسك المستر تشمبرلين والسيو دلاذبيه فى هذا الاجتماع بأهمية هذا القرار ومن ثم أصبح لهذا القرار التأثير على العمليات الحربية . وهكذا أمضينا فصل الشتاء وأخذنا ننتظر الربيع . وفى خلال الأشهر الستة التى انقضت بين هذا القرار وبين السكارثة الألمانية لم تتخذ أية قرارات ذات أهمية استراتيجية من أركان الحرب البريطانيين والفرنسيين .

وأضمت الحملة البريطانية الربيع والشتاء وهى تمد مواقعها وتقوى خطوطها استعداداً لحرب هجومية أو دفاعية . وقد اشترك الجميع فى هذا الإعداد من أكبر ضابط إلى أصغر جندي . وكان المظهر العظيم الذى ظهرت به الحملة راجعاً إلى حسن استغلال الفرص فى الشتاء وكان الجيش البريطانى فى نهاية مرحلة بوادر الحرب أعظم مما كان عليه

اذ سبعة مرضون بصيغة خاصة للهجوم المضاد الذي يشنه الجيش الالمانى بمجمعا من الشمال . هذا هو الرد على سؤال كثيراً ما تردد على الاذهان وهو « لماذا ظلمتم ساكنين حتى تم تدمير بولندا ؟ » لقد تقرر الأمر في هذه المعركة منذ سنوات . وكانت هناك فرصة طيبة للنصر سنة ١٩٣٨ . ونشيكوسلوقا كياناً قائماً . وفي سنة ١٩٣٦ لم يكن هناك شك في مقاومة فعالة وكان في استطاعة عصبة الأمم سنة ١٩٣٣ ، أن تخضع الالمان دون حاجة إلى سفك الدماء . ونحن لا نستطيع أن نلوم الجنرال جملان وحده لأنه في سنة ١٩٣٩ لم يجازف بالحد من هذه الحال التي ازداد خطرها منذ الأزمات السابقة التي تراجعت أمامها الحكومتان البريطانية والفرنسية .

ما عسى أن تكون احتمالات الهجوم العام الذي يشنه الالمان على فرنسا ؟ هناك ثلاثة طرق . الأول : أن يقوم الهجوم من جهة سويسرا حول الجناح الجنوبي لخط ماجينو ولكن عقبات كثيرة جغرافية وستراتيجية تحول دون ذلك . والثاني أن تنزى فرنسا من الحدود المشتركة بين البلدين . ولم يكن هذا متوقفاً فإن الجيش الالمانى لا يملك المعدات والأسلحة اللازمة لاختراق خط ماجينو والثالث غزو فرنسا عن طريق بلجيكا وهولندا . وهجوم مثل هذا يمكن أن يتجنب خط ماجينو ويجنب القيادة الألمانية الخسائر المتوقعة من هجوم مجابه على تحصينات منيعة موطدة الأركان . ولم يكن في مقدورنا أن نصد هجوماً خاطفاً على الأراضي المنخفضة وزده عن هولندا . وإن كان من صالح الحلفاء وقفه إذا أمكن عن بلجيكا . وكان أمام الحلفاء خطان إذا سمحت بلجيكا بأن يتقدموا نحوها بناء على خطة سرية .

الخط الأول هو ما يدعى بخط « الشللت » ولا يبعد كثيراً عن الحدود الفرنسية وليس في الوصول إليه مغامرة . ونستطيع الاحتفاظ به « كجبهة خييلة » على أسوأ احتمال أما في أحسن الاحتمالات فاننا نستطيع أن نشيده ونبنيه وفق ما تدعو الحال .

أما الخط الثانى فإنه أكثر إغراء فهو يسير مع نهر الموز من جيغيت ودينات ونامور ولوفين إلى انتويرب . وقد يتوقف الجناح الأيمن للغزو الالمانى إذا أمكنت السيطرة على هذا الخطر في مارك عنيفة . وإذا ثبت بعد المعركة أن الجيوش الالمانية

عند بدايتها . كما كان أكبر عدداً وعدة . ولكن كانت هناك ثغرة في نظامنا الذي سبق الحرب وهي أن الحملة البريطانية في فرنسا لم يكن لديها فرقة مدرعة . فبريطانيا أم الدبابات بسائر أنواعها . قصرت في تقدم هذا السلاح في الفترة ما بين الحريين وهو السلاح الذي كان له أكبر شأن في ميادين القتال . ولم يكن في حوزتنا بعد مرور ثمانية أشهر على إعلان الحرب ، مع جيشنا الصغير والممتاز رغم صغره في الساعة الحرجة إلا كتيبة الدبابات التي تشمل سبع عشرة دبابة خفيفة ومائة دبابة مشاة يحمل ثلاث وعشرون منها الدفع هيار رطلين .

وتسكن في الباقية بحمل المدافع الرشاشة . وكان هناك سبعة أفواج من الخيالة والفرسان المجهزة بالمدافع المنقولة والدبابات الخفيفة . وهي في طريق إعدادها في صورة لواءين مدرعين .

ولم تكن الأمور على الجبهة الفرنسية أحسن منها عندنا . ففي الجيش القائم على أسس التجنيد القوي ، يكون لآراء الشعب أثرها البالغ . لاسيما إذا كان الجيش مقبلاً في أرض الوطن . وكانت الصلة بينه وبين أفراد الشعب وثيقة العرا . ولا نستطيع أن نقول إن فرنسا في سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٠ واجهت الحرب بثقة أو بروح معنوية رفيعة . وكان ما يحيط السياسة الداخلية من قلق وريب في الفترة المتصرمة قد خلق حالة من الفرقة والسخط . فثمة عناصر ذات أهمية اتجهت إلى الفاشية كرد فعل للشيوعية المتفشية وكانت هذه العناصر تصنع إلى دعاية جوبلز الماهرة . وتحفظها وتلشرها بمختلف الطرق من همسات وشائعات . وهكذا كانت الشيوعية والفاشية كل منهما يقوم بدوره في التأثير على الجيش . وقد أتاحت أشهر الانتظار الطويلة في الشتاء الفرصة لنشر هذه السموم .

وثمة عوامل كثيرة تشترك في رفع بناء القوة المعنوية في أي جيش من الجيوش . وأهم هذه العوامل أن يستخدم الناس بصورة كاملة في أعمال نافعة . والبطالة تربة صالحة خطيرة . وكانت في الشتاء أعمال كثيرة تحتاج إلى عناية . وكان التدريب يحتاج إلى اهتمام والوسائل الدفاعية لم تكن بحالة مرضية . حتى خط ماجينو نفسه كان في حاجة إلى بعض أعمال الميدان الإصلاحية لأن الكفاية الجسدية تحتاج إلى تدريب .

وكان كل من يزور الجبهة الفرنسية تعثره الدهشة لذلك الهدوء المسيطر عليها والصورة السيئة للعمل الذي يجري بها . وفقدان النشاط بكافة أنواعه بين الفريقين . وكان عجباً خلو الطرق من وراء الخطوط بالمقارنة بالحركة الداعمة التي تمتد أميالاً وراء القطاع البريطاني .

وما من شك في أن كفاية الجيش الفرنسي قد تأخرت خلال فصل الشتاء ولو قاتل في الحريف المنصرم لكان قتاله أعظم منه في الربيع وقد قضى سريعاً على هذا الجيش بالدمار أمام القوات الألمانية المكتسحة الخاطفة . ولم ترتفع روح الجندي الفرنسي وماله من كفاية إلى الظهور إلا في المراحل الأخيرة من تلك الحملة القصيرة حين أصبح في حاجة ملحة للدفاع عن أرض بلاده ضد عدوه المعروف ولكن كان الوقت قد فات .

وقد تأكد ما كان يساور نفسى من المخاوف بالنسبة للجبهة الغربية فقد صدرت الأوامر إلى ضابط من أركان حرب الجيش الألماني من الفرقة الجوية السابعة بأن يحمل وثائق هامة إلى مقر القيادة العامة في كولون وقد فاته القطار فقرر السفر بالطائرة . وأخطأت طائرته عند خط الحدود الفاصل فنزل اضطراراً في الأرض الباجيكية فاعتقلته القوات الباجيكية واستولت على أوراقه التي حاول عبثاً أن يبددها . وقد اشتملت هذه الوثائق على الخطة الكاملة لغزو بلجيكا وهولندا وفرنسا وهي الخطة التي وضعها هتلر . وقد أطلق سراح « الميجور » الألماني ليمود إلى رؤسائه ويوضح لهم ما كان ، وقد نقلت إلى تفاصيل الحال في وقتها . ولم أكد أصدق أن الباجيكيين يضمنون خطة ويشركوننا فيها . وكان ثمة حوار بين البلاد الثلاث . في هل تكون هذه الخطة قد وضعت للخداع والتضليل . وهذا الاعتقاد خاطئ إذ لم يكن هناك ما يدعوا الألمان لايهام الباجيكيين بخطة تجملهم في تمام الأهبة مع الجيوش الفرنسية والبريطانية وقد أيقنت بوقوع هذا الغزو .

وطلبنا إلى الباجيكيين أن يتعاونوا معنا في هذا الأمر ولكن ملك بلجيكا وقادة جيشه فضلوا الانتظار فربما حدث ما يغير الأمور ويحولها إلى مصلحتهم . وعلى الرغم من الوثائق التي ضبظت مع « الميجور » الألماني . فإن قيادة الحلفاء أو الدول المهددة

لم تقم بأى عمل ، أما هتلر بعد أن تأكد من مصادرة الوثائق وهى فى الحقيقة وثائق الغزو كاملة ، فقد استدعى جورنج . وأمره بإعداد خطة جديدة بعد أن أنبه وغضب عليه غضباً شديداً .

ولو كانت السياسة البريطانية والفرنسية فى السنوات الخمس السابقة للحرب قد صممت على المحافظة على قداسة الماهدات وتمسكت بقرارات عصبة الأمم . لو قفتم بلجيكا إلى جانب حلفائها الأقدمين وسمحت بإقامة جبهة مشتركة معهم . ولو تم ذلك لكان حصناً قوياً على طول الخطوط البلجيكية الممتدة إلى البحر ضد حركة الالتفاف الخطيرة التى كادت تطيح بنا سنة ١٩١٤ والتى أطاحت بفرنسا سنة ١٩٤٠ وما كانت بلجيكا ترى مصيراً كالذى رأت أنه على أسوأ الاحتمالات .

ونحن إذا استعرضنا الأمر ونظرنا إلى انزواء الولايات المتحدة والحاح المستر ماكدونالد فى حملة نزع سلاح فرنسا وما لاقيناه من الاذلال والفكسة من تعدد حوادث خرق الألمان بنود المعاهدة فى منطقة الراين وتسليمنا بالاستعجواز على النمسا وميثاقنا فى ميونخ وقبولنا احتلال الألمان براج . فأننا لا نجد لأى شخص من المسئولين فى بريطانيا وفرنسا فى تلك الأيام مبرراً لولم بلجيكا . فقد فضل البلجيكيون أن يتبعوا سياسة الحياد فى وقت سيطرت عليه سياسة التردد والخذلان وتعلقوا بالأمل الواهن فى قدرتهم على أن يقفوا فى وجه الألمان النزاة أمام حدودهم الحصينة حتى تصل إلى نجدتهم الجيوش البريطانية والفرنسية .

اسكاندينافيا — فنلندا

إن لشبه الجزيرة الممتدة إلى ألف ميل من مدخل بحر البلطيق إلى الدائرة القطبية أهمية استراتيجية ذات أثر كبير . وتمتد جبال النرويج إلى المحيط في امتداد من الجزر وبين هذه الجزر يمر من المياه الإقليمية ييسر لألمانيا الاتصال بالبحار الخارجية مما يعرض حصارنا البحري لخطر كبير . وكانت تعتمد صناعة ألمانيا الحربية بصورة رئيسية على ما تستورده من مسحوق الحديد السويدي الذي يصل إلى ألمانيا أيام الصيف من ميناء لوليا السويدي في رأس خليج بوثنيا . وفي الشتاء عند ما تتجمد مياه الخليج من نارفيك على الساحل الشمالي الغربي من النرويج . والاحتفاظ بحجزة هذه الخليجان معناه السماح بدوام هذا الاتجار تحت ستار الحياد وتحمي تفوقنا البحري . وقد كانت هذه الميزة مثار قلق عند الأميرالية ومن ثم فقد رأيت أن أثير هذا الموضوع في اجتماع وزارة الحرب في أول فرصة تتاح لي .

وقد استقبلت هذه القضية التي أثرتها استقبالا طيباً في أول الأمر وأحس سائر الزملاء بخطورة الأمر ولكن احترام حياد الدول الصغيرة كان مبدأ نتمسك به جميعاً . وقدمت في سبتمبر بناء على طلب زملائي مذكرة عن الموضوع اشتملت على الدراسة الدقيقة التي قامت بها الأميرالية . وشغفتها بأرقام عن حملة البواخر المحايدة التي لها صلة بهذا الموضوع . وقد رأيت موافقة عامة من الزملاء على الحاجة إلى العمل ولكنني لم أجد موافقة على القيام بالعمل . وكانت الحجج التي قدمتها وزارة الخارجية قوية ولها قيمتها فلم أستطع أن أقاومها . ومع ذلك فقد استمر نصالي في هذا الشأن بكل الطرق ولم يتخذ القرار الذي طلبت اتخاذه في سبتمبر سنة ١٩٣٩ إلا في أبريل سنة ١٩٤٠ بعد أن فات أوانه .

وكانت تتجه أنظار الألمان الألمان كما عرفنا إلى نفس الاتجاه . وقدم الأميرال ريدر رئيس أركان البحرية الألمانية في الثالث من أكتوبر اقتراحاً إلى هتلر عنوانه « كسب القواعد في النرويج » وطلب فيه « أن يعرف الفوهرر رأي أركان حرب »

البحرية في مد قواعد العمليات البحرية إلى الشمال . والتأكد فيما إذا كان في الإمكان كسب قواعد في النرويج تحت ضغط مشترك من روسيا وألمانيا لتحسين الأوضاع العملية والاستراتيجية . وقدم عدد من المذكرات إلى الفوهرر في العاشر من أكتوبر ويقول في هذه المذكرات أبدت بصورة مؤكدة ما ينالنا من أضرار إذا استولى البريطانيون على النرويج فهذا الاستيلاء سيجعلهم متحكمين في مداخل بحر البلطيق ومن ثم يستطيعون الالتفاف حول منطقة عملياتنا البحرية وحول قواعد غاراتنا الجوية على بريطانيا . وإنهاء ضغطنا على السويد وقد أكدت المزايا التي نحصل عليها باحتلال ساحل النرويج فهو يحفظ لنا منفذاً إلى شمال الأطلسي ويمنع بريطانيا من وضع سد من الأنعام كما فعلت سنة ١٩١٧ - ١٩١٨ .

وقد زكى هذا الرأي روزنبرج خبير الحزب النازي في الشؤون الخارجية والذي يقوم بإدارة مكتب للنشاط الدعائي في البلاد الأجنبية . وكان يحمل « بدعوة سكنديناويا إلى فكرة تقضى بضم المجموعة النوردية التي تشمل شعوب الشمال تحت زعامة ألمانيا بصفة طبيعية .

وكان في بداية سنة ١٩٣٩ قد وجد في الحزب الوطني المتطرف في النرويج الذي يترجمه شخص يدعى فيدكون كوينز لنج أحد وزراء الحزبية السابقين ، أداة خيل له صلاحيتها ، وقد اتصل بكوينز لنج . فتم ارتباط حزبه بمخطط القيادة البحرية الألمانية عن طريق منظمة . روزنبرج والملحق البحري الألماني في أوسلو . ورحل كوينز لنج ومساعداه هكلين إلى برلين في الرابع عشر من شهر ديسمبر فذهب بهاريدر إلى هتلر لبحث فكرة توجيه ضربة سياسية في النرويج . ووصل كوينز لنج ومعه خطة مفصلة ليمرضها على هتلر ولكن هتلر أعلن رفضه زيادة التزاماته عن سبيل التكتم وقال إنه يفضل أن تظل اسكنديناويا على الحياد . وعلى الرغم من ذلك أصدر في نفس اليوم أوامره إلى القيادة العليا بإعداد الخطة لعملية النرويج .



ولم نكن بالطبع نعرف شيئاً عن كل هذا .

وفي إبان ذلك تحولت شبه جزيرة اسكندنافيا إلى ميدان جديد للنضال . كان له أكبر الأثر في إثارة النفوس في بريطانيا وفرنسا وكان له أثره الفعال في محادثاتنا حول الترويج .

فقد أدت « موائيق المساعدة المتبادلة » . التي عقدها ستالين مع استونيا ولااتفيا وليتوانيا ، إلى استلال هذه البلاد وتدميرها وأصبح الجيش الأحمر والقوة الجوية السوفياتية يقفان سدا في طريق الدخول إلى الاتحاد السوفياتي من جهة الغرب أو بحر البلطيق . وبقيت الطريق من جهة فنلندا .

وفي شهر أكتوبر سافر إلى موسكو المستر باسيميكي في أحد الساسة الفنلنديين الذين وقموا بمعاهدة الصلح مع الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٢١ . وكانت مطالب السوفيات كثيرة . أهمها ضرورة دفع الحدود الفنلندية في كاريليا إلى الوراء مسافة بعيدة حتى تكون مدينة ليننجراد بمنأى من نيران المدافع المعادية وتسليم عدد من الجزر الفنلندية في خليج فنلندا إلى الاتحاد السوفياتي وتأجير ميناء فنلندا الوحيد الذي لا تتجمد مياهه في المحيط المتجمد الشمالي وهو ميناء بتسامو وتأجير ميناء هانفو الذي يقع في مدخل خليج فنلندا ليكون منها قاعدتان بحريتان جويتان لاروس وكان الفنلنديون مستعدين للتساهل في كل شيء ماعدا النقطة الأخيرة فإذا استولى الروس على مداخل الخليج من الجانبين هددت سلامة فنلنده القوية والاستراتيجية . وفي الثالث عشر من نوفمبر انقطعت المفاوضات ، وأخذت الحكومة الفنلندية تعبئة قواتها . وقد أعلن مولوتوف إلغاء معاهدة عدم الاعتداء مع فنلندا في الثاني والعشرين من نوفمبر ولم يمض يومان حتى قام الروس بهجوم على فنلندا من ثمانى جهات على طول حدودها التي يبلغ طولها ألف ميل . وقام السلاح الجوي السوفياتي بضربه هلمسكي من الجو .

واشتد الهجوم الروسى بآدى الأمر على الحصون الدفاعية التي أقامها الفنلنديون في كاريليا . وتمتد عشرين ميلا شمالا وجنوبا وفي منطقة تغطيها الغابات القائمة وسط الثلوج وقد أطلق على هذه التحصينات اسم خط مازهايم نسبة إلى المارشال مازهايم القائد الأعلى للجيش الفنلندي الذي أنقذ فنلنده من المبودية البلشفية سنة ١٩١٧

وقد عم بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة بصفة خاصة سخط شديد استنكارا لهذا الهجوم الذى تقوم دولة كبيرة كالاتحاد السوفياتى ضد شعب متمدن حى دون أى استفزاز تلاء موجة من الدهشة والارتياح . حين مرت الاسابيع الأولى من القتال ولم تحرز فيها القوات السوفياتية أى نجاح .

وقد برهن الجيش الفنلندى الذى لا يتجاوز عدده مائتى ألف جندى عن بطولة نادرة . وقد قوبلت الدبابات بمزيمة وجلاد واستعملت ضدها القنابل اليدوية التى سميت « كوكيتيل مولوتوف » .

وهل الاتحاد السوفياتى قد ظن بادىء الأمر أن زحفه سيكون أشبه بالهزة منه بالقتال . إن الغارات الجوية التى وقعت على هلسنكى وغيرها من المدن وإن لم تكن عنيفة ستوقع الزعب فى قلوب الفنلنديين وعلى الرغم من تفوق القوات السوفياتية من ناحية العدد فقد كانت تنقصها الكفاية وحسن التدريب وكان من جراء الغارات الجوية والهجوم الذى تعرضت له فنلندا أن هب الفنلنديون ضد المعتدين وقاتلوا يجلد وعزم ومهارة بالغة ، وقد دل هجوم الغزاة على أواسط فنلندا على دمار ماحق حل بالغزاة . فهذه المنطقة تنسكون من غابات من الصنوبر قائمة على أرض منبسطة تغطيها الثلوج وكان البرد شديدا ، وقد استمد الفنلنديون بالزحافات والملابس المدفئة بينما حرم الروس منها وأثبت الفنلنديون جدارات فائقة فى الحرب . وقد دربوا أحسن تدريب على أعمال الاستطلاع وحرب الغابات . وكان الروس يعتمدون بنير جدوى على تفوقهم من ناحية الدو والأسلحة الثقيلة وتراجعت القوات الفنلندية الامامية شيئا فشيئا إلى الوراء والروس يتبعونها بجنودهم وبعد أن توغل الروس حوالى ثلاثين ميلا هاجمهم الفنلنديون وقد توقفت صفوف الغزاة أمام الخطوط الدفاعية التى كان قد أقامها الفنلنديون فى الغابات فالتفوا حول أجنتها وتعلموا مواصلاتها مع المؤخرة وزقوها شرمزق ، وأرغموها على التكرس بعد أن حملوها خسائر باهظة وفى نهاية شهر ديسمبر كانت الخطة التى وضعتها الروس للزحف على فنلندا قد فشلت وحل بها الدمار .

ولم يكن هجومهم على خط مانرهايم بأحسن حالا من هذا الهجوم فى أوائل شهر

ديسمبر قام الروس بهجوم استخدموا فيه نحو اثنتى عشرة فرقة . وقد واصلوا اندفاعهم المتتابع طوال الشهر . ولم تأت نهاية العام حتى كانت القوات السوفياتية قد منيت بفشل ذريع اقتنعت بعده بأنها فى معركة مع خصم أشد مما كان يدور فى حسابها . وقررت أن تقوم بهجوم كبير شامل ولكن مثل هذا الهجوم يحتاج إعدادا واسع النطاق لذلك خفت وطأة القتال على الجبهة الفنلندية بعد انتهاء العام . وقد ظفر الفنلنديون بانقصار باهر على عدوهم القوى الشديد . وقد قوبل هذا الحادث المعجب بالرضا والاغبطاء فى سائر أنحاء العالم مواء بين المحاربين والمهايدن . فقد كانت هذه المعركة دليلا قويا على انحطاط قوة الجيش السوفياتى . وكان الكثيرون من البريطانيين يهين بعضهم بعضا . ولم نكن قد بالغنا فى محاولة افناع السوفيات بالانضمام إلى صفوفنا . وإن كانوا ظلوا يشيدون بقواتهم ويعلمون عن بعد نظرهم وقد استنتج الكثيرون أن الجيش الأحمر أصابته فى صميمه حركات التطهير . وقد قام الدليل واضحا على فساد نظام الحكم والمجتمع . ولم يقتصر هذا الرأى على البريطانيين وحدهم فلا شك أن هتلر وقادته العسكريين قد فكروا كثيرا فى نتائج الحملة الفنلندية وقد لعب هذا التفكير دورا كبيرا فى آراء الفوهرر .

وقد اشتد السخط الذى شعر به الجميع ضد الحكومة السوفياتية لمقد ميثاق ريبنتروب مولوتوف واشتملت نيرانه بعد هذا المدوان الوحشى . وقد اقترن بالاحتقار والذراية لمجز القوات السوفياتية والحماسة للفنلنديين الشجعان . وطلى الرغم من اشتبا كنا فى حرب عظمية فقد كانت لنا رغبة شديدة فى مساعدة الفنلنديين بتزويدهم بالطائرات والمواد الحربية الثمينة والمتطوعين من بريطانيا والولايات المتحدة وحتى فرنسا ولم يكن هناك غير طريق واحد لارسال المعدات والمتطوعين إلى فنلندا . وكان ميناء نارفيك النرويجى المصدر لزيادة الحديد الذى يتخذ عن طريق السكة الحديدية عبر الجبال بمناجم الحديد السويدية مركزا له أهميته الاستراتيجية . وكان استخدامه قاعدة لتكوين الجيوش الفنلندية له أثره على حياد السويد والنرويج وكانا ينشدان خشية المانيا وروسيا البقاء خارج نطاق الحرب التى تحيط بهما من كل جانب وقد تشملهما فى أية لحظة . وخيل لهما أن الحياد هو الطريق الوحيد لإنجاة . وإذا كانت

الحكومة البريطانية مترددة في القيام بأى عمل يعد خرقا لحياذ المياه الإقليمية النرويجية بزرع الأنعام في مداخل هذه المياه لحرمان الألمان من استخدامها ، فقد قامت ببناء على طائفة شريفة لا تتصل اتصالا مباشرا بنضالنا الحربى لنطالب إلى السويد والنرويج السماح بمرور الجنود والمؤن إلى فنلندا .

وكنت أعطى عطفاً شديداً على الفنلنديين . وأؤيد كل اقتراح يدعو إلى مساعدتهم فقد رحبت بهذه الخطوة كوسيلة لتحقيق الهدف الاستراتيجى المقصود بقطع شحنات برادة الحديد الحيوية عن ألمانيا فإذا أصبحت نارفيك بأية حال من الأحوال قاعدة للحلفاء ، يموتون منها الفنلنديين فسيسهل علينا بلا شك منع البواخر الألمانية من حمل الحديد من الميناء والمرور به من الخابجان إلى ألمانيا . وإذا كنا سنحتمل احتجاجات النرويجيين والسويديين مرة لسبب من الأسباب فإن الأعمال الكبرى ستضيق إلى جانب الإجراءات الصغيرة التى أثارته هذه الاحتجاجات ، ولهذا أعدت في السادس عشر من ديسمبر محاولاتي السابقة للحصول على موافقة الوزراء على عمل بسيط لا تهرق فيه الدماء ويقضى بوضع الأنعام في خابجان النرويج .

ودرست وزارة الحرب مذكرتى في الثانى والعشرين من ديسمبر . ودافعت عن فكرتى في بكل ما أستطيع من قوة ولكننى لم أصل إلى قرار بالعمل . وتقرر ارسال احتجاجات بالطرق الدبلوماسية إلى النرويج لاساءة استعمال مياهها الإقليمية . وكلف رؤساء أركان الحرب بدراسة النتائج العسكرية التى تنشأ عن أية الترامات على الأرض الأسكندنافية وطلب إلى رؤساء أركان الحرب أن يمدوا خطة لإزالة قوة في نارفيك لمساعدة فنلندا والرد على احتمال قيام الألمان باحتلال جنوب النرويج « ولكن لم يكن من الممكن إصدار أوامر تنفيذية إلى الاميرالية وكنت قد وزعت على زملائى مذكرة في الحادى والعشرين من شهر ديسمبر لخصت فيها تقارير المخبرات التى يبدو منها احتمال وجود مشروع رومى لنزو النرويج . وقد قيل إن الروس حشدوا ثلاث فرق في مورمانسك مهيئة لرحلة عن طريق البحر وأنهيت الكلام بأن « هذا المسرح قد يصبح في القريب مركز العمليات العسكرية » وقد تبين صدق ما أقول . ولكن العمليات الحربية جاءت من ناحية أخرى .

وَمَا كَانَ يَشْفَلْنِي وَجُوبِ الْإِسْتِيْلَاءِ عَلَى «الْتِمَارِك» وَهِيَ الْقِطْعَةُ الْبَحْرِيَّةُ الْمُسَاعِدَةُ لْجِرَانِ شَبِي . لِأَسْبَابٍ أَنْ هَذِهِ الْبَاخِرَةُ كَانَتْ سَجَنًا عَائِمًا عَلَى سَطْحِ الْبَحْرِ لِبَحَارَةِ بَوَاخِرِنَا التَّجَارِيَّةِ الَّتِي أَغْرَقَهَا جِرَافُ شَبِي . وَقَدْ عَلِمْنَا مِنْ بَحَارَتِنَا الَّذِينَ أَطْلَقَ مِرَاحَهُمْ فِي مَنَظَرِهِمْ طَبَقًا لِلْقَانُونِ الدَّوْلِيِّ أَنَّ هُنَاكَ نَحْوُ ثَلَاثِمِائَةِ بَحَارٍ بَرِيطَانِيٍّ مِنْ بَحَارَةِ السَّفِينِ التَّجَارِيَّةِ كَانُوا عَلَى ظَهْرِ التَّمَارِك . وَقَدْ اسْتَطَاعَتْ هَذِهِ الْبَاخِرَةُ أَنْ تَخْتَفِيَ فِي جَنُوبِ الْأَطْلَنْطِيِّ شَهْرَيْنَ كَامِلَيْنِ . وَلَمَّا تَأَكَّدَ رَبَانُهَا أَنَّ الْبَحْثَ عَنْهَا قَدْ أَهْمَلَ حَاوِلُ الْعُودَةِ إِلَى أَلْمَانِيَا . وَقَدْ كَانَ الْحِظُّ مُسَاعِدًا لَهَا فِي الْعُودَةِ وَقَدْ شَاهَدَتْ إِحْدَى طَائِفَاتِنَا الْبَاخِرَةَ فِي مِيَاءِ النُّوْبِجِ فِي الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ فَبْرَايِر .

وَقَدْ جَاءَ فِي بَلَاغِ صَدْرٍ مِنَ الْأَمِيرَالِيَّةِ « أَنَّ الْأَوَامِرَ قَدْ صَدَرَتْ لِمُدَدٍ مِنَ الْقِطْعِ الْبَحْرِيَّةِ لَتَتَحَرَّكَ نَحْوَهَا » وَتَقَدَّمَتْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمَدْمَرَاتِ بِقِيَادَةِ الرِّبَانِ فِيلِيْبِ فَيَانٍ عَلَى ظَهْرِ مَدْمَرَتِهِ طَرِيقَ الْبَاخِرَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ وَلَمْ تَسْرِعْ بِإِطْلَاقِ النَّارِ عَلَيْهَا ، فَالْتَجَأَتْ الْبَاخِرَةُ إِلَى خَلِيجِ جُوسِينْج . وَهُوَ مَرَضِيقٌ طَوِيلٌ مِيلٌ وَنِصْفٌ مِيلٌ إِلَى التَّقَرُّبِ ، وَتَحَوَّلَتْ الْجِبَالُ النَّاجِيَّةُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ . وَصَدَرَ الْأَمْرُ إِلَى مَدْمَرَتَيْنِ بَرِيطَانِيَّتَيْنِ بِتَفْتِيشِ الْبَاخِرَةِ وَلَسَكِنْ زَوْرَقَيْنِ مُسَلَّحَيْنِ أَبَاذَاهُمَا أَنَّ الْبَاخِرَةَ لَيْسَتْ مُسَلَّحَةً وَأَنَّهَا قَتَلَتْ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ وَصَرَحَ لَهَا أَنَّ تَعُودَ إِلَى أَلْمَانِيَا عَنْ طَرِيقِ الْمِيَاءِ النُّوْبِجِيَّةِ وَمِنْ ثَمَّ انْتَسَحَبَتِ الْمَدْمَرَتَانِ الْبَرِيطَانِيَّتَانِ .

فَلَمَّا بَلَغَتْ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتُ إِلَى الْأَمِيرَالِيَّةِ تَدَخَّلَتْ فِي الْحَالِ وَأُصْدِرَتْ الْأَوَامِرُ بِمَدِّ مَوَافَقَةِ وَزِيرِ الْخَارِجِيَّةِ -- بِإِفْتِحَامِ الْخَلِيجِ . وَنَفَّذَ الرِّبَانُ فَيَانُ الْأَمْرَ وَدَخَلَ بِمَدْمَرَتِهِ « كُوزَاك » إِلَى الْخَلِيجِ فِي الْمَسَاءِ تَقْدِمُهُ الْأَضْوَاءُ السَّكَاشِفَةُ . ثُمَّ صَدَدَتْ إِلَى الزَّوْرَقِ النُّوْبِجِيِّ الْمُسَلَّحِ « كَيْل » وَطَلَبَ إِلَى قَائِدِهِ أَنْ يَسُوقَ إِلَيْهِ « التَّمَارِك » تَحْتَ حِرَاسَةِ بَحْرِيَّةٍ مُشْتَرَكَةٍ نَحْوَ مِينَاءِ « بِيرْجِن » لِلتَّحْقِيقِ كَمَا يَقْضِي الْقَانُونُ الدَّوْلِيُّ . فَمَادَ الضَّابِطُ النُّوْبِجِيُّ يَوْكُودَ أَنَّ الْبَاخِرَةَ الْأَلْمَانِيَّةَ قَتَلَتْ مَرَّتَيْنِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ مُسَلَّحَةً وَلَيْسَ عَلَى سَطْحِهَا أَسْرَى مِنَ الْبَرِيطَانِيِّينَ . وَقَالَ « فَيَان » إِنَّهُ سَيَصْعَدُ إِلَى ظَهْرِ الْبَاخِرَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ وَطَلَبَ مِنَ الضَّابِطِ النُّوْبِجِيِّ أَنْ يَصْحَبَهُ فَرَفَضَ .

وَفِي أُنْتَاءِ ذَلِكَ حَاوَلَتِ التَّمَارِكُ أَنْ تَتَحَرَّكَ وَتَصْطَلِمَ بِالْمَدْمَرَةِ « كُوزَاك » لِتُدْمَرَهَا

ولسكنها لم تفلح وصعد إلى ظهرها فريق من بحارة المدمرة بعد أن ربطوها إلى مدمرتهم وقامت معركة بالسلاح الأبيض قتل فيها أربعة من الألمان وجرح خمسة وفريق إلى البر واستسلم الباقون ثم بدأ البحث عن الأسرى البريطانيين فعثر عليهم وهم ماثات وكانت أفواههم مكومة وقد أحكم وثاقهم وربطوا معاً ثم زج بهم في المستودعات وبدخولهم وضع في مخزن كان يستعمل للبترول وارتفع الحتاف مردداً « لقد قدم الأسطول » وفتحت الأبواب وخرج الأسرى إلى ظهر الباخرة وقد تبين أن « التمارك » كانت تحمل مدفعين صغيرين وأربعة مدافع رشاشة ، ولم يبق النرويجيون بتفتيشها وإن كانوا قد صعدوا على ظهرها ، وظل الزورقان النرويجيان يرقبان العمل عن كثب طوال الوقت وعند انتصاف الليل غادر فيان الخليج النرويجي وأبحر نحو قاعدته .

وكنمت مع الاميرال باوند نجلس في غرفة العمليات الحربية بالاميرالية والقطن يساور نفوسنا ، وقد أُلححت على وزارة الخارجية في هذا وأنا أدرك خطورة الاجراءات التي تقوم بها ، واسكن هنا الأول كان العثور على الأسرى البريطانيين الذين كانوا في الباخرة وقد أُنعمت قلوبنا بالسرور حين وصلتنا الأنباء في الساعة الثالثة من الصباح بأنه قد تم العثور على ثلاثمائة أسير أنقذوا جميعاً وهذا أمر له أهميته البالغة .

وكان هتلر قد قرر غزو النرويج كما قدمت في الرابع عشر من شهر ديسمبر . وكان ضباط أركان الحرب يضعون الخطة تحت إشراف كايكل ولا شك أن حادث التمارك كان حافزاً للألمان نحو العمل وفي عشرين من فبراير استدعى هتلر بناء على اقتراح من كايكل الجنرال قون فولكنهورست للحضور إلى برلين عاجلاً وكان يقود الفيالق الأولى في كوبلنز في ذلك الوقت وفولكنهورست هذا كان قد اشترك في الحملة الألمانية في فنلندة سنة ١٩١٨ فلما وصل اجتمع هو وهتلر وكايكل وبودل لبحث تفاصيل الخطة المطلوبة للحملة على النرويج وقد تقرر أن يعهد إليه بقيادتها وكان الاختلاف قائماً على أى الجانبين يبدأ بها هل يقدم هتلر بغزو النرويج قبل تنفيذ خطة « الحقيبة الصفراء » للهجوم على فرنسا أو بعدها ؟ وفي اليوم الأول من شهر مارس صدر قرار هتلر بأنه يجب البدء بحملة النرويج ، وقد عقد الفوهرر مؤتمراً

عسكريا بعد ظهر السادس عشر من شهر آذار وتقرر أن يبدأ الغزو في الشهر التاسع من شهر إبريل .

* * *

وفي أثناء ذلك كان السوفييات قد دفعوا قواتهم لتقف ضد الفنلنديين ، وضاعفوا الجهد لاختراق خطر مانرهايم قبل ذوبان الثلوج . وقد تأخر الربيع الذي هول عليه الفنلنديون لسوء الحظ ستة أسابيع . وبدأ الهجوم السوفيائي الكبير في اليوم الأول من فبراير واستغرق اثنين وأربعين يوما مصحوبا بفارات جوية عنيفة على المخازن والسكك الحديدية وراء الجبهة وقد استمر ضرب المدافع الثقيلة عشرة أيام بغير انقطاع قبل بدء هجوم المشاة . وقد اخترق السوفييات القطاع بعد خمسة عشر يوما من القتال الشديد . واشتدت الفارات الجوية على قاعدة فييوري . وفي نهاية الشهر كان خط مانرهايم قد تحطم واستطاع الروس أن يركزوا هجومهم على خليج فييوري . وكان الفنلنديون قد بلغ منهم الجهد والنصب . وكادت تنفذ معداتهم الحربية .

وكان موقف الاستقامة والشرف الذي اتبعناه حائلا دون الوصول إلى أي امتياز استراتيجي يمكننا من إرسال المعدات والذخائر إلى فنلندا بصفة جدية . أما في فرنسا فقد بدأ شعور عميق تبناه مسميو دلاديه بعناية وحاسة . ففي اليوم الثاني من شهر مارس . ودون أن يستشير الحكومة البريطانية وافق على إرسال خمسين ألف مقطوع ومائة قاذفة قنابل إلى فنلندا . ولم يكن في مقدورنا أن نفعل ما فعله الفرنسيون لاسيما أن الوثائق التي وجدت مع الضابط الألماني في بلجيكا والتقارير المتتابعة عن حشد القوات الألمانية على الجبهة الغربية كانت تجعل هذا العمل بعيداً عن العقل والساد .

ومع ذلك فقد تقرر إرسال خمسين قاذفة بريطانية كذلك وقررت وزارة الحرب في الثاني عشر من شهر مارس إحياء الخطط التي ترمي إلى إزال قواتنا في نارفيك وتروند هايم وإنباعها بنزول آخر في سنا فنجار وبرجيه كجزء من المساعدة الفنلندية التي ساقنا إليها الفرنسيون . وكان من المفروض أن تكون هذه الخطط مهيأة للتنفيذ في العشرين من شهر مارس . على الرغم من أننا لم نتمكن من الحصول على

موافقة السويد . ولكن المستر باسيكييف كان قد ذهب مرة ثانية في السابع من شهر آذار إلى موسكو للبحث في شروط الهدنة وفي الثاني عشر منه قبل الفنلنديون شروط مرسكو وقد ركزت جميع خططنا العسكرية التي كانت مهيأة للنزول في النرويج . وتفرقت القوات التي كانت قد جمعت لهذا الغرض . وتقرر إرسال الفرقتين اللتين كننا نحفظ بهما في انسكلترا إلى فرنسا . أما قواتنا الضاربة التي كانت معدة للنرويج فقد نزلت إلى أحد عشر فوجا .

وقد أدى انهيار فنلندا إلى نتائج أخرى فقد اجتمع هتلر وموسوليني في الثامن عشر من شهر مارس بممر برينر . وأسر هتلر متممدا إلى ضيقه بأن ليس هناك أى تفكير للقيام بهجوم برى المائى تجاه الغرب . وقد تحدث المستر تشمبرلين في التاسع عشر من شهر مارس ردا على حملة النقد التي وصلت إليه فقال مؤكدا - وكان على حق في تأكيده إن أهم ما كان يشغلنا هو المحافظة على حياد السويد والنرويج ودافع عن موقف الحكومة في عدم الدخول في محاولات لنجدة الفنلنديين باعتبارها عملا غير مجد ولا يأمل في نجاحه . وكانت هزيمة فنلندا ذات أثر بالغ على حكومة دلاديه الفرنسية التي كانت قد اتخذت خطوات واسعة لمساعدة فنلندا وإن كانت قد جاءت متأخرة وقد أتاح رئيسها بطريقة غير مناسبة هذه الناحية من متاعبنا وفي الحادى والعشرين من شهر مارس نألفت وزارة جديدة يرأسه ميسورينو وقد تعهدت بأن تبذل أكثر ما يستطيع من قوة للقيام بما توجبه الحرب .

وكانت علاقات ميسورينو قائمة على أسس تختلف عن علاقات ميسورينو بدلايه . فقد كان ميسورينو وميندل كلاهما يشاركانى النوازع والشعور بالنسبة لاتفاق ميونخ . أما دلاديه فقد كان يقف إلى الناحية الأخرى . وجاء الوزراء الفرنسيون إلى لندن في الثامن والعشرين من شهر مارس لحضور اجتماع المجلس الحربى الأعلى . وانتدج المستر تشمبرلين الاجتماع بكلمة شاملة واضحة وصف فيها الموقف كما يراه وقال إن لألمانيا ناحيتى ضعف هما تمويها من برادة الحديد ومن البترول . وكانت النابع الرئيسية لهاتين المادتين تقمان فى الطرفين المضادين من القارة الأوروبية . فبرادة الحديد تأتى من الشمال . وأخذ يشرح بعبارة دقيقة قضية قطع تموين الحديد عن ألمانيا من السويد ثم تناول موضوع حقول البترول فى رومانيا وبالكوالى يجب أن يمنع نقاجها

عن ألمانيا بالطرق الدبلوماسية إذا أمكن وكنت أصنى إلى تلك الحجج القوية بسرور بالغ وارتياح وما كنت أعرف حتى ذلك اليوم مقدار ما بيني وبين تشمبرلين من الاتفاق الكثير في وجهات النظر .

وتحدث السيورينو عن أثر الدعاية الألمانية على الروح المعنوية في فرنسا . وقال « ان الدعاية الألمانية تعلن أن ليس لترايخ أى اختلاف مع فرنسا وان الحرب لم تقم إلا بسبب ذلك » الاذن على ايضاً « الذى قدمته بريطانيا إلى بولندا وأن فرنسا سيقى إلى الحرب في إثر بريطانيا ، وأنها ليست على حال تمكنها من القتال .

وكانت سياسة جوبلز نحو فرنسا ترمى إلى استمرار الحرب على هذا النحو الخفيف معتمداً على ما يثبه من روح الخور وتذبيط المهمل بين الخمسة ملايين فرنسى الذين عيشوا في الجيش وعلى قيام حكومة فرنسية تعرب في الوصول إلى تفاهم مع ألمانيا على حساب بريطانيا المظلمى .

وقال : إن السؤال الذى يتردد في فرنسا هو كيف يتاح للحلفاء الفوز في الحرب ؛ فنسبة النرق على الرغم من الجهود البريطانية تزداد بسرعة إلى جانب ألمانيا لا إلى جانبنا .

فكيف وأنى لنا أن نحقق ذلك التفوق المنشود للقيام بعمل ناجح في الحرب ؟ وليس لدينا علم بما تملكه ألمانيا من المتاد الحربى ويسود فرنسا اعتقاد بأن الحرب قد وصلت إلى نقطة من الجود وليس على ألمانيا إلا أن تنتظر . وإذا لم تقم بعمل حاسم لمنع تموين المدو بالزيت والمواد الأولية ، فإن الشهور بأن الحصار ليس كافياً لتحقيق النصر للحلفاء سيزداد قوة » وكان يستجيب إلى وجوب قطع برادة الحديد من السويد ويؤكد وجود علاقة شديدة بين هذا التموين وبين ما تنتجه ألمانيا من صناعات الحديد والفولاذ . ومن ثم رأى أن لابد من زرع الأنعام في المياه الإقليمية على طول الشاطئ النرويجى . والقيام بعمل مماثل لمنع نقل برادة الحديد من ميناء لوليا السويدى إلى ألمانيا . وأكد أن من الضرورى منع الزيت الرومانى عن ألمانيا .

وقد تقرر أخيراً بعد توجيه عدة مراسلات إلى السويد والنرويج أن تزرع الأنعام

في المياء . الافليمية النرويجية في اليوم الخامس من شهر ابريل وتم الاتفاق على أنه إذا قامت ألمانيا بغزو بلجيكا تدخل قوة الحلفاء إليها في الحال ولا تنتظر دعوة رسمية من الحكومة البلجيكية . وإذا غزت ألمانيا هولندا ولم تتحرك بلجيكا لمساعدة جارتها . فإن الحلفاء يطلقون لأنفسهم الحرية لدخول بلجيكا لمساعدة هولندا .
وتقرر أخيراً بإجماع الآراء اتفاق الحكومتين البريطانية والفرنسية على إصدار البيان التالي :

« تتمهد الدولتان في الحرب الحالية بأن لا تقدم إحداها على مفاوضة أو عقد هدنة أو معاهدة صلح إلا بالاشتراك مع الدولة الأخرى » .
وقد كان لهذا الميثاق شأن كبير فيما بعد .

وفي الثالث من شهر ابريل قررت وزارة الحرب البريطانية تنفيذ قرار مجلس الحرب الأعلى . وسمحت للأميراليه بزرع الألغام في مداخل المياء النرويجية في الثامن من شهر ابريل .

ولما كانت هذه العملية قد تدفع الألمان إلى القيام بعمل مضاد فقد تم الاتفاق على ارسال كتيبة بريطانية ووحدة فرنسية صغيرة إلى نارفيك لتطهير الميناء والسير قدما نحو الحدود السويدية وتقرر ارسال قوات أخرى إلى سفانا بجراد وبرجن وثروندهايم لمنع العدو من استخدام هذه القواعد .

وأخذت تترامى إلينا النذر والأنباء السيئة التي تختلف في مصادرها . فقد أعلن وزير الحربية في نفس الجلسة التي عقدتها وزارة الحرب في الثالث من ابريل أن وزارته تلقت تقريراً بأن الألمان يحشدون قوات كبيرة في روستوك تمهيداً للاستيلاء على اسكنديناو إذا رأوا ضرورة تفشى بذلك . وقال وزير الخارجية إن مالدیه من الأنباء الواردة من استوكهلم تميل إلى تأييد ما جاء في تقرير وزارة الحرب . وقد ذكرت المفوضية السويدية في برلين أن بواخر ألمانية حولتها مائتي ألف طن وعلى ظهرها ما يقرب من أربع مائة ألف جندي تحتشد على ميناءي ستيتين وسوينموند وتأنب

لتوجيه ضربة مما كسدة لأى هجوم قد نشته على الموانئ النرويجية التى تهتم بها وتشعر بالقلق الشديد من أجلها .

وفى الرابع من شهر ابريل ألقى المستر تشمبرلن خطاباً أبهى فية كثيراً من التغاؤل فقد أعلن أن هنلر « قد فاته الركب » وأن الأشهر السبعة الماضية قد أتاحت لنا فرصة التغلب على ما كان عندنا من الضعف وتعزيز قواننا الحربية إلى حد بعيد وقال إن المانيا من الناحية الأخرى ، كانت قد بذلت كل مالىها للاستعداد للمركة ولم يمد فى مقدورها مزيد فوق الذى وصلت إليه .

وقد تبين أن هذا الخطاب جاء فى غير أوانه . وكان تقديره خاطئاً فهو يفترض فى أساسه أن مركزنا أصبح أقوى نسبياً مما كان وهذا افتراض غير معقول فإن الألمان كما بينت سابقاً كانوا يدخلون فى السنة الرابعة من استعدادهم الحربية الهائلة . ونحن مازلنا نسير فى المرحلة الأولى التى قد تقاس إلى السنة الثانية من هذا السباق من ناحية الإنتاج .

فضلا عن هذا فإن كل شهر يعر على الجيش الالماني الذى بلغ السنة الرابعة من عمره يزبده نضوجاً وكلاً . وقد أخذ يخفى تفوق فرنسا السابق من ناحية التدريب وحسن النظام شيئاً فشيئاً بصفة مستمرة . وكان كل شىء معلقاً فى كفة القدر . وقد لقيت المقترحات المختلفة التى سبق أن قدمتها لتحسين مركزنا قبولاً آخر الأمر إلا أنه لم ينفذ حتى ذلك الوقت شىء رئيسى لها سواء عندنا أو عند الفرنسيين وكانت خططنا تقضى بتقوية حصارنا بزرع الألغام فى النرويج فى الشمال ومنع وصول الزيت إلى المانيا من جنوب أوروبا الشرقية . وكان كل شىء ساكن وراء الجبهة الألمانية ثم بوغتنا بالمهاجمات العنيفة التى اكتسحت كل ما كان يمهده الحلفاء من سياسة جامدة ضيقة الحدود وقد أخذنا درساً جديداً فى معنى الحرب الجماعية .

النرويج

قبل أن أبدا بعرض هذه المسألة يجب أن أوضح ما طرأ على مركزى فى شهر
أبريل سنة ١٩٤٠ .

أصبح منصب اللورد شانفيلد كوزير للدفاع لافائدة منه وقد قبل المستر تشمبرلن
استقالاته فى الثالث من شهر ابريل وفى الرابع من الشهر نفسه صدر بيان من دوننج
ستريت بأن الحكومة تنوى شغل هذا المنصب . وإن كانت قد اتخذت الإجراءات
لكى يتولى وزير البحرية بصفته أقدم وزراء القوات المسلحة رئاسة لجنة التنسيق
العسكرية .

ومن ثم توليت رئاسة اللجنة التى كانت تمقد جلساتها كل يوم مرة أو مرتين فى
الفترة ما بين الثامن والخامس عشر من ابريل وهكذا أصبحت لى ساطة واسعة من
الناحية النظرية . وإن لم يمهّد إلى سلطة فعالة فى القيادة والتوجيه فقد كنت بين وزراء
القوات المسلحة الآخرين الأعضاء فى وزارة الحرب « الرجل الأول بين الأكفاء »
ولذلك لم تكن لدى السلطة اللازمة لاتخاذ القرارات أو تنفيذها . وكان حتماً على
الأخذ بوجهة نظر وزراء القوات المسلحة ورؤساء أركان حربهم من المحترفين . وكان
من حق فئة كبيرة من الرجال ذوى الكفاية والأهمية بل ومن واجهم كذلك أن
يبعدوا آراءهم فى مختلف مراحل المعركة التى تتبدل من آن لآخر وقد سمى وطيسها .

وكان رؤساء أركان الحرب يمدون مع وزرائهم جلسات يومية منتظمة بعد دراسة
الأوضاع بصفة منتظمة وكانوا يصلون إلى قرارات ذات أهمية كبيرة . وكانت تصلنى
تلك القرارات عن طريق لورد البحر الأول . الذى لم يكن يخفى عنى أمرا من
البيانات والمذكرات التى يصدرها رؤساء أركان الحرب ، وكنت أستطيع إذا شئت أن
أسأل عن أى موضوع خاص بهذه القرارات وأناقشه وأثير البحث فى أول جلسة
تمقدها لجنة التنسيق التى يحضرها رؤساء أركان الحرب مع وزرائهم المختصين الذين
كانوا يقفون غالبا إلى جانبهم يدهونهم إلى الجلسة كأعضاء هاديين وكان النقاش يدور

في هذه الجلسات بطريقة مهذبة وينتهي عادة بتقرير لائق يعده سكرتير الجلسة ويقرره ممثلو وزارات القوات المسلحة بعد التأكد من سلامته وخلوه من الأخطاء وهكذا وصلنا إلى تلك الذروة السعيدة الفسيحة حيث نتخذ القرارات للمصلحة القصوى لأكبر عدد من الناس عن طريق تبادل الرأي بين الجميع . لكن الأوضاع التي كان علينا أن نواجهها في هذه الحرب كانت ذات اختلاف كبير . ومما يؤسف له أن أقول إن النضال القائم كان أشبه بالنضال بين رجل شرير يهاجم انسانا فيهوى على أنفه بمصا أو مطرقة أو أى شيء تقع عليه يده مما تنفر منه النفوس . وتلك من العوامل البارزة التي تدعو الانسان إلى محاولة تفادى الحرب وتسوية الأمور بالطرق الودية ، مع النظر بعين الاعتبار إلى حقوق الأقليات والعناية الحقة بمختلف الآراء . وكانت لجنة الدفاع المتفرعة من وزارة الحرب تعقد جلساتها كل يوم لدراسة تقارير لجنة التنسيق العسكرية وتقارير لجنة رؤساء الحرب . وكانت تقاريرها تعرض على مجلس الوزراء العادي . ويعتزم في كل جلسة من هذه الجلسات شرح الأوضاع وعندما تنتهي كل هذه الاجراءات يكون الموقف جميعه قد تغير وكنا في الاميرالية التي اتخذناها مقرا لقيادة المعركة البحرية نتخذ القرارات الخاصة بالأسطول بصفة عاجلة ولا نحيل منها إلى رئيس الوزراء سوى الأمور البالغة حد الخطورة . فكان يوافق على قراراتنا . أما فيما يتعلق بالقوات المسلحة الأخرى فلم يكن في المستطاع أن نجري لأمر بالسريعة التي تتطلبها الأمور العاجلة . إلا أن ثلاثة ارباع العمل التنفيذي في بدء الحملة التروييجية كان في يد الاميرالية .

ولا أدعى أنني إذا كانت لدى سلطات أوسع مما أتيت لي أستطيع أن أتخذ قرارات أفضل أو أصل إلى حلول أحسن للمشاكل التي لا مفر لنا من أن نواجهها . ولكن الأحداث التي سادسرحها كانت عنيفة والأوضاع كانت في اضطراب وقد أدركت أن سلطات رئيس الوزراء هي وحدها التي تستطيع أن تنظم أعمال لجنة التنسيق وتتحكم فيها ومن ثم طلبت إلى المستر تشمبرلن في الخامس عشر من شهر ابريل أن يتولى رئاسة اللجنة وقد تولى بالفعل رئاسة جميع الجلسات التي عقدناها بعد هذا التاريخ طوال حملة التروييج . وكان يقف الى جانبي ويؤيد آرائى . ويزكيها على وجهات نظر الآخرين بما له من سلطة وعملنا معاً في وثام تام .

ولا شك أن الولاء والنية الحسنه كانا متوافرين لدى الجميع . ومع ذلك فقد أحسستنا أنا ورئيس الوزراء أن نظامنا الذي نسير عليه يحتاج إلى الوضع الصحيح وبخاصة عندما نواجه سير الأحداث التي تحير العقول وعلى الرغم من أن الاميرالية كانت المحرك الاول في هذا الوقت فقد كان لأي وزير أن يمترض على أى تنظيم يحاول فيه وزير آخر تنسيق عمليات القوات العسكرية الأخرى ، في الوقت الذي يدبر فيه أعمال الاميرالية ويتحمل مسئولياتها المتعلقة بالحركات البحرية ولم يكن وجود رئيس الوزراء وتأنيده لى مدلا جميع المقبات وقد واصلت عمل في هذه الحلقة الودية المذبذبة التي يعوزها الثبات في الوقت الذي حالفنا فيه سوء الطالع وانصبت علينا الضربات . وقد صرح لى بعد أن حلت بنا التوازل المدينة في سكندنافيا ، بأن أدعو لجنة رؤساء أركان الحرب إلى الانمقاد وأن أراسر جلساتها : وهي لجنة لم نكده نستطيع أن نقوم بأى عمل دونها وأعطينت لى السلطة الرسمية « للتوجيه والقيادة » وقد اندب الجنرال إيمان أكبر ضباط أركان الحرب فى القيادة المركزية لىكون تحت تصرفى كضابط أركان حرب وممثل لى : وأصبح بهذه الصفة عضوا فى لجنة رؤساء اركان الحرب . وكنت أعرف الجنرال إيمان منذ سنوات . ولكننى عرفته هذه المرة معرفة وثيقة . ومن ثم أصبح رؤساء أركان الحرب أمامى إلى حدما عن حالتهم الجماعية . وكنت أستطيع ككتاب لرئيس الوزراء أن أؤثر تأثيرا فعالا فى قراراتهم وسياساتهم .

وكان طبيعيا أن يتجازوا إلى وزراءهم المختصين . الذين ربما كانوا يشعرون بشئ من السخط — بحكم الطبيعة الإنسانية — لانفقال جزء من سلطتهم إلى زميل من زملائهم . وكان قد اتضح أننى أتولى هذه السلطة بالتيا به عن لجنة التنسيق العسكرية . وهكذا كان على أن أحمّل مسئوليات جسام دون أن تكون السلطة الفعلية فى يدى للقيام بأعباء هذه المسئوليات ومع ذلك فقد كنت مطمئنا إلى أننى أستطيع أن أحقق نجاحا للتنظيم الجديد إلا أن هذا التنظيم لم يطل أكثر من أسبوع ولكن علاقتى بالجنرال إيمان وعلاقته بلجنة رؤساء أركان الحرب متواصلة لا تفصم أو يمتريها الوهن منذ اليوم الأول من شهر مايو سنة ١٩٤٠ إلى السادس والعشرين من شهر يولية سنة ١٩٤٦ حين القيت عن كاهل المسئوليات .

وقد دعا وزير ألمانيا المفوض في أوسلو ليلة الجمعة الخامس من شهر أبريل لقيماً من الضيوف البارزين ومن بينهم الوزراء إلى مشاهدة عرض شريط سينمائي في دار المفوضية . وقد عرض الشريط المناظر الرهيبة التي التقطت أثناء غارات المدافع على وارسو . وكانت العبارة التي أقيمت لشرح هذه الصور « إن البولنديين يستطيعون أن يحمّدوا أسدقاءهم الإنسكايز والفرنسيين على ما حل بهم » وانفض الضيوف وقد استقوى عليهم الأسى والوجوم . وكانت الحكومة النرويجية تشعر بقلق شديد لنشاط الإنسكايز وأعمالهم . وقد قامت أربع مدمرات بريطانية بوضع الألغام في مداخل الخليج الغربي وهو القناة التي توصل إلى ميناء نارفيك وكان ذلك ما بين الساعة الرابعة والنصف والخامسة من صباح اليوم الثامن من شهر أبريل وأذيعت الأنباء بذلك من لندن في الساعة الخامسة صباحاً . وفي الساعة الخامسة والنصف سلمت مذكرة من حكومة صاحب الجلالة إلى وزير الخارجية النرويجية . وظلت أوسلو طوال الصباح تعد احتجاجاتها للندن . وفي ساعة متأخرة من بعد الظهر في نفس اليوم أبلفت الاميرالية المفوضية النرويجية في لندن أن البوارج الألمانية شوهدت على مقربة من الشاطئ النرويجي تتقدم نحو الشمال وقد تكون متجهة نحو نارفيك وقد وصلت الأنباء في نفس الوقت بأن ناقلة الجنود الألمانية ريودي جانيرو ، قد غرقت بالقرب من الساحل الجنوبي للنرويج وقد أغرقها الغواصة البولندية أورزيل . وقد أقد الصيادون النرويجيون عدداً كبيراً من الجنود الألمان وقد صرحوا بأنهم كانوا في طريقهم إلى برجن لبساعدوا النرويجيين على الدفاع عن بلادهم ضد البريطانيين والفرنسيين . وأن في الطريق بواخر أخرى . وكانت ألمانيا قد افتتحت حدود الدانمارك ولكن هذه الأنباء لم تصل إلى النرويج إلا بعد أن تعرضت للغزو ولم تفاق نرويج تحذيراً رسمياً وقد استولى الألمان على الدانمارك بعد أن قاوموا مقاومة عنيفة قتل فيها عدد من الجنود المخلصين .

وفي تلك الليلة اقتربت البوارج الألمانية من ميناء أوسلو وأرسلت البطاريات الساحلية عليها النيران . وكانت القوة الدفاعية النرويجية تتألف من زارعة ألغام هي أولان تريجفاسون ، وكانستى ألغام وبعد الهجر بقليل دخلت كانستا ألغام ألمانيان

مدخل الخليج لازال الجنود بالقرب من المدفعية الساحلية . فأغرقت إحداهما بنيران مدفعية زارعة الألغام تريخفاسون ولكن القوات الألمانية نزلت واستولت على البطاريات الساحلية . وقد استطاعت زارعة الألغام الباسلة أن تصد مدمرتين المانيتين عند مدخل الخليج وألحقت أضراراً بالطراد إيدن . واشتركت في المعركة سفينة من سفن صيد الحيتان مزودة بمدفع واحد . دون أن يكون لديها أمر من أحد . وقد طار مدفع السفينة في هذه المعركة وأصيب قائدها في ساقه . وحتى لا يصاب رجاله بذهوع أو تنهار أعصابهم دحرج جسده على ظهر السفينة وانتحر بشجاعة نادرة . ودخلت القوة الألمانية الرئيسية يتقدمها الطراد بلوخر إلى الخليج واتجهت إلى الخليجان التي تحميها قلعة أوسكار زيورج . وأرسلت المدفعية الترويحية نيرانها وأطلقت القوة المدافعة طوربيدين من مسافة خمسمائة ياردة فغرق الطوربيد بلوخر في الحال . وغرق معه كبار رجال القيادة الألمانية الإداريين وفئات من الجسائب . ونكست السفن الألمانية الأخرى راجعة ومن بينها لوتزاو . ولم يعد الطراد إيدن إلى الاشتراك في أى قتال . وقد احتلت أوسلو عن طريق القوات التي هبطت من الجو إلى الخليج لا من طريق البحر .

وأصبحت خطة هتار واضحة تماماً . فنزلت القوات الألمانية في كريستيان ساند ، بوستانا نجر . ونزلت في الشمال في برجن وتروند هايم .

وكانت في نارفيك الضربة الكبرى فقد مضى أسبوع والباخرة الألمانية التي تنقل برادة الحديد تعود إلى ذلك الميناء وتسير في الطريق المخصص لها بناء على الحيات الترويحية . وهي ملأى بالمون والعتاد وكانت عشر مدمرات ألمانية تحمل كل منها مائتي جندي ومعهم الطرادان شارنهورست وجينزناو قد أقلعت من ألمانيا قبل بضعة أيام . ووصلت إلى نارفيك في وقت مبكر من صباح اليوم التاسع من شهر أبريل .

وكانت في مياه الخليج سفينتان حربيان من السفن الترويحية هما السفينة نورج والسفينة ايدزفول وكلاهما على استعداد للقتال وعند الفجر ظهرت المدمرات متجهة إلى الميناء بسرعة كبيرة . وقد حالت المواضع الناجية الشديدة دون معرفة جنسية هذه المدمرات . ولكن سرعان ما ظهر ضابط ألماني يستقل زورقاً بخارياً ، وطلب

من أيلدزفولد الاستسلام . وقد انسحب هذا الضابط عند ما سمع من قائد السفينة الحربية ذلك الرد القصير « سأهاجم » ولكن السفينة غرقت في الحال بوابل من الطوربيدات التي أنهالت عليها . وفي خلال ذلك أرسلت نورج نيرانها ولكنها غرقت في الحال بقذائف الطوربيد وقد قضى في هذه المعركة ٢٨٧ بحاراً زويجياً ولم ينج من السفينتين أكثر من مائة بحار . وقد أصبح احتلال نارفيك أمراً ميسوراً وهكذا ضاع هذا الموقع الاستراتيجي وحرمننا منه إلى النهاية .

وكان الأميرال فوربس يترصد بالقوة الرئيسية من أسطوله في ذلك الصباح أمام برجن . وكان الموقف في نارفيك لم يتبين بعد وقد كان القائد يأمل أن يتمكن من أن يحول بين الألمان وبين احتلال الميناء فزج بمدمراته إلى الخليج لتتبع الألمان من النزول إلى الساحل وأسرع الزبان ووربر تولى على رأس خمس مدمرات هي هاردي وهنتر وهانوك وهوتسبر وهوسنابل بالدخول إلى الخليج الغربي وقد أبلغه الزويجيون في ترانوي أن ست سفن حربية أكبر من قطعه ترافقها غواصة مرت بالمكان وأن الألغام وضعت في الميناء وقد أرسل هذه المعلومات وأضاف إليها هذه الكلمة « عزمت على الهجوم عند الفجر » . وفي اليوم العاشر من شهر إبريل دخلت الدمرات الخمس إلى الخليج وكانت عند الفجر أمام نارفيك . وكانت داخل الميناء خمس مدمرات . وقد استطاعت المدمرة هاردي في هجومها الأول أن تقذف القنطرة الألمانية التي كانت ترفع علم القائد الألماني الذي قتل وغرقت مدمرة أخرى بقذيفتي طوربيد أما الثلاث الباقية فقد أسابتها نيران المدفعية ولم تستطع المقاومة . وكان في الميناء ثلاث وعشرون باخرة تجارية من مختلف الجنسيات منها خمس بواخر بريطانية وست ألمانية ومرت جميعها . ولم تشتبك في هذه المعركة غير ثلاث من مدمراتنا . وبقيت هوتسبر وهوسنابل كقوة احتياطية ضد تدخل البطاريات الساحلية أو سفن ألمانية جديدة . ولكنهما نادتا فاشتراكتا في الهجوم الثاني ، وتمكنت هوتسبر من إغراق سفينتين ألمانيتين تجاريتين بالطوربيد . ولم تصب أية قطعة من قطع الزبان دوربرتون لي . وقد وقفت مدفعايات العدو ، وبعد ساعة من المعركة لم تكن وحدة من الوحدات الألمانية تستطيع الخروج من المضيق لأقائه .

لكن الحظ بدأ يتغير ويتقلب . فقد سادف ووربرتون وهو قائد بمد هجرمه الثالث ثلاث قطع جديدة تقرب منه وبدأت معركة على مسافة سبعة آلاف ياردة . وقد ظهرت فجأة سفينتان حربيّتان من وراء الضباب . ولم تكن هاتان السفينتان من سفن النجدة البريطانية كما كان يظن ولكنهما كانتا مدمرتين المائيتين ترسوان في خليج قريب وبدأت المدافع الألمانية تدوى بصوتها وتحطم ما تشاء على ظهر هاردى وقد أصيب القبطان دوربرتون لى إصابة مهلكة، وقتل سائر ضباطه ورفاقه وجرح البعض عدا اللازم سفن سكرتيريه الذى قام بأعمال القيادة وزلت قذيفة فى غرفة الآلات فانفجرت . واضطرت المدمرة إلى الجحوح نحو الشاطئ تحت تأثير النيران الشديدة وكانت آخر رسالة بث بها ربان هاردى إلى المدمرات الأخرى « واصلوا القتال مع العدو » .

وفى أثناء ذلك كانت المدمرة هنتر قد أغرقت ، أما هوتسبر وهو ستايل اللتان أصيبتا إصابات مباشرة مع هافوك ، فقد انجھتا معها إلى عرض البحر ولم يستطع العدو الذى تصدى للمدمرات الثلاث أن يقفها . وبعد نصف ساعة لاقت المدمرات الثلاث سفينة كبيرة تبين أنها السفينة رونفيلز وكانت تحمل العتاد للامان فأطلقت هافوك عليها النيران فنسفها . واستطاع الناجون من المدمرة هاردى أن يصلوا إلى الشاطئ وقد حملوا جثة قائد المدمرة الذى منح وسام « صليب فيكتوريا » بمد موته . وقد خاف هو ورجاله أثراً لا يمحي على العدو وسفحة خالدة فى تاريخنا البحرى .

وكان الهجوم الخاطف على الترويج يمتاز بالمفاجأة والقسوة والخطط الدقيقة التى غودر فيها شعب برى أعزل كالشعب الترويجى . وقد استخدمت ألمانيا فى هذا الهجوم سبع فرق وثمانمائة طائرة عاملة وما يقرب عده من مائتين وخمسين إلى ثلاثمائة طائرة قتل مما كان له أثره الواضح فى الهجوم . ولم تمض ثمان وأربعون ساعة حتى كانت جميع موانئ الترويج قد وقعت فى أيدي الألمان . فلما ظهرت الحقيقة أمام المالك والشعب والجيش اشتد غضبهم ولكن بمد قوات الأوان فقد أعمتهم الدعاية الألمانية عن الحقائق وعادت فسلبتهم القدرة على المقاومة وأسرع الجنرال كوبرلنج فأعلن

نفسه حاكماً على المناطق التي احتلها الألمان . وقد رفض سائر الموظفين النرويجيين العمل تحت إمرته . وبدأت التعبئة وأخذ الجيش يقاتل الغزاة الذين كانوا يزحفون شمالاً من أوسلو وهرع الوطنيون الذين استطاعوا الحصول على الأسلحة إلى الجبال والغابات وقد انسحب الملك وحكومته نحو هامار وتقع على بعد مائة ميل من أوسلو وكانت السيارات الألمانية المدرعة تطاردهم ، وحاول الألمان القضاء عليهم بالقنابل والمدافع الرشاشة ، ولكنهم على الرغم من ذلك ظلوا يحضون الشعب على أن يبذل كل ما لديه من قوة في سبيل المقاومة ولكن الشعب كان قد أخذ منه الرعب والخوف كل مأخذ ولجأ إلى السكينة والخضوع . ومن المعروف أن شبه جزيرة النرويج تمتد ألف ميل طولاً وسكانها مبعثرون في كل ناحية وطرق مواصلاتها قليلة وبخاصة في الشمال . ولا شك أن السرعة التي استطاع بها هتلر الاستيلاء على تلك البلاد تعد من الأعمال الخارقة وهي مثل للنظام الدقيق والوحشية البالغة التي عرف بها الألمان .

وناشدتنا الحكومة النرويجية التي كانت تقف منا موقف الفقور أن نعمل بنجدتها . وكان إنقاذ جنوب النرويج أمراً مسيراً علينا إذ أن سائر قواتنا المدربة والكثير من القوات المدربة نصف تدريب قائمة في فرنسا . وكان كل هم قواتنا الجوية أن تقوى الحملة البريطانية في فرنسا وأن تدعم الدفاع الداخلي ، وتقوم بأعمال التدريب الواسعة . وكنا في حاجة إلى عشرة أضعاف ما لدينا من المدافع المضادة للطائرات للدفاع في جميع الجهات المعرضة للغارات الجوية . ولكننا مع ذلك كنا نشعر بضرورة المساعدة ولو عرضنا سائر استعداداتنا ومصالحنا للخطر . وقد رأينا أن في استطاعتنا أن نستولى على نارفيك وتدافع عنها لمصالح الحلفاء جميعها . ويستطيع ملك النرويج أن يرفع علمه حراً عليها ويستطيع أن تقاوم العدو عند تروندهايم لنمنعه من الزحف إلى الشمال حتى يمكننا أن نستعيد نارفيك ونجعل منها قاعدة لجيشنا . وقد تبين أن من الممكن الاحتفاظ بها وتوحيدها بطريق البحر . إذا استخدمنا قوة تفوق ما في مقدور العدو أن يرسله من خمسمائة ميل من المنطقة الجبلية .

وقد وافق مجلس الوزراء على إجراء كل ما يمكن لإنقاذ نارفيك وتروندهايم

والدفاع عنهما . وكانت هناك قوة مهيأة لذلك وهى القوة التى كانت معدة لفنلندا مضافا إليها ما كنا قد احتفظنا به لمشروع نارفيك من قبل . وكانت هذه القوة تموزها الطائرات والمدافع المضادة للدبابات والدبابات ووسائل النقل والتدريب . وكانت الثلوج تغطى سائر الأجزاء الشمالية من الترويج إلى ارتفاع لم يتيح لجنودنا أن رأوا مثله من قبل . ولم يكن لدى جنودنا أحذية أو زحافات للثلوج . ورغم ذلك فقد كان حتما علينا أن نعمل ما استطعنا وبدأت الحملة على هذه الصورة .

وقد حاولنا أن ننزل فى نارفيك وتروندهايم وأما كن أخرى وكان تفوق الألمان فى التخطيط والإدارة والحيوية واضحا . فقد وضموا لملتهم خطة دقيقة أتقنوها من قبل كل الإلتقان . وأحسنوا استخدام السلاح الجوى على نطاق شامل فى سائر المراحل وفنلا عن ذلك فقد كان تفوقهم الفردى ظاهرا وبخاصة فى المجموعات الصغيرة . وقد استطاعت قوة المانية صغيرة غير منظمة لا يزيد عددها على ستة آلاف جندي أن تقف ستة أسابيع أمام عشرين ألف جندي من قوات الحلفاء . وإذا كانوا قد أرغموا على الخروج من المدينة إلا أنهم عاشوا حتى رأوا جنود الحلفاء يخرج منها . وقد بدأ الأسطول من البحر بداية طيبة ولكنه توقف عن العمل لاحتجاج قائده عن القيام بتلك المخاطرة اليائسة . وقد قسمنا قواتنا بين نارفيك وتروندهايم ، وبهذا التقسيم قضينا على خططنا بالفشل . وقد تمكن الألمان من هزيمتنا على الرغم من أنهم كان عليهم أن يقطعوا مئات الأميال فى أرض تغطيها الثلوج ، وعلى الرغم من قصص البطولة التى ظهرت فى تلك المارك . وأمام عدو يتحرك كيف شاء فى مسافات شاسعة مجتازا شتى العقبات والصعاب هزمنا نحن الذين كنا نسيطر على البحار ونستطيع النزول على أى شاطئ .

وقد وضعنا أنفسنا مختارين فى أزمات وسقطات فى الترويج وظننا أن الخط كان معاكسا لنا وقد خدمنا بالخروج من تلك الأزمات وما كدنا نصل إلى نهاية شهر مايو حتى وجدنا أنفسنا أمام إخلاءات متتالية . وإذا نظرت إلى الدور التى قمت به فى هذه الأحداث والمصاعب التى واجهتنا وتغلبت عليها ، أو العيوب التى كانت فى قيادتنا وتنظيماتنا . أيقنت أننى نجوت بمعجزة من كل هذه المآرق . واحتفظت

بمركزى أمام الراى العام وتقديره وثقة البرلمان . وربما كان هذا لاننى قصيت عامين وأنا أتكلمن بتلك الاحداث وأوالى التحذيرات والإنذارات التى لم يعبأ بها أحد فى الماضى وإن كان الجميع أصبحوا يذكرونها الآن .

وهاجم الطرادان الألمانيان شارنهورست وجينزناو حاملة طائراتنا جلوريوس فى اليوم الثامن من شهر يونيه فأغرقاها فى أقل من ساعة ونصف ودمرت إحدى المدمرات التى كانت معها وهى اكسا ولم ينج من بحارتها إلا بحار واحد .

وقد ظهرت حقيقة واحدة لها أهميتها البالغة بالنسبة للحرب . وهى أن الألمان فى المعركة اليائسة أمام الأسطول البريطانى كانوا يدمرون ما لديهم من قطع بحرية فى انتظار المعركة الحاسمة . وقد بلغت خسائر الحلفاء فى القتال الجوى فى الترويج حاملة طائرات واحدة وطرادين وسفينة حربية صغيرة وتسع مدمرات وأصبحت ست طرادات وسفيتان حربييتان وتمانى مدمرات بأضرار يمكن إصلاحها وفى نهاية شهر يونيه وهو تاريخ له أهمية فى سير الحرب كان الأسطول الألمانى لا يزيد على طراد يحمل مدافع من عيار ثمان بوصات وطرادين خفيفين وأربع مدمرات ولم يعد الأسطول الألمانى ذا أهمية فى معركة غزو بريطانيا .

وقد انتهت قصة هجوم هتلر على الترويج وظهر فى الجو أعظم بحث عسكري خفيف عرفه الإنسان . وقد أوضحت فى فصل سابق ذلك السببات العميق الذى ظلت فيه بريطانيا وفرنسا ثمانية أشهر والعالم ينظر فى ذهول وقد نال الحلفاء من جراء ذلك أضرار جسيمة . ومنذ الوقت الذى تم فيه التفاهم بين ستالين وهتلر . تلقى الشيوعيون الفرنسيون الايحاء من موسكو وأعلنوا « أن الحرب جريمة استعمارية رأسمالية ضد الديمقراطية » وقد عمل الشيوعيون جهدهم للقضاء على الروح الممنوعة فى الجيش وعرقلة إنتاج المصانع وقد انحطت الحالة الممنوعة فى فرنسا سواء بين الجنود أو الشعب فى شهر مايو بصورة واضحة عما كانت عليه عند بدء الحرب .

ولم يحدث فى بريطانيا شئ من ذلك حيث كانت الدعاية الشيوعية ضعيفة كل الضعف . وكنا مع ذلك نمثل حكومة حزبية وعلى رأسنا رئيس وزراء تنظر إليه

الممارسة بفضاضة ولا يجد تأييدا أو حماسا من الحركة النقابية . ولم يكن أثل هذا التوسع الوقور الخالص الذى يسير على أنظمة معينة من الادارة أن يستثير أى مجهود حربي . سواء فى الدوائر الحكومية أو فى المصانع الحربية وهو أمر حيوى بالغ الأهمية . ونحن أشد ما نكون حاجة إلى حفز المهتم والحث على مواجهة الأخطار واستنهاض قوى الشعب ، وكانت الأجراس تؤذن بالخطر .

سقوط الحكومة

كان لجملة الزويج القصيرة وما تبعها من فشل وأخطار أثر بالغ في النفوس اهتزت له بريطانيا واشتملت العواطف الهاججة فشملت الجميع حتى أولئك الذين كانوا في السنوات السابقة للحرب مترخين متوانين . وطلبت المعارضة المناقشة في الوضع الحربى فقرر لهذه المناقشة اليوم السابع من شهر مايو وقد امتلأ المجلس بالأعضاء وقد شملتهم سحابة من الغم والغضب ولم يكن ليبيان المستر تشمبرلين تأثير في تهدئة التيار المعارض وقوطع عدة مرات بالهزء والسخرية وذكره بمض الأعضاء بخطابه الذى ألقاه في الرابع من شهر ابريل وذكر فيه بغير تحفظ : « ان هتلر فاته القطار » وحدد في خطابه مركزى الجديد وسلاتى برؤساء أركان الحرب وأعلن في الرد على سؤال ألقاه المستر هيربرت موريسون اننى لم أكن أتمتع بالسلطة أثناء حملة الزويج وأخذ الخطباء من الجانبين يهاجمون أعضاء الحكومة واحداً بعد واحد لاسيما رئيسها بشيء من العنف والغضب ووجدوا أنهم يقابلون بهتافات عالية من سائر الجهات . وانتقد السير روجر كيبس الذى كان يبنى الظهور في الحرب الجديدة ، القيادة البحرية وأنحى عليها باللائمة لفشلها في محاولة احتلال ميناء تروند هايم وقال : « إننى عندما رأيت الحالة السيئة التى وصل إليها الموقف لم أتوان عن رجاء الأميرالية ووزارة الحرب بأن يسمحالى بتحمل المسئولية وقيادة الهجوم » وكان يتحدث وهو مرتد الملابس العسكرية كأمرال في الأسطول . وقد أيد حملة المعارضة بتفاصيل فنية دقيقة واستخدم معلوماته الفنية بطريقة صادفت تجاوباً بين أعضاء المجلس . وقام المستر إيمرى من المقاعد القائمة وراء الحكومة لحزبها يردد ما سبق أن قاله كرومويل للبرلمان في شيء من الكبرياء : « لقد قضيتُ هنا وقتاً طويلاً لا يتفق مع النفع الذى رأيناه منكم . وأقول لكم انصرفوا ودعونا نخلص منكم . بالله عليكم أن ترحلوا » وقد قوبلت كلماته بهتافات عالية . وكانت هذه الكلمات الرهيبة صادرة عن صديق وزميل لمدة سنوات ، فضلاً عن أنه كان عضواً في حزبنا عن برمنجهام وعضواً في مجلس الملك الخاص ذا شخصية بارزة وله خبرة واسعة .

واستمرت المناقشة في اليوم الثاني أى في الثامن من شهر مايو على أساس الاقتراع بالتأجيل ولكنها انجهرت إلى نوع من الاقتراع بالثقة . وأعلن المستر هربرت موريسون باسم المعارضة عزمها على طلب الاقتراع بالثقة . وقام رئيس الوزراء للمرة الثانية فقبل التحدى وأنجه نحو أصدقائه يطلب منهم أن يقفوا إلى جانبه وقد احتفل هؤلاء الأصدقاء نتيجة أعماله أو أعماله في الماضي ومن ثم أصبحوا يشتركون معه في مسئولية تلك السنوات الهزيلة « التي أكل الجراد نباتها » قبل الحرب . ولكن هؤلاء الأصدقاء ظلوا ساكنين خجولين وقد اشترك بعضهم في المظاهرات المدائية .

وشهد المجلس في ذلك اليوم للمرة الأخيرة تدخل المستر لويد جورج في أعماله فألقى خطاباً قصيراً لم يستغرق أكثر من عشرين دقيقة أزل فيه ضربة قاسية على رأس الحكومة . وقد حاول أن يجنبني هذه الضربة معلناً براءته حين قال : « لا أظن أن وزير الحربية هو المسئول على الإطلاق عن كل ما حدث في الترويج » فقاطعه في الحال وقلت : « إنني لأتحمل المسئولية كاملة عن كل ما قامت به الأميرالية ، وأتحمل نصيبى من العبء على أتمه » وبعد أن حذرني المستر لويد جورج بأن آوى إلى غيباء من مخافي الغارات الجوية بقى زملائي الإصابه بالشظايا التفت إلى المستر تشمبرلين قائلاً : « إن الموضوع لا يتعلق بأصدقاء رئيس الوزراء . إن القضية أكبر وأضخم من هذا بكثير . لقد طالبنا بالتضحية والشعب يجيمه مستعد للتضحية إذا رأى القيادة الصالحة وإذا رأى ما ترمى إليه الحكومة حقيقة وإذا تأكد من أن هؤلاء الذين يقولون قيادته يبذلون أقصى ما يستطيعون من جهد » ثم انتهى إلى أن قال : « اننى أعلن بكل جد أن رئيس الوزراء يقدم المثل للشعب على التضحية . فليس أدعى للنصر في هذه الحرب من أن يضحى بمنصبه » .

وقد وقفنا كوزراء متضامنين في جبهة واحدة ، وكان وزيراً الحربية والطيران قد ألقيا كلمتيهما . واقترحت أن أختم المناقشة . وكان هذا أمراً لا يخرج من واجبي لأعلى سبيل الولاء للرئيس الذى أعمل تحت رئاسته فحسب بل لأهمية الدور الذى قمت به لمساعدة الترويج بقوات غير كافية . وحاولت جهدى أن أفأمام تيار المعارضة المنيفة والمقاطعات التوالية ومعظمها كان سادراً من مقاعد المال . وقت بهذا الواجب

بمحاسنة بالغة لأعيد السيطرة على المجلس لصالح الحكومة وأنا أذكر الأخطاء السياسية الانهزامية الخطيرة في السنوات السابقة للحرب . وكيف اقترحوا قبل نشوب الحرب بأربعة أشهر فحسب ضد التجنيد الإجبارى وقد أحسست أنا وبمض أسدقائى بأننا وحدنا الذين لهم الحق في توجيه اللوم . أما الآخرون فليس لهم هذا الحق على الإطلاق . وقد رددت عليهم بقوة حين تصدوا لى . وارتفعت الأصوات وزاد الضجيج حتى تمذر على الآخرين أن يسمعوا صوتى . ولكن سرعان ما بدا أن غضبهم لم يكن منصبا على ولاسكنه كان موجهاً إلى رئيس الوزراء الذى كنت أدافع عنه ما استطعت إلى ذلك سبيلا . فلما انتهيت من خطابى في الساعة الحادية عشرة أجرى الاقتراع فانقسم المجلس . وقد نالت الحكومة الثقة بأغلبية واحد وثمانين صوتاً . على الرغم من أن ثلاثين نائباً محافظاً انضموا إلى المعارضة مع المهال والأحرار . وستين نائباً امتنعوا عن التصويت . وقد اتضح من المناقشة عدم الثقة بالستر تشمبرلين وحكومته .

وقد طلب إلى الرئيس أن أذهب إلى مكتبه في المجلس . وأحسست أنه كان ينظر نظرة جدية إلى شعور المجلس نحوه . وأدرك أنه لا يستطيع الاستمرار في الحكم . ورأى أن من الواجب أن تقوم حكومة قومية . فليس في مقدور حزب واحد أن يتحمل العبء منفرداً . ولا بد من شخص يؤلف هذه الحكومة التى تشترك فيها جميع الأحزاب وكنت قد اهتمت بالنقاش وعلى الرغم من أننى على ثقة من سجلى السابق بالنسبة للسائل المعروفة فقد كانت لى رغبة فى مواصلة النضال وقلت له : « لقد كانت مناقشة قاسية حقاً ولكنك فزت بأغلبية طيبة . فلا تتألم ، إن قضيتنا قوية فيما يتعلق بالترويج . وهى أقوى مما استطعنا أن نعرضه على المجلس . وأرى أن من الواجب عليك أن تقوى حكومتك من سائر النواحي ولنواصل العمل حتى تتخلى عنا الغالبية . »

ولكن الستر تشمبرلين لم يقتنع بكلامى ولم ترض نفسه بمد ما صبر به من الألم المعض . وغادرته وأنا أحس بأنه قد عقد العزم على أن يضجى بنفسه إذا لزم الأمر ولا يعضى بالحزب بحكومة الحزب الواحد .

ولا أذكر كيف توات الأحداث صباح اليوم التاسع من شهر مايو ولكنها

وقعت فعلا . فقد كان المستر كينجزلى وود وثيق الصلة برئيس الوزراء كرميل
وصديق . وكانا قد عملا معا مدة طويلة في ثقة ووثام . فعلمت منه أن المستر تشمبرلن
كان قد صمم على وجوب تأليف حكومة قومية وإذا لم يتم له هذا الأمر فإنه يتخلى
عن رئاسة الوزارة لأى شخص آخر يثق فيه . وأحسست بعد ظهر ذلك اليوم بأننى
قد أدعى إلى تأليف الوزارة . ولم يستثنى هذا الأمر واعتقدت أن هذا هو الحل
الأفضل . وكنت مقتنعا بأننى لا بد أن أنرك الأمور تسير في مجراها وقد استدعاني بعد
الظهر رئيس الوزراء إلى داوونج سترث حيث وجدت اللورد هاليفاكس بعد حديث
قصير عن الموقف قيل لنا إن المستر اتلى والمسترجرينوود سيصلان بعد دقائق للتشاور
معه . فلما وصلا جلسنا نحن الوزراء الثلاثة إلى جانب وجلس زعيما المعارضة إلى الجانب
الآخر . وقد بدأ المستر تشمبرلن حديثه مبينا رأيه بأن لا مناص من تأليف حكومة
قومية وود ليعرف رأى حزب العمال في العمل تحت رأسته ولكن تبين أن الزعيمين
لا يستطيعان أن يبتا في الأمر برأى قاطع دون استشارة حزبهما . وقد أشارا إلى أن
الرد سيكون في الغالب ردا سلبيا . وانسحب الزعيان العماليان بعد ذلك . وكان
النهار مشرقا فقضيت مع اللورد هاليفاكس في حديقة المجلس . وتناولنا الحديث في
سائر الأمور . ثم عدت إلى الأميرالية فقضيت المساء وهزيمنا من الليل في أعمال ذات
أهمية بالغة .

* * *

وبزغ فجر اليوم العاشر من شهر مايو ومعه أنباء جسام فقد انتهت على الأميرالية
ووزارة الحربية والخارجة البرقيات تقول إن الألمان قد ضربوا ضربتهم التي طال
انتظارها وغزت جيوشهم هولندا وبلجيكا واجتازت حدودها في مواضع كثيرة .
وقد اندفع الجيش الألماني يغزو الاراضى الواطئة وفرنسا .

وحضر إلى السير كينجزلى وود في الساعة العاشرة موفداً من عند رئيس الوزراء .
وقال لي إن المستر تشمبرلن يشمر الآن بأن المركة الهائلة التي نخوض غمارها تقضي
ببقائه في منصبه . وقال كينجزلى وود إنه أجابه بأنه يرى عكس ذلك وإن الأزمة
الجديدة تدعو إلى ضرورة قيام حكومة قومية لتواجه الأمور . وأضاف أن المستر

تشمبرلن اقتنع أخيراً بوجهة نظره واستدعيت في الساعة الحادية عشرة مرة ثانية إلى دوننج ستريت لمقابلة رئيس الوزراء ووجدت لديه اللورد هاليفاكس وأخذنا مجلسنا أمام المستر تشمبرلن وقد أبلغنا بأنه أصبح مقتنعاً بهجزه عن تأليف حكومة قومية . فقد تركه زعيم حزب العمال وهو موقن بالنتيجة . فمن يستطيع أن يعرض اسمه على الملك لتولي رئاسة الوزارة بعد أن يستقيل . وكان في مظهره شيء من الفتور والسكينة والبعد عن الناحية الشخصية وهو ينظر إلينا من مقدمه على المائدة .

وقد جرت في حياتي العامة مقابلات كثيرة ذات أهمية بالغة ولا شك أن هذه المقابلة كانت أهمها . وإذا كان من دأبي كثرة الحديث فإنني في هذا الموقف ظلت ساكناً . ولا شك أن المستر تشمبرلن كان يستعرض في مخيلته ذلك للمظهر العنيف الذي كان في مجلس العموم منذ ليلتين حين تصدبت لنواب العمال في مناقشة حادة بلغت حد النزاع . وعلى الرغم من أن مناقشتي كانت تأييداً له ودفاعاً عنه فقد أحس بأن وجوده ربما كان عقبة في سبيل قبولهم لي . ولا أتذكر الكلمات التي فاه بها تماماً ولكنني أدركت منه هذا القصد . ويقول المستر فيلينج مؤرخ حياته « إنه كان يفضل أن يختار اللورد هاليفاكس .

وقد ساد صمت طويل لأنني ظلت ساكناً . ولا شك أن هذه الفترة من الزمن كانت أطول من الدقيقتين المألوفتين اللتين تحتفظ بالصمت فيهما يوم الهدنة ثم تكلمت أخيراً مع اللورد هاليفاكس فقال إن مركزه كـلورد خارج مجلس العموم يجعله يشعر بأنه لا يستطيع أن يقوم بواجباته كرئيس للوزراء في مثل هذه الحرب . إذ أنه سيكون مستثلاً من كل شيء دون أن تكون لديه الوسائل اللازمة لتوجيه المجلس الذي لابد لكل حكومة أن تعتمد على ثمنه بها . وقد تحدث بضعة دقائق على هذا النحو ولما انتهى من حديثه تبين أن الواجب سيقع على بل إنه قد وقع على بالفعل . وهنا تحدثت لأول مرة فقلت إنني لا أنصل بأي حزب من المعارضة قبل أن يصدر قرار إلى بتأليف الوزارة . وانتهت مدة المحادثات الخطيرة عند هذا الحد . ثم انتقلنا إلى الحديث في بعض المسائل المألوفة التي يتحدث فيها أصدقاء عمكوا معاً عدة سنوات وعدت إلى الأميرالية حيث كانت — كما يستطيع أن يدرك كل إنسان — تتغلغل

الكثير من المهام .

ووجدت الوزراء الهولنديين في مكنتي . وقد بدا على وجوههم الوجوم والنصب
بعد أن طاروا من استردام . فقد هوجمت بلادهم بغير سبب تدركه ولو كان ضعيفاً
ودون أى إنذار . وأنهار عليهم جبل الجليد ولكن بالنار والحديد فلما بدأت المقاومة
وأطلق حرس الحدود نيرانهم انصب عليهم الدمار من الجو . وسمت القوضى سائر
أنحاء البلاد . وقد أسرع الهولنديون بتنفيذ الخطط الدفاعية المعدة منذ زمن طويل
وفتحت السدود المائية وسالت مياه البحر إلى مسافات بعيدة ولكن الألمان كانوا
قد تجاوزوا الخطوط الخارجية وبدءوا يزحفون على ضفاف الراين ويمهرون الخطوط
الدفاعية الداخلية وأصبحوا يهددون قناة الزيدرزي فهل في مقدورنا أن نصنع شيئاً ؟
ولحسن الحظ أن قافلة بحرية كانت قريبة ، فصدرت إليها الأوامر بالإسراع إلى تلك
المنطقة وسب نيرانها عليها لإلحاق الدمار بالغزاة الزاحفين . وكانت الملكة لا تزال في
هولندا ولكنها لن تستطيع البقاء بها طويلاً .

وأصدرت الأميرالية الأوامر المتتابة إلى جميع القطع البحرية والقريبة بأن
تتأهب للمعركة وقد قامت علاقات وثيقة بينها وبين الأسطول الهولندى . ولم يكن
يستطيع الوزراء الهولنديون على الرغم من التجربة التي حدثت في الزويج والدنمارك
إلا أن يتصوروا حتى الليلة السابقة كيف يقوم الألمان الذين كانوا يتظاهرون بالصدقة
والثقة بهذا الهجوم الوحشى بين عشية وضحاها . وقد أنهات علينا البرقيات من
سائر الأنحاء التي تعرضت للهجوم الساحق الذى قام به الألمان .

وانضح لنا أن خطة « شليفن » القديمة أصبحت رهن التنفيذ وكانت تضع
هولندا في نطاقها . وكانت خطة الفزو الألمانى سنة ١٩١٤ قد اجتاحت بلجيكا
ولكنها لم تدخل هولندا . وكان من الواضح أن الحرب إذا تأخرت ثلاث سنوات
أو أربع فإن جيوشاً ستكون قد أعدت لاكتساح هولندا بعد أن تم طرق المواصلات
والخطوط الحديدية الضرورية لذلك . ولكن هذه الخطة المعروفة قد نفذت هذه
المرة كاملة . وقد بدأ الهجوم بعد أن أعد له كل ما يمكن لجعله يسيراً مع الظروف
المفاجئة والخداع . ولم يكن هذا كل ما فى الأمر ، فالضربة الرئيسية للمعدوان تكون
فى حركة التفاف حول الجناح ولكن فى اختراق الجبهة الرئيسية . ولم نكن نحن

أو الفرنسيون فتوقع أن تسير الأمور إلى هذا الحد وإن كنت قد حذرت في اجتماع صحفي ، هذه الدول المحايدة من العاقبة التي تنتظرها . وكانت ظاهرة في تنقلات الجيوش واعداد طرق المواصلات والخطط الألمانية التي وقعت في أيدينا . إلا أن هذه الدول تبرمت بأقوالى وقابلتها بالسخط .

وفي خلال هذه الحركة الرهيبة كانت الأحاديث المهادنة التي كانت تجري في دوننيج ستريت تسير الفهقرى ومع ذلك فقد نقل إلى أن المستر تشمبرلن قد ذهب في طريقه لمقابلة الملك وكان هذا متوقعا وفي الساعة السادسة وصلت رسالة تدعوني إلى القصر وقد صدرت الصحف ملأى بالأخبار المفزعة التي نقلت إليها من أنحاء القارة إلا أنها لم تذكر شيئا عن الأزمة الوزارية ولم يتسع الوقت للجماهير لمقابلة الأنباء في الداخل والخارج لذلك لم تكن هناك جموع عتيدة على أبواب القصر .

وأذن لي بالمشول أمام الملك فاستقبلني جلالتة ببشاشة ولطف بالغين وأمرني بالجلوس فجلست وأخذ ينظر إلى يمينين متفحصتين ثم قال لي : « أظنك لا تدري لماذا استدعيتك » وجاريتة في طريقته فقلت « لا يمكننى أن أدرك ذلك بيسر » فابتسم ثم قال « أريد أن أطلب إليك تاليف الوزارة » فقلت « إننى ألبى الأمر طائما » .

ولم يشترط الملك شيئا فيما يتعلق بنوع الحكومة وقوميتها وقد أحسست أن تسكينى بتأليف الوزارة غير مشروط بحكومة قوية ولكن الظروف التي تقدمت وأدت إلى استقالة المستر تشمبرلن تدعو إلى قيام حكومة قومية وكان هذا هو الطريق الأمثل للوضع القائم . إلا أننى من الناحية الدستورية لن أكون ممنوعا من تأليف أقوى حكومة تضم كل من له استعداد للوقوف إلى جانب بلادم في هذه الظروف الحرجة على أن تنال تأييدا أكثرية في مجلس العموم وقد أبلغت جلالتة أننى سأستدعى زعماء حزبى العمال والأحرار وقد عازمت على تأليف وزارة الحرب من خمسة وزراء أو ستة وأرجو أن أقدم له خمسة أسماء على الأقل قبل منتصف الليل واستأذنت للانصراف وعدت إلى الأميرالية .

ودعوت المستر أتلى فجاء ومعه مستر جرينوود فأبلغته تسكليف الملك لي بتأليف

الوزارة وسألته عما إذا كان حزب العمال يرغب في الاشتراك فيها ، فأجاب بأن الحزب سيشترك واقتربت أن يكون للحزب أكثر من ثلث المقاعد الوزارية ويكون له مقعدان من مجموع الخمسة أو الستة مقاعد المخصصة لوزارة الحرب وطلبت إليه أن يمد قائمة بأسماء الوزراء الذين يريدون واقتربت أن تشمل الأسماء المسترأرنست بيغن والمستر الكسندر والمستر موديسون والمستر دالتون لحاجة البلاد إلى خدماتهم في المناصب ذات المسؤولية وكنت بطبيعة الحال أعرف إتلى وجربنود مفذ أمد في مجلس العموم في إبان السنوات العشر التي سبقت الحرب كنت كثيراً ما أتصدي للحكومات المحافظة والقومية أكثر من المعارضة المالية أو معارضة الأحرار . ودار بيننا حديث ممتع ، ثم انصرفا لينقلا الأنباء تليفونيا إلى أصدقائهما وأتباعهما في بورتماوث وكانوا على اتصال بهم مدى الثماني والأربعين ساعة التي تقدمت .

ودعوت المستر تشمبرلن تليفونيا ليتولى رئاسة مجلس العموم فرد بالاجاب وقد اتفقنا على أن يذبح على الشعب بيانا يعلن فيه استقالته ويدعو إلى الالتفاف حول خلفه وتأييده . وقد قام بذلك بصورة رائعة طيبة ودعوت اللورد هاليفاكس إلى الاشتراك في وزارة الحرب فوق منصبه كوزير للخارجية وفي الساعة العاشرة بعثت إلى الملك بيانا بخمسة أسماء تنفيذ الوعدى السابق . ولم تزل أسمى مهمة كبيرة وهى اختيار وزراء القوات المسلحة وكنت قد قررتهم في نفسى ورأيت أن يتولى المستر ايدن وزارة الحرية والمستر الكسندر وزارة البحرية والسير ارشيبالد سنكلير زعيم حزب الاحرار وزارة الطيران وفي نفس الوقت قررت أن أتولى بنفسى وزارة الدفاع دون أن أحدد مالها من سلطات .

وفي اليوم العاشر من شهر مايو وفي بداية المرحلة الدميعة تسلمت زمام السلطة التى ظلمت محتفظا به بقوة وعزم خمس سنوات وثلاثة أشهر من الحرب المالية التى تم في نهايتها استسلام سائر أعدائنا بلا قيد أو شرط أو كانوا على وشك الاستسلام ثم ابعدتى الفاخب البريطانى بعد انتهائها وتسلم الزمام .

وكنت في هذه الايام الحافلة بالاعمال من جراء الأزمة الوزارية محتفظا بهدوئى وسكينتى دائما وكنت أتعيل الأمور حسب الأمر الواقع ولكننى لا أخفى عن القراء

أننى عندما كنت آوى إلى فراشى فى الساعة الثالثة من الصباح كنت أشعر بالراحة والاطمئنان فقد وكل إلى زمام الأمور وأصبح من حقى أن أصدر التوجيهات فى الأمركه وشعرت بأننى أتمشى مع القدر وأن حياتى الماضيه كلها لم تسكن إلا استمدادا لهذه اللحظة . وكانت السنوات العشر الأخيرة التى قضيتها فى خضم السياسة وغيابها قد أخلتني من العداوات الحزبية المألوفة . وكانت التحذيرات التى وجهتها فى السنوات الست الأخيرة كثيرة وتفاسيها واسمة وكانت قد اتضحت بصورة رهيبه لا يستطيع أن ينكرها إنسان أو يكذبني فيها . وليس لأحد أن يلومني بدعوى أننى السبب للحرب أو أننى المسئول عن التأخر فى الاستعداد لها وقد رأيت أننى أعرف الكثير من شئونها واننى ان أفضل :

وقد كنت على لَهْفَتِي للصباح أنام نوما عميقا لا أصب فيه إلى أحلام ، فالخفايق خير من الأحلام .

وحدنا في الميدان

من ١٠ مايو سنة ١٩٤٠ إلى ٢٢ يونيو سنة ١٩٤١

حكومة الائتلاف القومي

نارت علينا المصافة التي تجمعت وثيدا ، تهاجنا بكل ما لديها من قوة والتقى وجهها لوجه أربعة ملايين أو خمسة في أول حرب مدمرة من الحروب التي لا ترحم والتي لم يسبق لها مثيل في تاريخ العالم وفي خلال أسبوع كانت الجبهة الفرنسية التي عرفنا الركود وراءها في السنوات الشاقة في الحرب الماضية وفي الرحلة الأولى من هذه الحرب قد أنهارت بصورة لا يمكن إصلاحها . وقد قدر للجيش الفرنسي ذى الشهرة القديمة أن يتحطم في مدى ثلاثة أسابيع وتحمل به الهزيمة ويرج بجيشنا البريطانى الذى لا تملك سواء إلى البحر بمد أن فقد كل ما لديه من عقاد وفي ثلاثة أسابيع وجدنا أنفسنا وحيدى في الميدان بغير سلاح وقد أمسكت ألمانيا وإيطاليا المنتصرتان بخناقنا وأصبحت أوروبا بأسرها متفتحة أمام هتلر ووقفت اليابان تنظر بعينين متلهفتين في الجانب الآخر من الكرة الأرضية وقد تسلمت أعمالى كرئيس للوزراء ووزير للدفاع في خضم هذه الحقائق والاحتمالات وأخذت أقوم بمهمتى الأولى وهى تأليف حكومة من جميع الأحزاب تقوم بتصرف الأمور في الداخل والخارج بأحسن الطرق لتحقيق المصلحة العامة في البلاد .

ولعل من المفيد هنا أن نلقى ببعضنا قدما إلى خمس سنوات أخرى لندرى كيف واثت الظروف . كانت إيطاليا قد أصبحت تحت السيطرة وهوسوليتي في الأموات وكان الجيش الألمانى قد استسلم دون قيد أو شرط وانتحر هتلر وقد وقع في أيدينا من الأمري ثلاثة ملايين جندي المانى في أربع وعشرين ساعة على أيدي المارشال اليكساندر في إيطاليا والريشال مونتهجومرى في ألمانيا بالإضافة إلى ما وقت عايه أيدي الجنرال إيزنهاور وقد تحررت فرنسا واتحدت وانتعشت ووفنا جنبا إلى جنب مع حليفينا وهما أقوى إمبراطوريتين في العالم نسير إلى الأمام للقضاء على المقاومة اليابانية ولا شك أن هذه المفارقة واضحة فقد كارت الطريق التي قطعناها في هذه السنوات الخمس شاقة كثيرة الأخطار والمزالق . ولم تذهب الأرواح التي

قضت فيها بلاجدوى وسيفخر الذين اجتازوها إلى النهاية بأنهم اجتازوها بمزة وإباء.

ولعل من الواجب على وأنا أنحدث عن الحكومة القومية الائتلافية التي ألفتها أن أوضح مدى إسهام بريطانيا العظمى وإمبراطوريتها اللتين تقوى عرا اتحادهما وقت الأزمات فأقول ولا أقصد أن أقيم مقارنات تثير النفور أو المناشات ضد حليفنا الولايات المتحدة التي ندين لها بالكثير مما لا يدركه العدد إنه كانت لبريطانيا وإمبراطوريتها قوات تربو كثيراً على قوات الولايات المتحدة ، في اشتباك مع العدو غير ما كان لها في آسيا ضد اليابان وعندما وصلت قوات الجيش الأمريكي الكبيرة المدد إلى نورمانديا في خريف سنة ١٩٤٤ كان لنا أن نتحدث كأعداد أو كشركاء لنا النصيب الأوفى ، في كل ميدان من ميادين الحرب عن المحيط الهادى واستراليا . وقد صح هذا القول حتى ذلك التاريخ في مدى الشهور التالية في هذه المدة . ولكن بعد شهر يولية سنة ١٩٤٤ تفوقت الولايات المتحدة في عدد الفرق المشتبكة مع العدو وظل هذا التفوق حتى تم النصر النهائي بعد عشرة أشهر :

ومن مقارنة أخرى قت بها يتضح أن التضحيات التي قدمتها قواتنا وقوات إمبراطوريتنا كانت أكثر منها عند حليفنا الباسلة فقد بلغ عدد القتلى من البريطانيين والمفقودين الذين يعدون في حكم الأموات ما يقرب من ٣٠٣٢٤٠ ومن الدومنيون والهند والستعمرات ١٠٩٠٠٠ ويصل المجموع إلى ٤١٢٢٤٠ غير ٦٠٥٠٠ من المدنيين الذين قضوا في الغارات الجوية على المملكة المتحدة وخسائر الاسطول التجارى والصيادين وقد بلغت ثلاثين ألفاً . ويقدر الأمريكيون خسائرهم في الجيش والقوة الجوية والبحرية وحرس السواحل ب ٣٢٢١٨٨ وهذه أرقام استخلصتها من سجل الشرف وأنا مؤمن بأن روح الالفة والزمالة المشتركة التي وطنتها هذه التضحيات الغالية بالدماء الطاهرة ستظل موضع تقدير العالم الناطق باللغة الانكليزية .

أما في البحار فلا شك أن الولايات المتحدة قد حملت عبء الحرب في المحيط الهادى . وقد حققت لها المارك التي قامت قرب جزر ميداوى وفي بحر المرجان سنة ١٩٤٢ النجاح وأعطتها الزمام في ذلك المحيط الترامى الأطراف وفتحت لها

الأبواب في هجماتنا على الأراضي التي احتلتها اليابان وعلى اليابان نفسها . ولم يكن في مقدور الأسطول الأمريكي أن يتحمل كذلك العبء في الاطلنطي والبحر الأبيض المتوسط ومن واجبي هنا أن أضع الحقائق في موضعها ، فقد كانت البحرية البريطانية هي التي أغرقت ٥٩٤ غواصة من ٧٨١ غواصة ألمانية و ٨٥ غواصة إيطالية أغرقت في البحار الأوربية والمحيطين الاطلنطي والهندي . كما أن بريطانيا هي التي أغرقت وغطت سائر البوارج والطرادات والمدمرات الألمانية مع تدميرها وأسرها الأسطول الإيطالي جميعه .

وهنا بيان بنحسائر الغواصات :

القوة المدمرة	المانية	إيطالية	يابانية
بريطانية	٥٢٥	٦٩	٩ ونصف
أمريكية	١٧٤	٥	١١٠
قوات أخرى وأسباب مجهولة	٨٢	١١	١١
المجموع	٧٨١	٨٥	١٣٠

فيكون مجموع الغواصات التي دمرت ٩٩٦ .

وقد كانت للولايات المتحدة جهود كبيرة في معركة القتال الفعلية بقلاعها الطائرة على نطاق واسع من الملاحظات الأولى بعد ميناء اللؤلؤ وقد استخدمت هذه القوات ضد اليابان وضد ألمانيا من قواعدها بالجزر البريطانية . وعلى الرغم من ذلك فعندما وصلنا إلى الدار البيضاء في يناير سنة ١٩٤٣ لم تكن طائرة أمريكية واحدة قد قامت بغارة نهائية واحدة على ألمانيا وكان من المنظور أن يبدو أثر الجهود التي كانت الولايات المتحدة بصدد بذلها ولكن حتى نهاية سنة ١٩٤٣ كان مجموع ما قذفته الطائرات البريطانية من القنابل على ألمانيا يزيد على ثمانية أضعاف ما ألقته الطائرات الأمريكية نهائياً وليلا على السواء . ولم ترجح كفة الولايات المتحدة إلا في ربيع سنة ١٩٤٤ . كذا قد دفعنا بسائر قواتنا في البداية ولم تستطع الولايات المتحدة أن تلاحق بنا أو تفوقنا إلا في سنة ١٩٤٤ بمجهودها الحربي الكبير .

- ٣٠٠ -

ولابد لنا أن نذكر أنه بفضل الولايات المتحدة زاد عتادنا الحربي بمقدار الخمس نتيجة لمشروع الإغارة والتأجير الذي طبق في يناير سنة ١٩٤١ وكان في مقدورنا بفضل الأسلحة والمعدات التي منحنا إياها الأمريكيون أن نخوض غمار الحرب وكأننا شعب يبلغ ثمانية وخمسين مليوناً ثمانية وأربعين وقد تدفقت المؤن إلينا من الأطلسنطى واستمر تدفقها بفضل إنتاج سفن الحرية التي تم انتاجها على نطاق عجيب . ومن واجبي هنا أن أذكر خسائرنا الملاحية بسبب أعمال العدو طوال مدة الحرب وهذا بيانها بالأرقام :

النسبة المئوية	بالأطنان	الجنسية
٥٤	١١,٣٥٧,٠٠٠	بريطانية
١٦	٣,٣٣٤,٠٠٠	أمريكية
٣٠	٦,٥٠٣,٠٠٠	جنسيات أخرى
<u>١٠٠</u>	<u>٢١,١٩٤,٠٠٠</u>	المجموع

وكان ٨٠ في المائة من الخسائر في نطاق المحيط الأطلسنطى تدخل ضمن مياه بريطانيا الساحلية وبحر الشمال أما في المحيط الهادى فلم تكن أكثر من خمسين في المائة .

وقد أوردت هذه الأعداد على سبيل إقامة الدليل بالأرقام على وجوب التقدير والاحترام الماديين للجهود الكبيرة التي بذلها شعب هذه الجزر الصغيرة حين أقيمت على كاهله أعباء تلك الحرب التي هي أعظم حرب عرفها التاريخ ولا زعم لأنفسنا فيها فضلاً لم نكن أهلاً له .

لعل من الأسهل تأليف وزارة - لا سيما إذا كانت ائتلافية أثناء خوض غمار المعركة ، من أى وقت آخر من أوقات الهدوء والراحة . ففي هذه الأوقات يكون الإحساس بالواجب غالباً على كل شيء سواء حيث تخنق النوازع والأهواء فنجد أن تم الترتيب الأساسى مع زعماء الأحزاب بموافقة أحزابهم أصبح كل من استدعيتهم ينفقون وكأنهم الجنود في معركة القتال . وينقلون إلى المراكز التي عينتها لهم

بغير تردد . وإذ كان النظام الحزبي عندنا ثابت الأركان فقد بدا لي أننى لن أواجه مشكلة الأوضاع الشخصية عند كل من قررت أن أدموهم من السادة المختصين . وإذا كان بعضهم قد تردد فلا اعتبارات عامة . وهذا المسلك العظيم ينطبق كذلك على العدد الكبير من الوزراء المحافظين والأحرار القوميين ، الذين اضطروا إلى ترك مناصبهم باستقالة رئيسهم واعتزال حياتهم الرسمية في مثل هذه الظروف البالغة أقصى ما يمكن من الأهمية والحساس

وكانت للمحافظين أغلبية تزيد على المائة والعشرين مقعدا بالنسبة إلى عدد مقاعد الأحزاب جميعاً . وكان المستر تشمبرلن هو الزعيم الذى اختاروه . وكان لا بد لي أن أقدر أن الإنائى لزعامته ستقابل بامتصاص عند الكثيرين منهم لا سيما وقد قضيت السنوات الطويلة أنقذه وأوجه إليه اللوم الشديد في بعض الأحيان . ولا شك أن الكثيرين منهم كانوا يعرفون أننى قضيت حياتى في احتكاك معه يباين حد الصراع البارز مع حزب المحافظين . واننى تخليت عنهم في موضوع حرية التجارة ثم عدت إليهم كوزير للهالية . وكنت بعد ذلك خصما لهم في موضوع الهند والسياسة الخارجية والحاجة إلى الاستعداد للحرب . وكان من العسير عليهم أن يرضوا بى رئيساً للوزراء فضلا عن أن الولاء لرئيس الحزب المختار من الظواهر المروفة لدى المحافظين . وإذا كانوا قد قصرُوا في واجهم الوطنى في بعض المسائل في السنوات السابقة للحرب . فقد كان هذا ناشئا لولائهم للرئيس المختار . إلا أن هذه الاعترافات جميعا لم يكن لها أثر في نفسى . فقد كنت أدرك أنهم جميعهم انساقوا في هذا التيار .

وقد عرضت أول الأمر على المستر تشمبرلن رئاسة مجلس العموم وقبل هذا العرض كما عرضت عليه رئاسة مجلس الملك الخاص ولم ينشر شيء من ذلك إلا أن المستر إتلى قال إن حزب العمال سيوجد صعوبة في العمل وفق هذا النظام في حالة قيام وزارة ائتلافية يجب أن تكون رئاسة المجلس مقبولة من سائر الأحزاب . وعرضت هذا الأمر على المستر تشمبرلن فقبل عن رضا أن يتخلى عن رئاسة المجلس فتوليها بنفسى وقد احتفظت بها حتى شهر فبراير سنة ١٩٤٢ وفي خلال تلك الفترة كان المستر إتلى ينوب عني وقوم بالأعمال اليومية المألوفة . وكانت لخبرته الطويلة في المعارضة جدواها

ولم أكن أقوم بالرأسة إلا في الحالة البالغة حد الأهمية القصوى وإن كانت هذه الحالات تتكرر كثيراً .

وقد شعر كثير من المحافظين بأن زعيمهم قد أسىء إليه إلا أنهم جميعاً أعجبوا بحسن مسلكه . وفي اليوم الأول لدخوله المجلس في وضعه الجديد في اليوم الثالث عشر من شهر مايو قام نواب حزبه جميعاً وتأنف منهم الغالبية الكبرى بالمجلس واستقبلوه بظاهرة حمائية عظيمة تدل على العطف والاحترام وكانت التهاني والتحيات الموجهة لي تنبعث من مقاعد العمال . ولكن الولا . المستر تشمبرلان وتأيد كانا قوبين ثابتين . وكنت أنا كامل الثقة بنفسى .

وقد لافيت ضغطاً شديداً من صفوف العمال وبعض الشخصيات البارزة المتحمسة التي لم تشارك في الحكومة الجديدة لتطهير « المذنبين » والوزراء الذين كانوا مسئولين عن ميونخ أو الذين قصروا في استعداداتنا الحربية . ولكن الوقت لم يكن مناسباً لحرمنا من رجال أ كفاء مخلصين يمتازون بخدمتهم الطويلة في المناصب الوزارية . ولو خضعت لهذا الضغط الذي يبلغ حد اللوم لكان على أن أخرج ثلث الوزراء المحافظين وأعلمي بأن المستر تشمبرلان هو زعيم المحافظين فقد تبين لي أن مثل هذا العمل سيقضى على الوحدة القومية فضلاً عن أنى لا أرى اللوم يقع على جهة واحدة وإذا كانت المسئولية الرسمية تقع على حكومة ذلك الوقت فإن المسئولية الأدبية تتناول عدداً أكبر من الشخصيات . وكنت لا أزال أذكر سلسلة طويلة من أقوال الوزراء العمال والأحرار واقتراحاتهم وقد أثبتت الأحوال خطأها وحققتها ولهذا فقد عارضت هذه النزاع . وفات بعد بضعة أسابيع : « إذا كان الحاضر سيقف موقف القاضى من الماضى فإنه سيضيع المستقبل » . وقد كانت حجتى مع ما نواجهه من أحداث الساعة قاضية على هذه الاعتراضات جميعاً .

وكانت أوضاعى في هذه الأيام الأولى بالغة حد الغربة . فقد كان علينا أن نعيش في العزلة التي تركت عليها سائر أفكارنا . وكان على أن أصرف وقتى في تأليف الحكومة ومقابلة السادة الذين لا يد لي أن أقابلهم وأن أحفظ التوازن بين الأحزاب

ولا أستطيع أن أوضح كيف كنت أقضي هذه الساعات . وكانت الوزارة البريطانية تضم ما يقرب من ستمين أو سبعين وزيراً من وزراء التاج . وكان على أن أضغ كل إنسان في موضعه المناسب مع النظر إلى مصالح الأحزاب الثلاثة ومطالبها . ولم يكن على أن أقابل كبار الشخصيات التي ستشارك في الوزارة بحسب بل على أن أقابل الكثير من الرجال ذوي الكفاءة الذين يختارون لشغل المناصب ولو كانت مقابلاتي تستغرق دقائق معدودات . وعلى رئيس الوزراء أن يعنى برغبات زعماء الأحزاب في الأشخاص الذين يختارون من أحزابهم لشغل المناصب الوزارية . وقد سرت وفق هذا المبدأ وتقيدت به . وإذا كنت قد تجاوزت عن عدد من المستحقين للوزارة بناء على رغبات سلطاتهم الحزبية فإني لأسف لذلك أشد الأسف ومهما يكن الأمر فإن الضعويات التي وجدتها لم تسكن كثيرة .

وقد وجدت في كليمنت إاتلي زميلاً له خبرة حربية كبيرة وتجارب في أعمال مجلس العموم . وكان كل ما بيننا من خلاف في وجهات النظر يتعلق بالمبادئ الاشتراكية . ولكن هذه الخلافات قد أذابتها الحرب التي تقضى على الفرد بالخضوع للدولة خضوعاً تاماً . وقد اشتركنا في العمل معاً بيسر وثقة طوال مدة الحكومة وكان المستر آرثر جرينود مستشاراً شجاعاً شديد الرأي وكان كذلك صديقاً عظيماً نافعا .

ورأى السير أرشيبالد سنكلر وهو الزعيم الرسمي لحزب الأحرار من العسير عليه أن يقبل منصب وزير الطيران ، وبصر أتباعه على أن يكون له مقعد في وزارة الحرب . ولكن هذا لم يكن يفيق ووضع وزارة الحرب الذي يقضى بأن تكون في أصغر نطاق . لهذا فقد رأيت أن ينضم إلى وزارة الحرب إذا كان الأمر يتعلق بالقضايا السياسية الرئيسية أو ائتلاف الأحزاب . وكان أرشيبالد صديقى كما أنه كان زميلى حين كنت أتولى قيادة فريق الرماة الملكي الاسكتلندى السادس سنة ١٩١٦ . وكانت نفسه تميل إلى التقدم في ميدان العمل الذي خصصته له . وقد حلت هذه المشكلة بطريقة ودية بعد مباحثات طويلة . أما المستر أرنست بيغن الذي كنت قد تعرفت إليه في بداية الحرب عندما حاولت تخفيف بعض مطالب الاميرالية .

فقد طلب الرجوع إلى الاتحاد العام للعمال والنقل المشترك الذي كان يقوم بأمانة سره قبل أن يقبل منصبه الهام كوزير للعمل . وقد دامت هذه الاستشارة يومين أو ثلاثة . ولسكنها كانت تستحق كل هذا التأخير . إذ أن الاتحاد وهو أكبر اتحاد من نوعه في بريطانيا ، أعلن موافقته بالإجماع على قراره بإشراكه في الحكم وظل هذا القرار قائماً وقوياً مدى خمس سنوات .

وكانت هناك صعوبة كبرى بشأن اللورد بيفربروك . فقد كنت أعتقد أنه يستطيع أن يقوم بخدمات كبيرة للقضية المشتركة وكنت بعد تجاربي السابقة في الحرب الماضية قد صممت على أن أفصل إنتاج الطائرات ومخطيطها عن وزارة الطيران وطلبت منه أن يكون وزيراً لإنتاج الطائرات . وانضح لي بآداء الأمر أنه متردد لإدراك ما لهذا المنصب من أهمية كما أن وزارة الطيران لم تكن لها الرغبة في فصل هذا الفرع الهام من أعمالها . وكانت هناك جهات أخرى تمارض في تعيينه . ولسكني كنت اعتقدت عن ثقة أن حياتنا تتركز على استمرار إنتاج الطائرات وكنت بحاجة إلى حيويته الكبرى وشدة حماسه ومن ثم تمسكت بوجهة نظري .

وكان من الحتم مراعاة للرأي العام والبرلمان والصحافة أن تقوم وزارة الحرب في أصيق الحدود . لهذا بدأت وزارة الحرب بخمسة وزراء فحسب . وكان هؤلاء الخمسة أبرز ساسة العصر . وكان من الضروري لإدارة دفة الحرب أن يحضر وزير المالية وزعيم حزب الأحرار اجتماعات الوزارة غالباً وبمرور الزمن ازداد عدد «الحاضرين المداومين» إلا أن المسئولية جميعها كانت تقع على الخمسة الوزراء . ولو قدر علينا أن نخسر الحرب فقد كان حتماً أن تقطع رؤوس هؤلاء الخمسة فحسب على أبراج قلعة لندن . وكان على الشعب أن يكتفى بلوم الآخرين على ما يكون من التقصير في شئون وزاراتهم ولا يستطيع أن يوجه إليهم أي لوم فيما يكون من ضعف في سياسة الدولة . ويستطيع أي وزير عدا وزراء الحرب أن يقول لا يمكنني أن أتحمل مسئولية هذا العمل أو ذاك ، إذ أن عبء السياسة كان يقع على مستوى رفيع . وقد كان لهذا النظام شأنه في إزالة القلق من نفوس الكثيرين في الأيام التي قدر لنا أن نواجهها .

لقد قللت في حياتي السياسية الطويلة كثيراً من المناصب الهامة في الدولة .

ولسكنى أفر أن المنصب الذى ألقيت على أعباؤه الآن كان أحبها إلى . ولاشك أن فرض السلطة على الآخرين أو إضافتها إلى عظمتك أمره ما يبرره . أما معرفة الإنسان ما يجب أن يؤديه فى الأزمات القومية . فنعمة من نعم الله فليس ثمة من وجه للمقارنة فى ميادين العمل على اختلافها بين الذين يتقلدون المنصب الأول وبين غيرهم ممن يحتلون المراكز الثانية أو الثالثة أو الرابعة وقد تكون الواجبات والمشاكل الملقاة على حاتى هؤلاء مختلفة عن واجبات الأوائل ومشاكلهم وأكثر صعوبة . وقد يكون لسوء الحظ أن يهدد إلى الشخص الثانى أو الثالث فى المرتبة بوضع سياسة أو خطة ذات مسئولية كبيرة فعليه فى هذه الحال أن لا ينظر إلى اتفاق الخطة فحسب ، بل إلى آراء رئيسه كذلك وأن لا ينظر بعين الاعتبار إلى ما سيقدمه من ارشادات فحسب بل لابد له أن يراعى ما يجدر به أن يقدمه كمنصحة أيضاً . وأن لا يدرس ما يجب عليه أن يعمل بل كذلك ما يمكن أن يقبل ويكاف بتنفيذه . فضلا عن ذلك فإن الشخص الثانى أو الثالث فى المرتبة يجد نفسه مضطراً أن يحسب حساب الرابع والخامس والسادس أو حساب رجل بارز الشخصية وإن كان فى الصف البشريين فالطموح يتألق فى كل خاطر لا رغبة فى الأغراض الوضيعة بل رغبة فى طلب الشهرة . وأذكر أننى فى سنة ١٩١٥ انهار موقفى بصفة مؤقتة فى موضوع الدردنيل . وعدل عن مشروع كبير كنت قد أردته وما ذلك إلا لأننى حاولت من منصب ثانوى أن أنفذ عملية من عمليات الحرب الكبرى . وإنى لأنصح غيرى بأن لا يقوم بمثل هذه المغامرات . فقد كانت لى عبرة مما وقع لى وقد صارت جزءاً لا يتجزأ من حياتى .

ولسكن الأمر بالنسبة لمن يقف موقف القيادة فإنه أكثر تيسيراً وحسب القائد أن يكون على ثقة بأن ما قرره هو خير ما يعمل ويكنى أن يكون قد صمم على أمر من الأمور .

وأوجه الوفاء لصاحب المنصب الأول كثيرة فإذا سافر وجد من يخلفه وإذا أخطأ وجد من يدارى خطأه . وإذا نام يجب أن لا يوقظ من نومه لأمر بسيط . وإذا كان غير صالح قتل وإن كان هذا لا يحدث كل يوم لاسباب فى الأيام الأولى من القيادة .

وكانت التغيرات الرئيسية في جهاز إدارة دفة الحرب أكثر في حقيقتها مما يبدو في ظاهرها وقديماً قال نابليون « يجب أن يكون الدستور قصيراً وغامضاً » . أما الأجهزة القائمة فظلت على حالها كما لم يحدث أى تغيير في الشخصيات الرسمية . وقد واصلت وزارة الحرب ولجنة رؤساء أركان الحرب أول الأمر عقد اجتماعاتها اليومية كما كان يحدث من قبل . وعند ما أطلقت على نفسى لقب وزير الدفاع بموافقة الملك لم أكن قد أحدثت أى تغيير قانونى أو دستورى . وقد كنت حريصاً على عدم تحديد حقوق وواجباتى ولم أطلب لنفسى أية سلطة خاصة لا من التاج ولا من البرلمان . ولكن كان من المعروف والقبول أننى سأدير دفة الأمور وأنولى التوجيه العام لشئون الحرب مع شرطه معتمداً على تأييد وزارة الحرب ومجلس العموم وكل ما كان من تغيير عند ما توليت الحكم هو أن لجنة رؤساء أركان الحرب أصبحت تحت رئاسة وزير للدفاع يتمتع بسلطات غير محدودة أو خاضعة للتوجيه . ولما كان هذا الوزير هو فى الوقت نفسه رئيس الوزراء فقد كان يتمتع بجميع السلطات التى تخولها له الرئاسة . ومنها حق اختيار الموظفين وإقالتهم وتنحياتهم سواء أكانوا سياسيين أو عسكريين . وهكذا أصبحت للجنة رؤساء أركان الحرب سلطتها ومركزها الذى يخول لها الاتصال مباشرة برئيس الحكومة . وأصبح لها بالاتفاق معه حق تسيير شئون الحرب وتوجيه القوات المسلحة .

وإذا كان وزراء البحرية والحرية والطيران ليسوا أعضاء فى وزارة الحرب ، كما أنهم لا يحضرون اجتماعات لجنة رؤساء أركان الحرب فقد تأثرت مراكزهم عملاً إن لم يكن مظهراً وظلوا مسئولين عن وزاراتهم مسئولية كلية . ولكنهم فقدوا مسئولياتهم عن وضع الخطط الاستراتيجية وإدارة العمليات الحربية من يوم لآخر فهذه المسائل تقرر فى لجنة رؤساء أركان الحرب التى تعمل برئاسة وزير الدفاع ورئيس الوزراء وهو الذى يقول فى نفس الوقت رئاسة وزارة الحرب . وقد كان موقف وزراء الحرب الذين اخترتهم من أصدقائى الأكثر كفاية وإخلاصاً موقفاً كريماً . فلم يعيروا المظاهر أهمية تذكر وعملوا بجهد على تنظيم القوات المسلحة التى زاد عددها وإدارتها . وبذلوا كل ما فى وسعهم على الطريقة الانجليزية العملية

البسيطة وكانت عضوبتهم في لجنة الدفاع تجعلهم على علم بكل ما يحدث وكان يسمح لهم بالحضور عندى فى أى وقت . وكان المحترفون من مساعديهم إلى رؤساء أركان الحرب يبحثون معهم سائر الأمور ويعاملونهم بالاحترام والتقدير وإن كان هناك توجيه كامل لإدارة دفة الحرب . وقد قبلوا هذا التوجيه باخلاص تام . ولم ينقض من سلطتهم . وكان لكل إنسان أن يعبر عن رأيه بحرية على الدوام . وسرعان ما تحولت الإدارة الفعلية للحرب إلى أيدٍ قليلة . وقد تيسر كل ما كان متمذراً من قبل إلا شيء واحد هو هتلر ومع الأحداث المتقلبة والكوارث التي كنا نواجهها فقد ظل العمل يسير بطريقة آلية منقظمة وأصبح في مقدور الإنسان أن يحيا في جو من التفكير المتواصل الذي يستطيع أن ينقله إلى أعمال تنفيذية بصورة عاجلة .

كانت الحركة تدور عند القنطرة . ولعل القارئ يتوق إلى الوصول إلى المعركة . ولكنى أرى من الأفضل هنا أن أشرح النظام والجهاز اللذين ادارا دفة الشئون العسكرية وغيرها منذ توليت الحكم « وكنت ومن دأماً بأن الأعمال الرسمية لا بد أن تصدر عن أوامر خطية مكتوبة . وإذا كان للرغبات والآراء شأنها إلا فيما يتعلق بالنظام العسكري فإن التوجيهات الخطية الصادرة عن رئيس الحكومة التي له الحق الشرعى والدستورى في إصدارها والذي يتولى شئون وزارة الدفاع كان لها أثرها واعتبارها وإن لم توضع في صيغة الأوامر وكانت تؤتى ثمارها .

وحتى لا يساء استخدام اسمى فى أمر من الأمور أصدرت أثناء أزمة شهر بولية البيان التالى :

« أعلن بكل وضوح أن سائر التوجيهات التي أصدرها ستكون خطية . أو تؤكد خطأ بمصد صدورها . ولن أقبل فيما يتعلق بالدفاع الوطنى مسئولية أية قرارات إلا إذا كانت قرارات خطية » .

وقد كنت عندما أستيقظ من نومي فى الساعة الثامنة من الصباح أقرأ جميع البرقيات الواردة . وأملى من فرائضى فيضاً من المذكرات والتوجيهات فتطبع فى الحال وتسلم إلى الجنرال إسمان وكيل الوزارة العسكرية لوزارة الحرب الذى كان

يُعْثَلَى فِي لُجْنَةِ رُؤَسَاءِ أَرْكَانِ الْحَرْبِ . وَكَانَ يُحْضِرُ لِمَقَابِلَتِي كُلِّ صَبَاحٍ . فَإِذَا اجْتَمَعَتِ لُجْنَةُ رُؤَسَاءِ أَرْكَانِ الْحَرْبِ فِي السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ وَالنِّصْفِ صَبَاحاً يَكُونُ الْجُفْرَالُ قَدْ وَضَعَ أَمَامَهَا عِدداً كَبِيراً مِنْ التَّوْجِيهَاتِ الْخَطِيئَةِ . وَكَانَ أَعْضَاءُ اللُّجْنَةِ يُولُونُ تَوْجِيهَاتِي كُلَّ اعْتِبَارٍ وَهُمْ يَدْرُسُونِ الْوَضْعَ بِصِفَةِ عَامَةٍ . فَإِذَا كُنَّا مَا بَيْنَ الثَّالِثَةِ وَالْخَامِسَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ فَإِنَّ الْأَوَامِرَ وَالْبَرْقِيَّاتِ الَّتِي أَسْجَدُهَا بِاسْمِي وَالتِّي يَرْسَلُهَا رُؤَسَاءُ أَرْكَانِ الْحَرْبِ بِالْإِتِّفَاقِ عَلَيْهَا تَكُونُ قَدْ بَلَغَتْ جَمِيعاً عِدَا بَعْضِ الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ يَكُونُ فِيهَا بَعْضُ الْخِلَافِ وَتَقْطَلِبُ الزَّيْدَ مِنَ الْمَشَاوِرَاتِ .

وَلَعَلَّ مِنَ التَّمَعُّدِ وَضَعُ حُدُودٍ فِي الْحَرْبِ الْجَمَاعِيَّةِ بَيْنَ الْمَسَائِلِ الْمَسْكُونَةِ وَغَيْرِهَا . وَقَدْ كَانَ لِشَخْصِيَّةِ السَّيْرِ إِدْوَارٍ بِرَيْدِجِزِ الْأَمِينِ الْعَامِ لَوِزَارَةِ الْحَرْبِ الْفَضْلُ فِي عَدَمِ قِيَامِ أَىِ احْتِكَاكٍ بَيْنَ الْمُوظَّفِينَ الْمَسْكُونِينَ وَمُوظَّفِي وَزَارَةِ الْحَرْبِ . وَقَدْ كَانَ وَهُوَ سَلِيلُ أَحَدِ شُعْرَاءِ التَّاجِ السَّابِقِينَ ، مَجْدَاً فِي عَمَلِهِ لَا يَكُلُ وَلَا يَمَلُ وَلَهُ مَقْدَرَةٌ عَظِيمَةٌ وَجَادِبِيَّةٌ كَبِيرَةٌ ، بِمِيدَانِ الْغِيَرَةِ وَالْحَسَدِ . وَكَانَ كُلُّ مَا يَهْمُهُ أَنْ يَقُومَ جِهَازُ الْأَمَانَةِ الْعَامَةِ لَوِزَارَةِ الْحَرْبِ بِخِدْمَةِ رَئِيسِ الْوُزَرَاءِ وَالْوِزَارَةِ بِكُلِّ مَا يَسْتَطَاعُ مِنَ الْقُدْرَةِ وَالسَّكَايَةِ وَلَمْ يَفْكَرْ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي شَخْصِيَّتِهِ أَوْ مَنَصِبِهِ ، وَلَمْ يَقْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ كَانُوا تَحْتَ سَاطِطِهِ فِي الْأَمَانَةِ الْعَامَةِ أَىِ احْتِكَاكٍ .

وَفِي الْقَضَايَا الْكَبِيرَةِ أَوْ الْخِلَافِ فِي الْأَرْءَاءِ كُنْتُ أَدْعُو اللُّجْنَةَ الدِّفَاعِيَّةَ لَوِزَارَةِ الْحَرْبِ وَكَانَتْ تَضُمُّ فِي بَادِي الْأَمْرِ الْمُسْتَرِ تَشْمِيرْلِينَ وَالْمُسْتَرِ أَنْكِي وَوُزَرَاءَ الْقَوَاتِ الْمُسَلَّحَةِ الثَّلَاثَةِ وَرُؤَسَاءَ أَرْكَانِ حَرْبِهِمْ . وَقَدْ أَخَذَتْ هَذِهِ الْجُمُعَاتُ الرِّسْمِيَّةُ ثَقُلَ بَعْدَ سَنَةِ ١٩٤١ . فَلَمَّا رَأَيْتُ أَدَاةَ الْحُكْمِ قَدْ أَصْبَحَتْ تَسِيرُ بِسُرٍّ لَمْ أَجِدْ ضَرُورَةَ لِمَقْعَدِ اجْتِمَاعَاتِ يَوْمَيْنِ لَوِزَارَةِ الْحَرْبِ بِمَحْضُورِ رُؤَسَاءِ الْأَرْكَانِ . وَلَجَأْتُ إِلَى مَا سَمِعْتُهُ فِيهَا بَعْدَ « بِالْمَرْضِ الْوِزَارِيِّ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ » فِي هَذَا الْيَوْمِ تَعْقِدُ اجْتِمَاعَاتٍ عَدِيدَةٍ يُحْضِرُهَا وَزَرَاءُ الْحَرْبِ وَوُزَرَاءُ الْقَوَاتِ الْمُسَلَّحَةِ وَوَزِيرُ الدَّاخِلِيَّةِ وَوَزِيرُ الْمَالِيَّةِ وَوَزِيرُ شُؤْنِ الْمُتَمَلِّكَاتِ الْمُسْتَقْلَةِ وَوَزِيرُ الْمَنْدِ وَرَئِيسُ الْأَسْتَعْلَامَاتِ وَرُؤَسَاءُ أَرْكَانِ الْحَرْبِ وَالْوَكِيلُ الدَّائِمُ لَوِزَارَةِ الْخَارِجِيَّةِ وَكَانَ كُلُّ مَنْ رُؤَسَاءُ أَرْكَانِ حَرْبٍ يَقْدَمُ بَيَاناً بِأَعْمَالِهِ عَنِ الْأَيَّامِ السَّبْعَةِ السَّابِقَةِ ثُمَّ يَلِيهِمْ وَزِيرُ الْخَارِجِيَّةِ فَيَمْرُضُ أَمَّ التَّنْظُورَاتِ فِي الشُّؤْنِ الْخَارِجِيَّةِ

التي حلت في هذا الأسبوع أما في باقي أيام الأسبوع فقد كانت وزارة الحرب تمقد اجتماعاتها الخاصة على انفراد وتقرر ما تشاء في سائر القضايا الهامة التي تعرض عليها وتتطلب الموافقة . وفي بعض الأحيان كان يحضر هذه الاجتماعات الوزراء الآخرون الذين يمتنون بما يعرض في هذه الاجتماعات . وكان أعضاء وزارة الحرب يطلعون على كل ورقة لها صلة بشئون الحرب ويطلعون على سائر البرقيات التي أبتت بها . ومع نمو الثقة المتبادلة أخذ يقل التدخل الفعلي لوزارة الحرب في العمليات العسكرية . وإن كان الوزراء ما زالوا يرقبون كل شيء باهتمام وقد رفع الوزراء عن كاهلي سائر الأعباء التي تتملق بالمشاكل الداخلية والحزبية . حتى يتسع لي المجال فيما هو أهم من الأعمال . إذ كنت أستشيرهم دائماً في الأعمال المقبلة قبل وقوعها . وعلى الرغم من أنهم كانوا يطلبون إلى أن لا أطلعهم على التواريخ والنفاسيل ويمنعوني من الحديث عنها في بعض الأحيان فقد كانوا يولون هذه الأمور كل اهتمام ولم يكن من همي أن أحمّل منصب وزارة الدفاع إلى وزارة فعلية وكان على أن أجرى التعديلات الدقيقة التي شرحتها آنفاً والتي تيسرت بالملاقات الشخصية والنوايا الخالصة بطريقة استثنائية . وإذا كان الوقت لم يكن مناسباً لها فقد كان هناك جهازان قلائد فيال تحت المهرافق رئيسي الوزراء وذلك هو الجناح العسكري للأمانة العامة لوزارة الجيوب . وكان يعرف في الأيام السابقة للحزب باسم الأمانة العامة للجنة الدفاع الإمبراطوري ويقوم على إدارة هذا الدفاع الجنرال إسبان والكونولونيل هوليس والكونولونيل جاكوب كينسيندين ورئيسي وفيف من الشباب المختارين ممن فروغ القوات المسلحة . وقد أصبح هذا الفريق من الأمانة العامة وكأهم من موظفي المكتب ووزير الدفاع . ولا شك أنني جالين لهم بشكل لا يوصف . وقد ارتقى كل من الجنرال إسبان والكونولونيل هوليس والكونولونيل جاكوب في المرتبة وفي الشهرة تدريجياً أثناء الحرب ولكن لم يتغير مركز أحد منهم فالتميز في مثل هذه الأوضاع التي تكتنفها السرية يبرم بأضرار بالغة تعوق سير العمل بصورة مرضية . وقد وجد شيء من الاستقرار في لجنة أركان الحرب بعد التغييرات الأولية التي أجريتها . فقد عين الماريشال الجوي ليونوال بعد أن أنهى خدمته العسكرية كرئيس

(٩ - مذكرات)

لأركان حرب الطيران في سبتمبر سنة ١٩٤٠ حاكماً عاماً في نيوزيلندا وحل محله
 المارشال الجوي لورتال الذي بزغ نجمه في القوى الجوية وظل يعمل مى طوال أيام
 الحرب . وكان السير جون ديل قد خلف الجنرال إيرونسايد في مايو سنة ١٩٤٠
 وظل رئيساً لأركان حرب قوات الإمبراطورية حتى رافقنى في زيارتى لواشنطن في
 ديسمبر سنة ١٩٤١ حين عينته ممثلاً عسكرياً إلى عند الرئيس روزفلت ورئيساً لبعثة
 الأركان المشتركة لقواتنا هنالك وقد أصبحت صلاته الطيبة بالجنرال مارشال رئيس
 أركان حرب الجيش الأمريكى لها قيمتها التى لا تقدر فى سائر أعمالنا . فلما قضى نحبه
 وهو يقوم بواجبه بعد سنتين أكرمه الأمريكيون فدفنوه فى مقبرة أرلنجتون التى
 خصصت لكبار المسكرين الأمريكيين وقد خلفه فى رئاسة أركان حرب القوات
 الامبراطورية السير آلان بروك الذى عمل مى حتى آخر الحرب .

ومنذ سنة ١٩٤١ والسنوات الأربع التالية التى انتهت أوائلها فى حالة من
 السكواث والفشل . كان التغير الوحيد الذى حدث فى هذه الفئة الصغيرة من
 رؤساء أركان الحرب أو كبار موظفى الدفاع تابعاً لموت الأميرال باوند وهو يؤدى
 واجبه . وربما كان هذا رقماً غريباً فى التاريخ المسكرى البريطانى . وقد احتفظ الرئيس
 روزفلت فى دائرته الخاصة بهذا النظام . فقد بدأ رؤساء أركان حرب القوات المسلحة
 الأمريكية وهم الجنرال مارشال والأميرال كينج والجنرال أرنولد الذين انضم إليهم
 الأميرال ليهى فيما بعد الحرب وهم فى مناصبهم وانتهت الحرب وهم ما زالوا فى نفس
 المناصب . وإذا كان هؤلاء مع زملائهم البريطانيين يؤلفون لجنة القيادة المشتركة فقد
 كان لهذا النظام فائدته . وهذا الوضع بين الحلفاء لم يعرف له مثيل من قبل .

ولا أزم أن الخلاف لم يقع قط بيننا فى الوطن . ولكن نوعاً من حسن التفاهم
 أصبح بيننا بحيث أصبح فى مقدورنا أن نحل أى خلاف بيننا فى بساطة ويسر وأن
 يقنع كل منا الآخر دون حاجة إلى أن يتخطاه أو يصدر إليه الأمر . وبما ساعد على
 ذلك أننا كنا نستطيع أن نتحدث بنفس اللغة الفنية . وكانت لنا جميعاً فكرة عسكرية
 وخبرة طويلة بشئون الحرب . وكنا فى هذه الأحوال المتقلبة نسير وكأننا رجل
 واحد . وكانت وزارة الحرب تاتى علينا حجاباً من السرية . وتمدنا بالثقة والثبات

الذين لا يعترهما الضعف . ولم يكن ثمة انقسام فى رأى بين السياسيين والعسكريين . كما حدث فى الحرب الماضية . أو بين « حلة الفراك » و « الخوذة الفولاذية » فقد كذا قريين فيما بيننا . وقد خلقنا صداقات كان لها فى رأى أبلغ الأثر .

وتقوم كفاية الإدارة الحربية على القرارات الصادرة من السلطة العليا ، هل قطاع طاعة عمياء وبصدق وإخلاص . وقد صح لنا هذا فى بريطانيا خلال هذه الأزمة بسبب الإخلاص الشديد والإدراك والمزينة المنبعثة من القلوب عند سائر أعضاء وزارة الحرب على العمل الذى وهبنا أنفسنا لأجله . وكانت السفن والقوات والطائرات تتحرك والمصانع تعمل وفق التوجيهات . وقد استطعت بفضل ما لقيته من إخلاص وتيمان فى أداء الواجب أن أقود كل ناحية من نواحي مجهودنا الحربى قيادة تامة . وكان هذا أمراً محتوماً فالأمر تسير فى سيرة سيئة للغاية وقد قبل الجميع الخطة التى وضعتها إذ أن كل إنسان كان يدرك أننا على شفا الموت والهلاك . ولم يكن الموت فى هذه الحالة أمراً فردياً كما هو معروف . ولكنه الموت الإجماعى الذى لا مثيل له ، لبريطانيا وحياتها ومجدها التليد .

ولا شك أن كل حديث عن أسلوب الحكم الذى تطور فى ظل الائتلاف القومى يكون ناقصاً إذا لم أوضح سلسلة الرسائل الشخصية التى أرسلتها إلى رئيس الولايات المتحدة ورؤساء الدول الأجنبية وحكومات الدومنيون . فمن حق أن أشرح هذه الرسائل . ولما كنت قد حصلت من مجلس الوزراء على القرارات اللازمة لتحديد سياستنا . فقد تكلفت بإنشاء هذه الرسائل بنفسى وإملائها باعتبارها رسائل شخصية بين أصدقاء وزملاء وليس لها صفة رسمية . وقل أن أعرض سيفتها على أعضاء الوزارة قبل إرسالها . وكنت أقبل على عمل بقوة وحرية وكنت على اتصال تام بوزير الخارجية وأعضاء وزارته . وكنا نحمل كل خلاف بيننا فى رأى عاجلاً وبطريقة من التماون والتآلف : وكنت فى كثير من الأحيان أقوم بتوزيع صور المبرقيات التى أبعث بها ، على أعضاء وزارة الحرب بعد إرسالها . وإلى وزير الممتلكات المستقلة إذا كان الموضوع له صلة بوزارته . وكنت بطبيعة الحال قبل إرسال البرقيات

أرجع في مختلف الشئون والحقائق إلى الجهات الخاصة . أما الرسائل العسكرية فكانت تتحول من عندي عن طريق الجنرال ايسنان إلى رؤساء أركان الحرب . ولم تكن هذه الطريقة تقارض بحال من الأحوال مع طرق الاتصالات الرسمية أو أعمال السفراء لكنها أصبحت مع ذلك الطريقة المثلى لتنفيذ الأعمال الحيوية العاجلة وكان لها أثرها البالغ في إدارة دفعة الحرب . بصورة لا تقل إن لم تكن تزيد في بعض الأحيان ، على واجباتي في وزارة الدفاع .

وكانت طريقي في إنشاء الرسائل موضع إعجاب أعضاء الدائرة المختارة الذين أعطيتهم الحرية التامة في ابداء آرائهم . وقد أولوني ثقتهم التامة وكنا نحل سائر الخلافات التي تقع مع السلطات الأمريكية بالاتصال المباشر في بضعة ساعات . وقد برهن هذا الاتصال الذي كنت أقوم به ، على المستوى الرفيع على نجاح كبير حتى أنني حرصت على أن لا أتيجع للشئون المألوفة بين الدوائر والوزارات . وكنت أرفض على الدوام طلب زملائي الاتصال بالرئيس شخصياً في بعض المسائل المتعلقة بالتفصيلات . ولو تحولت هذه الاتصالات إلى اتصالات شخصية غير لائقة لفقدت مالها من سرية ومن ثم تفقد مالها من أهمية .

وقد توثقت علاقتي بالرئيس شيئاً فشيئاً حتى أصبحنا ندير دفعة العمل الرئيسى بين الدفاعة وطريق ما بيننا من اتصالات شخصية . ولذلك تم لنا التفاهم . وإذا كان روزفلت رئيساً للدولة ورئيساً للحكومة في نفس الوقت ، فقد كانت في يده السلطة الكاملة في القول والفعل . في مسائل الأمور وإذا كانت لدى السلطة التامة في وزارة الحرب . فقد كنت أنا كذلك أمثل بريطانيا العظمى على نفس المستوى . وبين أنتم كانت بيننا درجة كبيرة من الاتفاق والمواءمة . ولا شك أن الوقت الذي اقتضاه هذه الاتصالات والإفلال من عدد الملمين عليها كان له أثر جيد لا يمكن تقديره . وكنت أرسل برقيات إلى السفارة الأمريكية في لندن وهي على اتصال مباشر على الدوام بالبيت الأبيض بأجهزة خاصة . وكانت ترد إلى الردود فيما يتعلق بقسوة القضايا عاجلة ، مع ملاحظة الساعات بيننا وبين واشنطن . فإذا أعددت رسالة في المساء أو الليل أو في ساعات مبكرة من الصباح تصل إلى الرئيس روزفلت

قبل أن يأوى إلى فراشه وقد أرسلت إليه تسمائة وخمسين رسالة وتلقيت منه قرابة الثمانمائة ردّاً عليها وكنت أجد دائماً أننى أتصل برجل عظيم فضلاً عن أنه صديق صدوق ونصير كبير للقضايا السامية التى ندافع عنها .

وفى يوم الاثنين الثالث عشر من شهر مايو سنة ١٩٤٠ طلبت إلى مجلس العموم فى جلسة طارئة الاقتراع على الثقة بالحكومة الجديدة ، وبعد أن قدمت للمجلس ماحققته من تقدم فى شغل المناصب الخالية قلت « ليس لى ما أقدمه لكم غير الدماء والعرق والدموع والنصب » وهذا البرنامج الشعبى المختصر لم يسبق لرئيس وزراء أن تقدم بمثله للبرلمان فى تاريخنا الطويل ، ثم انتهيت إلى أن قلت :

« قد تسألون . ما هى السياسة التى تتبعها ؟ وأقول لكم هى سياسة الحرب . من البحر والبر والجو بكل ما لدينا من قوة . وبكل ما يمنحنا الله من عزيمة نحارب طغياناً رهيباً ليس له مثيل فى تاريخ الجرائم التى ارتكبتها البشر . هذه هى سياستنا . وقد تسألون ما هو الهدف ؟ وردى على ذلك كلمة واحدة وهى النصر . النصر مهما كلفنا من ثمن . النصر رغماً عن الخوف . النصر رغم طول الشقة ووعورة الطريق . فلا حياة لنا دون هذا النصر . وعليكم أن تعرفوا جيئاً أن ليس للامبراطورية البريطانية بقاء . ولا لكل ما مثلته بريطانيا . وما حملته القرون من دوافع للسير بالجنس البشرى إلى الأمام لتحقيق أغراضه دون هذا النصر . وقد قبلت القيام بهذه المهمة يحدونى الأمل والعزم الصادق . وأنا على ثقة بأن قضيتنا لن ينالها الفشل . وأستطيع الآن أن أزعم نصرة الجميع وتأييدهم وأقول « هلموا إذن ولنتقدم معاً إلى الأمام متكاتفين يداً واحدة » .

وقد افتتح المجلس على الثقة بالإجماع بعد بيان هذه الحقائق وأجل جلساته إلى الحادى والعشرين من شهر مايو .

وهكذا قفنا جميعاً بالواجب المشترك فيما بيننا ولم يلق رئيس وزارة بريطاني من ولاء زملائه ومساعدتهم مثل مالقيته في السنوات الخمس التالية من هؤلاء الرجال الذين كانوا يمثلون سائر الأحزاب ، وقد حافظ البرلمان على حريته الانتقادية ولكنه كان يؤيد دائماً جميع الإجراءات التي تقترحها الحكومة . وكانت حالة الشعب يشملها حماس واتحاد لامثيل له في تاريخنا من قبل ، وكان هذا أمراً طبيعياً فقد واجهنا أحداثاً شديدة لم يرها شعب في زمن من الأزمان .

معركة فرنسا

حين وقعت الحرب في سبتمبر سنة ١٩٣٩ جعل الألمان القوة الرئيسية لجيشهم وسلاحهم الجوي مركزين على غزو بولندا واحتلالها . وعلى طول الخط من إكس ليشابل إلى الحدود السويسرية وقفت اثنتان وأربعون فرقة . ولم يكن معها قوة مدرعة . وكانت فرنسا تستطيع بعد أن عبأت قواتها أن تقيم في هذه الجبهة سبعين فرقة . ولكنها لم تفعل للأسباب التي قدمتها آنفاً وقد رُئى أن من المتعذر القيام بهجوم على ألمانيا في ذلك الوقت ولكن الوضع في الماشر من شهر مايو سنة ١٩٤٠ تغير كل التغيير . فقد استفاد العدو من مهلة الثمانية أشهر ومن تحطيم بولندا فاستعد بنحو مائة وخمسين فرقة وساحها ودرّبها حتى أصبحت كاملة ، منها عشر فرق مدرعة وكان من أثر الاتفاقية التي عقدها هتلر مع ستالين أن خفض الألمان قواتهم في الشرق إلى أقل عدد . ويقول الجنرال هولدر وهو من كبار ضباط القيادة العليا الألمانية : إن هتلر لم يخلف أمام روسيا في الشرق غير قوة صغيرة لا تصلح إلا للتغطية أو جمع الضرائب . وقد سمح الروس للألمان — دون مبالاة بالمستقبل — بأن يدمروا الجبهة الثانية في الغرب التي اضطروا بعد فترة قصيرة من الزمن إلى أن يطالبوا بها وينتظروا فتحها بقلق وفزع . ومن ثم أتيج لهتلر أن يوجه هجومه الخاطف على فرنسا بمائة وست وعشرين فرقة وبكل ما في فرقة العشر من أسلحة مدرعة ويمد ثلاثة آلاف سيارة مصفحة منها ألف دبابة ثقيلة على الأقل .

وقد حشد الفرنسيون أمام هذه القوة الكبيرة التي لم تكن على علم بحقيقة وحداتها وتوزيعها نحو ثلاث ومائة فرقة منها القوات البريطانية التي تعمل في فرنسا . وإذا كان للجيش البلجيكية والهولندية أن يشترك فإن هذه الأرقام ستزيد اثنتين وعشرين فرقة . ولما كان النزو قد وقع على هذين في نفس الوقت الذي هوجت فيه فرنسا . فإن مجموع قوات الحلفاء على اختلافها بلغ في الماشر من شهر سبتمبر نحو مائة وخمس وثلاثين فرقة أو ما يعادل ما يملكه الألمان في الواقع . ولو أحسن

تنظيم هذه القوات وتدريبها وقيادتها لكان في مقدورها ، حسب ما نعرفه من مقاييس الحرب السابقة ، أن تقف الغزو وعندها الوسائل السكافية لذلك .

ولكن الألمان كانت لديهم ميزة الحرية التامة واختيار الوقت والمكان والقوة اللازمة وكان أكثر من نصف الجيش الفرنسي العامل يقف في الناطق الجنوبية والشرقية من فرنسا . وكان على الإحدى والخمسين فرقة الفرنسية والبريطانية القائمة بقيادة الجنرال بيلاوى في مجموعة الجيوش الأولى مع ما سينضم إليها من فرق بلجيكية وهولندية ، أن تواجه الهجوم الخاطف في الشمال ويقوم به نحو سبعين فرقة معادية بقيادة يوك ورونشقات بين لانجواى والبحر . وقد قرر الألمان أن يجمعوا رأس الرمح في هجومهم الرئيسى الدبابات التى لا تخترقها قذائف المدفعية والطائرات القاذفة النفضة . بالطريقة التى استخدمت بنجاح على نطاق ضيق في بولندا . وقد صدر الأمر إلى مجموعة من خمس فرق مدرعة وثلاث فرق ميكانيكية يقودها كلايت بالاتجاه عبر الاردن إلى سيدان ومنقيرى .

ولواجهة هذا النظام الحربى . دفع الفرنسيون نحو الفين وثلاثمائة دبابة أكثرها من النوع الخفيف . وقد ضمت فرقهم المدرعة بمض الأنواع الحديثة والقوية . ولكن أكثر من نصف قوتهم المدرعة كانت مقسمة بين فرق مختلفة من الدبابات الخفيفة للتماون مع سلاح المشاة . وكانت فرقهم المدرعة الست التى كانت تستطيع وحدها أن تواجه هجوم فرق « البانزر » الألمانية المدرعة موزعة في الجبهة على طول الخط . ولم يكن من الممكن ضمها إلى بمض للقيام بعمل منظم . وكانت بريطانيا الدولة التى خلقت فيها الدبابة قد تمكنت منذ أيام قليلة من تأليف فرقها المدرعة الأولى وتدريبها . ولم تكن قد بثت بها بمد إلى فرنسا .

وكانت الطائرات المقاتلة التى زج بها الألمان في الغرب تفوق كثيراً طائرات الفرنسيين عدداً وعدة . أما القوة الجوية البريطانية العاملة في فرنسا فكانت تضم عشرة أسراب محاربة من طائرات « هاريكين » التى أمكن الاستغناء عنها من سلاح الدفاع عن الوطن وتسعة عشر سرباً من أنواع أخرى . ولم تكن السلطات الجوية البريطانية والفرنسية قد أنتجت الطائرات النفضة . وهو سلاح أصبح له مكانته

بعد معركة بولندا . ولعب دوراً هاماً في إضفاف الحالة المنيوية بين جنود المشاة الفرنسيين ولاسيما المونين .

وبدأت القوات الألمانية هجومها على فرنسا عند حدود بلجيكا وهولندا ولكسمبورج في العاشر من شهر مايو بعد أن سبقها غارات جوية واسعة على المطارات وطرق المواصلات ومقر القيادة ومستودعات السلاح . وكانت لهم ميزة المفاجأة الحربية في كل مكان وفي ظلام الليل قفزت فرق لا تعد من جنود قوات الماسفة المتحمسين والمسلحين بأحسن سلاح بالمدفعية الخفيفة . قبيل الفجر كان نحو مائة وخمسين ميلا على طول الجبهة قد أصبحت ناراً ملتهبة . وعندما هوجت هولندا وبلجيكا دون إنذار سابق صاحقا صيحتهما لطلب النجدة . وكان الهولنديون قد ركبوا إلى خطهم المائي . وفتحت جميع الثغرات التي لم يستول عليها بالقوة أو الخيانة . وقام الحرس الهولندي بمقاومة الغزاة .

وكان المستر كولجين . وهو رئيس للوزراء . قد زارني سنة ١٩٣٧ وأوضح لي خطة إغراق الأراضي بالمياه وما لها من أثر فعال وأنه يستطيع بمكالمة تليفونية أن يأمر بالضبط على زر واحد فيواجه الغزاة حواجز مائية عظيمة لا يمكن التغلب عليها لكن هذه الأقوال كانت تافهة . فقوة الدولة الكبيرة التي تواجهها دولة صغيرة لها أثرها الجبار في الأوضاع المصرية . فقد تمكن الألمان من اجتياز الجبهة في كل مكان ووضعوا الجسور على القنوات أو استولوا على فتحاتها وعلى المغانج التي تؤدي إليها . وكان في مقدورهم بعد يوم واحد أن يسيطروا على سائر الخطوط الهولندية الخارجية التي أقاموها للدفاع . وفي نفس الوقت أخذ السلاح الجوي الألماني يستخدم قوته الجبارة ضد بلاد آمنة لا تستطيع الدفاع وأصبحت مدينة روتردام بين عشية وضحاها أنقاضاً تشتمل منها النيران وقد تعرضت لاهى وأوزخت وامستردام لمثل هذا المصير ونحطم أمل هولندا في النجاة من الطرف الأيمن للجناح الألماني كما نجت في الحرب السابقة . بناء على الوهم والخيال .

وبدأت الأنباء السيئة تترى إلينا في الرابع عشر من شهر مايو . فقد كان الوضع

أول الأمر غامضاً . وفي الساعة السابعة مساءً قرأت على مجلس الوزراء رسالة تلقيتها من المسيو رينو يقول . . إن الألمان اخترقوا الجبهة في سيدان . وإن الفرنسيين لم يستطيعوا المقاومة أمام العمل المزدوج بين الدبابات وطائرات الانقضاض ويطلب عشرة أسراب من الطائرات المقاتلة للمساعدة على إعادة تثبيت الخطوط . ونقلت رسائل أخرى تلقاها رؤساء أركان الحرب هذه المعلومات نفسها مضافاً إليها أن الجنرال جملان والجنرال جورج ينظران إلى الوضع نظرة خطيرة وقد بهت الجنرال جملان لسرعة زحف العدو . وفي سائر المناطق التي اشتبكت فيها الجيوش كانت شدة الهجوم الألماني وثقله قد وصلت إلى حد كبير .

وقد قتلت أسراب الطائرات البريطانية جميعها بعنف وشدة دائمين وكانت تستهدف بصورة رئيسية الجسور القاءة في منطقة سيدان . وقد دمر عدد من هذه الجسور وأصيب عدد آخر بأضرار في غارات يائسة ومركزة . وكانت الخسائر في الغارات الجوية المنخفضة على الجسور من المدفعية الألمانية المضادة للطائرات شديدة مزعجة . ففي حالة من الحالات على المثال لم تعد من الطائرات الست التي اشتركت في الغارة الناجحة إلا طائرة واحدة . وفي ذلك اليوم خسرنا سبعة وستين طائرة ، ولا نشغالنا في معارك مع المدفعية الأرضية المضادة أسقطنا ثلاثاً وخمسين طائرة المانية فحسب . ولم يبق في تلك الليلة في فرنسا من مجموع ٤٧٤ طائرة بريطانية إلا ٢٠٦ طائرات .

ووردت إلينا هذه المعلومات المفصلة تدريجياً وقد تبين أن استمرار القتال على هذا النحو سيستنزف السلاح الجوي البريطاني على كثرة عدده وتفوقه . . وكانت المسألة العسيرة الحل هي : ما الذي نستطيع أن نرسله من الطائرات دون أن يكون لإرساله تأثير على الدفاع داخل أرض الوطن والخوف من فقدان القدرة على مواصلة الحرب إذا اشتد علينا الضغط ؟ وكانت رغبةنا الطبيعية في أن نفي بوعودنا مع الاغتيارات العسكرية الثقيلة الوطاء تقوى من دعوة فرنسا . ولكن كان ثمة من الناحية الأخرى الحد الذي إذا تجاوزناه فقدنا حياتنا .

وقد بحثت وزارة الحرب مكتملة في هذه الآونة تلك القضايا . وكانت الوزارة تجتمع عدة مرات كل يوم . وكان ماريشال الجورادوينج قائد قواتنا الجوية المحاربة في

الوطن قد أبلغني بأنه إذا توافر لديه خمسة وعشرون سرباً من القاتلات فإنه بذلك يستطيع الدفاع عن الجزر البريطانية ضد السلاح الجوي الألماني جميعه . وإذا نقص هذا المدد فإنه يفقد القدرة على الدفاع . وكانت الهزيمة لا تشمل تدمير مطاراتنا وقوتنا الجوية فحسب بل كذلك مصانع إنتاج طائراتنا التي يتوقف عليها مستقبلنا جميعه وكنت وزملائي قد اعتزمنا أن نغامر لأجل المعركة بكل شيء حتى هذا الحد ، وكان ما نغامر به جدّة عظيم ولكننا لا نستطيع أن نتجاوزها منها تكن الماقبة .

وقد استيقظت في الساعة السابعة والنصف من الصباح في الخامس عشر من شهر مايو على تليفون من السيورينو أوصالوه إلى وأنا في فراشي ، وكان يتحدث إلى بالانكليزية ويبدو في حديثه المناء والنصب . قال « لقد هزمنا » ولما تربّث في الرد عاد يقول « لقد كسرنا لقد خسرنا المعركة » . فقلت « لا يمكن أن تقع الهزيمة بهذه السرعة العاجلة » فقال « لقد تحطمت الجبهة عند سيدان : وهم يتدققون في أعداد كبيرة تتقدمهم الدبابات والسيارات المدرعة » هذا ما قاله : أو قال ما يشبه هذا .

فقلت « إن سائر الاختبارات تشير إلى أن الهجوم سيفتح بعد قليل ، إنني أذكر اليوم الحادى والعشرين من شهر مارس سنة ١٩١٨ وقد أخرجوا على الوقوف بعد خمسة أو ستة أيام انتظاراً للمؤونة حيث تكون الفرص مواتية للهجوم المضاد وقد تعلمت كل هذا من المارشال فوش نفسه ، لقد كان هذا ما رأيناه في الماضي ، وما كنا نتظّره في الحاضر ولكن رئيس الوزراء الفرنسى عاد يكرر الجملة نفسها التي قالها في البداية والتي ثبت صحتها قال « لقد هزمنا . وخسرنا المعركة » فقلت إنني أبني الحضور إلى فرنسا للتحدث ممك .

لقد استطاع الألمان أن يفتحوا ثغرة في الخطوط الفرنسية عرضها خمسون ميلاً ، وقد اندفعت قوات كبيرة من المدرعات من هذه الثغرة . وكان الجيش التاسع الفرنسى في حالة من الضعف والانحلال وفي الخامس عشر من شهر مايو جاءت إلينا الأخبار بأن القوات المدرعة الألمانية أصبحت على بعد ستين ميلاً وراء الجبهة الأصلية وفي ذلك اليوم كان القتال قد انتهى في هولندا . ولما كانت القيادة العليا الهولندية

قد استسلمت في الساعة الحادية عشرة صباحاً . لم يكن من المستطاع إلا جلاء عدد قليل من الجنود الهولنديين من البلاد .

وقد أعطتني هذه الاحداث صورة عن الهزيمة . وقد سبق لى أن رأيت صوراً شتى من هذا القبيل في الحرب الماضية . ولم توح إلى بفكرة تحطيم الخط ، حتى على جهة مريضة بالنتائج الرهيبة التي بدأت تنهال على أنباؤها . ولما كنت في السنوات الطويلة الماضية لم أستطع الحصول على المعلومات الرسمية فإننى لم أكن أدرك تلك الثورة الكبيرة في الأساليب الحربية التي تمت منذ الحرب الماضية بإدخال مجموعات ضخمة من السلاح المدرع وإذا كنت أعرف شيئاً ماعن الموضوع فإنه لم يغير رأيي بما يجب أن يعمل . ولم يكن في مقدورى على أى حال أن أفعل شيئاً حتى لو غيرت رأيي . وقد تحدثت مع الجنرال جورج تليفونيا فوجدته هادىء الروح وأبلغنى أن محاولات تبذل لسد الثغرة فى سيدان ووصلت إلى برقية من الجنرال سجلان تقول إنه على الرغم من خطورة الموقف بين سيدان ونامور فإنه مازال يرقب الحالة بهدوء وبمشت برسالة رينو والرسالتين السابقتين إلى وزراء الحرب فى الساعة الحادية عشرة من الصباح .

وفى اليوم السادس عشر وردت الأنباء بأن التوغل فى الخطوط بلغ نحو ستين ميلاً بعيداً عن الحدود قرب سيدان . وعلى الرغم من أنه كان من المتعذر الوصول إلى صورة واضحة عما يدور فى الجبهة فى هذه الآونة فإن ما يحيط بالموقف من أخطار كان جلياً وقد أحسست ضرورة الذهاب إلى باريس بعد ظهر ذلك اليوم .

وفى الساعة الثالثة قمت فى طائرة من نوع « الفلامنجو » وهى من طائرات الركاب الحكومية ولم نكن نملك غير ثلاث منها وجاء معى الجنرال ديل نائب أركان حرب الامبراطورية والجنرال إيسمان . وكانت طائرات رائدة ومريحية وتسير بسرعة مائة وستين ميلاً فى الساعة وقد رافقتها بعض طائرات الحراسة إذ كانت طائرتنا غير مسلحة . وحلقنا وسط سحب مثقلة بالأمطار . وقد وصلنا إلى مطار « لا بورجيه » فى ساعة وبضع دقائق وسرعان ما اتضح لى منذ اللحظة التى غادرنا فيها الطائرة أن الموقف أسوأ بكثير مما كنا نتصور فقد ذكر الضباط الذين استقبلونا للجنرال إيسمان أن

من المتظر وصول الألمان إلى باريس خلال بضعة أيام على أكثر تقدير وبعد أن تمتعت
شيثا عن الموقف في سفارتنا انتقلت بالسيارة إلى الكي دورسيه فوصلتها في الخامسة
والنصف . وقد دخلت إلى إحدى حجراتها البديعة فوجدت بها رينو ودلاديه وزير الدفاع
الوطني والحربية والجنرال جلان وكانوا جميعا واقفين . ولم تجلس لحظة واحدة طوال
الوقت وكنت أرى علامات الضعف والاعياء بادية على وجوه الجميع . وقد وضع جلان
أمامه خريطة مركبة على قواعد مربعة طول ضلعها ياردنان وقد رسم عليها بالخط
الأسود ما يشير إلى جبهة القتال وفي هذا الخط رسمت ثغرة صغيرة ولكنها مشوشة عند
سيدان .

وقد بين لنا القائد العام ما حدث بإيجاز فقد كان الألمان قد اخترقوا الجبهة إلى
الشمال والجنوب من سيدان على اتساع خمسين ميلا أو ستين . وقد انهيار الجيش الفرنسي
الذي كان يقف أمامهم وتفرق شمله . وأخذت السيارات المدرعة تتقدم بسرعة هائلة
نحو إميان وأراس . وفي عزها أن تصل إلى البحر عندا بيغل أو جوارها . وقد
تحويل هذه القوات اتجاهها فترحف إلى باريس . وقال ان ثمانى فرق أو عشرين ترحف
خلف المدرعات في سياراتها الميكانيكية توسع اجنحتها وهى تتقدم في حركة منتشرة
متد الجيشين الفرنسيين اللذين فصل كل منها عن الآخر . وقد دام حديث الجنرال نحو
خمس دقائق دون أن يقاطعه أحد . وما كاد يتوقف عن الكلام حتى عم وجوم وصمت
طويلان ثم تساءلت وأين القوة الاحتياطية الاستراتيجية ؟ ثم قلت بالفرنسية وأين
قوات المناورة ؟ فالتفت إلى الجنرال جلان وهو يهز رأسه وقال ليست لدينا قوات
احتياطية ولا قوات المناورة .

وقد عدنا نعيم علينا صميت طويل وارتفعت سحب من الدخان في الخارج في
لحظات الكي دورسيه من أنوار المشاعل . ورأيت جماعات من الموظفين في عربات
متحركة وقد حملوا مجموعات كبيرة من الوثائق واشملوا فيها النيران . ومعنى هذا أنهم
يعدون العدة للجلاء من باريس .

وإذا كانت للتجارب الماضية ميزاتها فإنها مع الأسف لا تتكرر بنفس الصورة
والأفان الحياة تكون سهلة بسيطة فكثيرا ما تخطيت جهاتنا وأمكننا أن نصل الأشياء

ونضنف حدة الهجوم أما الآن فثمة عاملان لم أكن أتوقع مواجهتهما من قبل أولهما اقتحام طرق المواصلات جميعها والريف القائم وراء الجبهة بفيض لا يمكن مقاومته من السيارات المدرعة وثانيهما عدم وجود احتياطي استراتيجي ولقد قيل لي ليس لدينا احتياطي . فذهلت . ماذا أقول في الجيش الفرنسي العظيم وكبار قادة المسكرين ؟ . لم يكن ليخطر لي ببال أن قائدا يهدد إليه بالدفاع عن خمسمائة ميل من الجبهة يترك نفسه في حالة تموزه فيها القدرة على المناورة وليس في مقدور أى إنسان أن يدافع عن جبهة واسعة بالثقة التى لاحدود لها وعندما يفرض المدو على نفسه الهجوم بالدفاع كهذا الاندفاع الذى اخترق الجبهة فن واجب الفريق الآخر أن يكون على استعداد بمدد عظيم من الفرق للقيام بهجوم مضاد في حين تكون قوة هجوم المدو قد اعترتها الفتور .

لماذا أقامت فرنسا خط ماجينو ؟ لا شك أن هذا الخط قد وفر استخدام عدد كبير من جنود الجبهة وهيا مراكر دفاعية لتستخدمها القوات المدافعة في هجمات مضادة وتمكنها من حشد قوات كبيرة من الاحتياطي للاندفاع بها عند الحاجة وهذه هى الطريقة المثلى والوحيدة لمواجهة مثل هذه الطوارئ . ولكنهم يقولون الآن . ليس هناك احتياطي . وإنى لأعترف بأن هذا التصريح كان أكبر مفاجأة في حياتي . فلماذا لم أكن على بينة من هذا الموضوع حتى ولو كنت مشغولا بأعمال الأميرالية ؟ ولماذا لم يكن لدى بريطانيا ووزارة الحرب علم سابق بهذه الحقيقة ؟ ولا يجوز فيما أعتقد الاعتذار بأن القيادة العليا الفرنسية لم يكن لها أن تكشف عن توزيع قواتها لنا ولورد جورت إلا في دائرة من الإبهام لقد كان من حقنا أن نعرف . وكان من حقنا أن نصر على رأينا في أن نعرف ، لأن الجيشين يخوضان معركة واحدة في جبهة واحدة ورجعت إلى النافذة لأرى سحب الدخان المنبعثة من النيران التى تأكل وثائق الجمهورية الفرنسية . وكان السادة السكهول يواصلون المسير بعرباتهم المحملة بقذائف بما فيها إلى النيران الملتهبة .

وأسرع الجنرال جلان يتحدث ثانية عما إذا كان من الضروري جمع قوات نضرب بها جناحي الاختراق الألماني . أو « الانهزام » كما كنا نسميه فيما بعد فهناك ثمانى فرق أو تسع يمكن سحبها من المناطق الهائلة في الجبهة عند خط ماجينو

وهناك فرقتان أو ثلاث فرق مدرعة لم تشترك بمد في المعركة ونماني أو تسع فرق في الطريق من أفريقيا. ويمكن وصولها إلى الجبهة في مدى أسبوعين أو ثلاثة : ومن ثم فإن الألمان سيقتدمون في طريق بين جبهتين ويمكن أن تشن عليهما حرب على مثال التي دارت في سنتي ١٩١٧ و ١٩١٨ وقد لا يستطيع الألمان الاحتفاظ بمركزهم إزاء الضغط المتزايد من الجناحين أو من تمكين اندفاعهم بالمدرعات . هذا ما كان يتحدث به جملان . وكان مقولاً فيما يتحدث به إلى حد بعيد . ولكنني أحسست أن هذه الفئة الصغيرة من الرجال المستولبين وذوي النفوذ لا تكاد تصدق ما يقول . وقد سألت الجنرال جملان لحاة عن الوعد الذي يمتزم فيه مهاجمة جناحي الفترة والطريقة التي يهاجمها بها . وكان جوابه « إننا أقل منهم عدداً وأقل عدة . وأقل منهم في الطرق الحربية » واكتفى بأن هز كتفيه . ولم يجر نقاش بمد هذا وما حاجتنا إلى النقاش ثم ما هو موقفنا نحن الإنجليز . بهذا القدر الضئيل الذي نسام به وهو لا يعدو عشر فرق بمد ثمانية أشهر من الحرب وليس بينها فرقة دبابة حديثة .

وكان ملاحظات الجنرال جملان وغيره من القادة الفرنسيين تتجه إلى الإصرار على نقصهم في القوة عن المدو لا سيما في الجو . والالحاح بأن يرسل السلاح الجوي الملكي قوات جديدة من القاذفات والمقاتلات ولا سيما الأخيرة : وقد ظل هذا الإلحاح لإرسال الطائرات المقاتلة مستمرا في كل اجتماع تال حتى أنهارت فرنسا . وقد قال الجنرال جملان وهو يتحدث عن الحاجة إلى المقاتلات أنها ضرورية لا لتغطية موقف الجيش الفرنسي بحسب . ولكن لوقف هجوم الدبابات الألمانية كذلك . وهنا جعلت قائلا « كلا إن عمل المدفعية وقف الدبابات أما المقاتلات فواجبها تصفية الجوف سماء المعركة ، وكان من الأمور الحيوية بالنسبة لنا ألا نسحب قوتنا الدفاعية المقاتلة من بريطانيا مهما تكن الأسباب لأن بقاءنا متوقف عليها . ومع هذا فقد أصبح كسر النظام أسراً لا بد منه . وفي الصباح التالي . قبل أن أعاد المسكان كان مجلس الوزراء في لندن صرح لي بنقل أربعة أسراب من المقاتلات إلى فرنسا . فلما عدنا إلى السفارة وبعد حديثي في هذا الشأن مع « دبل » قررت أن أطلب من مجلس الوزراء أن يتيح لي إرسال ستة أسراب أخرى . ومعنى هذا أن يقتصر دفاعنا على خمسة وعشرين

سرياً في الجزر البريطانية جميعها . وهذا هو الحد الأقصى . وكان لا بد من اتخاذ قرار حاسم في هذا الشأن على كل حال . وطلبت إلى المستر إيسمان أن يتحدث تليفونيا إلى لندن ليطلب اجتماع مجلس الوزراء بصفة عاجلة لدراسة برقية هامة ستُرسل إليه خلال ساعة أو نحو ساعة .

وجاءني الرد في الساعة الحادية عشرة والنصف وكان بالإيجاب وسرعان ما انتقلت ومضى الجنرال إيسمان بالسيارة إلى شقة السيورينو فوجدتها وقد اكتنفها الظلام وبعد انتظارنا لحظة من الزمن خرج السيورينو من حجرة نومه يرتدي حلقه المنزلية فأبلغته الأنباء الطيبة : عشرة أسراب من المقاتلات ! وأقنمته إذا ذاك بأن يستدعي السيور دلايديه الذي جُسر إلى المنزل ليسمع قرار الوزارة البريطانية . وحاولت بهذه الوسيلة أن أرفع من الروح المعنوية عند أصدقائنا الفرنسيين بقدر ما تسمح به وسائلنا المحدودة ولم يفقه دلايديه بكلمة واحدة ولكنه قام من مقعده وضغط على يدي . وفي الساعة الثانية تقريباً عدت إلى دار السفارة ونمت مستريحاً وإن كان إطلاق نيران المدافع عند القارات الجوية قد يجعل الإنسان يقرب على فراشه من جانب آخر . وطرت في الصباح عائداً إلى لندن وعلى الرغم من مشاغلي الأخرى أخذت في الحال أعمل على تأليف المستوى الثاني من حكومتى .

وعقدت وزارة الحرب اجتماعاً في الساعة العاشرة من صباح اليوم السابع عشر من شهر مايو وعرضت عليها نتائج زيارتي لباريس . وصورة الوضع كما أراه .

وقلت للزملاء إنني أبلغت الفرنسيين أنهم إذا لم يبذلوا كل ما في وسعهم . فلن يكون هناك ما يجعلنا نتحمل هذه المغامرة الخطيرة التي تعرض سلامة بلادنا للخطر . وكنت أشعر بأن موضوع المساعدات الجوية كان من أخطر المواضيع التي يواجهها أي مجلس وزارة بريطاني . وقيل لي إن خسائر الألمان الجوية أربعة أضعاف أو خمسة أضعاف خسائرنا ولكن قيل لي كذلك إنه لم يبق من قوة فرنسا الجوية المقاتلة غير الربع وقد اظن جلالاً في ذلك اليوم أن الوضع قد انتهى وقيل إنه أعلن أنه يستطيع أن يضمن سلامة باريس اليوم فقط وربما غداً أي الثامن عشر والليلة التالية . وكانت

المركبة يجمعى وطيسها ساعة بعد أخرى وفي نفس ذلك اليوم بعد الظهر دخل الألمان بروكسل ووصلوا في اليوم التالي إلى كبريه واجتازوا سان كاتان وأخرجوا قواتنا الصغيرة من يرون . وكانت الجيوش الباجيكية والبريطانية والفرنسية القائمة تواصل انسحابها نحو نهر الشلدت .

وفي منتصف ليلة الثامن عشر - التاسع عشر قام الجنرال بيلوتي بزيارة للورد جورت في مقر قيادته . ولم تكن شخصية هذا القائد الفرنسي أو اقتراحاته تتركان شيئاً من الثقة في نفوس حلفائه . وقد بدأت منذ تلك الآونة فكرة الانسحاب تراود القائد البريطاني فقد جاء في البرقية التي بعث بها تلك الليلة أى التاسع عشر ونشرت في شهر مارس سنة ١٩٤١ . لقد اتضحت الصورة وهي تختلف عن صورة الخطر الذي يمتدق لأجل محدود . انها صورة القلعة المحاصرة .



وقد أحدث المسيو رينو تغييرات واسعة في الوزارة الفرنسية وفي القيادة العليا . فميين المرشال بيتان في الثامن عشر من شهر مايو نائبا لرئيس الوزراء . ونقل دلاديه إلى وزارة الخارجية وتولى بنفسه وزارة الدفاع الوطنى والحربية وفي الساعة السابعة من مساء التاسع عشر من شهر مايو عين الجنرال فييجان الذى كان قد وصل من الشرق الأدنى قائدا أعلى خلفا للجنرال جملان . وكنت أعرف فييجان عندما كان اليد اليمى للمرشال فوش . وأعجبت بتدخله العظيم في معركة وارند ضد الغزو البلشفي لبولندا في شهر أغسطس سنة ١٩٢٠ وكانت تلك مرحلة حاسمة بالنسبة لأوروبا في ذلك الوقت وكان قد أصبح الآن في الثالثة والسبعين من عمره ولكنه مازال في ذروة النشاط والحيوية . وكان آخر الأوامر اليومية للتي أصدرها الجنرال جملان أمرا أصدره في الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والأربعين من صباح التاسع عشر من شهر مايو برقم (١٢) ويقول فيه « إن على الجيوش الشمالية حتى لا تسمح بقطوبها أن تشق طريقها نحو الجنوب إلى نهر السوم مهما كلفها ذلك . وتهاجم فرق المدرعات الألمانية التي قطعت مواصلاتها . وعلى الجيش الثانى والجيش السادس الذى أقيم حديثاً أن يهاجما شمالا باتجاه ميزير . وكانت هذه القرارات على جانب كبير من الصواب . (١٠ - مذكرات)

والحق أنه قد تأخر صدور الأمر بالانسحاب عام للجيش الشالية إلى الجنوب أربعة أيام على الأقل وكانت الخطة المثلثية تقضى بعد أن ظهرت خطورة اختراق الألمان للجبهة في سيدان بالانسحاب حالا إلى جهة السوم وبدلا من هذا فقد قامت هذه الجيوش التي يقودها الجنرال بيلوتى ببعض الانسحابات الجزئية إلى الشيلدت . وأقامت جناحا دناعيا إلى اليمين . ومع ذلك . فقد تكون الفرصة لا تزال قائمة للانسحاب نحو الجنوب .

وقد حل الاتفاق في نفوس وزارة الحرب البريطانية من جراء اضطراب القيادة الشالية . وما أصيب به الجيش الفرنسى من الجمود الظاهر وعدم الوثوق بشيء عن حقيقة الواقع . وكانت سائر إجراءاتنا هادئة ومرنة . ولكن ظهرت فكرة معينة كنا نقف أمامها ذاهلين وإن كنا متحدين . وفي الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر اليوم التاسع عشر من الشهر وردت إلينا رسالة تقول ان «اللورد جورت يدرس فكرة تدعو إلى الانسحاب إلى دنسرك إذا رأى نفسه مرغما على ذلك » ولم يكن في وسع رئيس أركان حرب القوات الأبراطورية أن يوافق على هذه الفكرة التي لم نكن نحن أيضا نوافق عليها . وكان يرى أن من الواجب الانسحاب إلى الجنوب . ولهذا فقد بعثنا إلى اللورد جورت بتعليمات تقضى بأن يتجه بالجيش البريطانى نحو الجنوب الغربى وأن يجتاز طريقه ضد أية مقاومة في طريقه حتى ينفذ إلى الفرنسيين في الجنوب . على أن يدعو الباجيكين إلى تنفيذ خطة مماثلة وإذا لم يشاءوا فإنه يعلن لهم استعدادنا لاجلاء أكثر ما يمكن من القوات من موانئ المانش وعليه أن يبلغ جورت أننا سننقل إلى الحكومة الفرنسية ما استقر الرأى عليه وفي نفس الجلسة قررنا أن نبث بالجنرال دبل إلى مقر قيادة الجنرال جورج - وكان لنا معه اتصال تليفونى مباشر - ليظل هناك أربعة أيام . وعليه أن يباخنا كل ما يعرف . فقد كانت الاتصالات حتى مع اللورد جورت منقطعة وغير ميسرة . ولكنى علمت أن المؤن والذخائر التي لديه تكفى لمركبة تستغرق أربعة أيام لحسب .

وفي الجلسة التي عقدناها صباح اليوم العشرين من شهر مايو درسنا وضع جيشنا من جديد . وقد رأيت أنه حتى إذا نجحنا التراجع مع القتال باتجاه السوم فمن

الجاث أن تقطع قوات كبيرة من جيشنا عن الأصل أو تضطر إلى الاتجاه نحو البحر وقد أثبت في محاضر تلك الجلسة ما يلي « رأى رئيس الوزراء على سبيل الاحتياط أن تحشد الأميرالية أكبر عدد مستطاع من السفن الصغيرة لتكون مهبة للإبحار عاجلاً إلى الموانئ والمداخل الواقعة على الشاطئ الفرنسى » وقد قامت الأميرالية بتنفيذ هذا الأمر بسرعة وبحيوية عظيمة . وقد عهد بقيادة العملية فى التاسع عشر من الشهر إلى الأميرال راس قائد منطقة دوفر وبعد ظهر اليوم العشرين مع الشهر عقد بناء على أوامر لندن المؤتمر الأول لسكر من يعينهم الأمر بما فيهم ممثلو وزارة الملاحة لدراسة « الجلاء الطارىء على القناة لقوات كبيرة للغاية » ووضعت الخطة لإجلاء ما يعادل عشرة آلاف رجل عن موانئ كاليه وبولون ودينكرك فى كل أربع وعشرين ساعة . وكلف ضباط النقل البحرى على طول الشاطئ من هارويش إلى ويمارث بتسجيل سائر البواخر الصالحة التى تحمل ما يزيد على الألف طن وقد تم إحصاء كل ما فى الموانئ البريطانية من البواخر . ودلت هذه الخطة التى سميت « عملية دينامو » على أنها الطريق الذى أتاح خلاص الجيش بعد عشرة أيام .



وقد أصبح اتجاه الجيش الألمانى ظاهراً . فقد واصلت السيارات المدرعة والفرق الميكانيكية تدفقها من النجوة فى اتجاه أميان وارس لتتخف غرباً على طول السوم فى اتجاه البحر . ودخل الألمان ليلة العشرين من الشهر مدينة أيبيل بعد أن قطعت كل مواصلات الجيوش الشمالية . ولم تلق أية مقاومة بعد أن كانت قد استطاعت اختراق الجبهة . وكانت الدبابات الألمانية الرهبة تنطلق بحرية فى الأرض الخالية وتسندها وتمونها السيارات فتتقدم فى اليوم الواحد بمعدل ثلاثين أو أربعين ميلاً . وقد اجتازت عشرات المدن والقرى دون مقاومة . ويتطلع ضباطها برؤوسهم من الفتحات ويلوحون بأيديهم إلى السكان وقد شوهدت جماعات من الأسرى الفرنسيين الذين كانوا يسيرون معهم وهم مازالوا يحملون بنادقهم . ويجمعها الألمان من أيديهم ويدوسونها تحت الدبابات . وقد فرغت لهذا الفشل فى التصدى للدروع الألمانية التى استطاعت بضعة ألوف منها أن تدمر جيوشاً قوية بأكملها . وقد أزعجني ما رأيته

من تدهور سريع في المقاومة الفرنسية بعد أن اخترقت الجبهة . وكان الاندفاع الألماني يسير على الطرق الرئيسية التي لم تنلق على ما يظهر في نقطة من النقاط . وقد بدأ تيجان بعقد اجتماع للتشاور مع كبار قواده وكان من الطبيعي أن يرى الوضع في الشمال بنفسه ويتصل بالقادة ولنا أن تتسامح مع قائد تولى قيادة معركة خاسرة في عنقوان الأزمة . مع ضيق الوقت ولم يكن في مقدروه أن يترك ما تبقى تحت قيادته من قوات ويشغل نفسه بأعمال التأخير والجهد الناتجين عن حركات شخصية ونستطيع أن نلاحظ ما حدث بالتفصيل .

في صباح اليوم العشرين تسلم فيجيان زمام الأمور من جلان وتهيأ لزيارة جيوش الشمال في الحادي والعشرين . ولما علم بأن الطرق من الشمال قد قطعت قرر أن يطير . وهوجت طائرته واضطر إلى الهبوط في كاليه . وتقرر تأجيل موعد الاجتماع الذي سيعقد في أيرس إلى الساعة الثالثة بعد ظهر الحادي والعشرين ثم اجتمع مع الملك ليوبولد البلجيكي والجنرال بيلوتي أما اللورد جورت فانه لم يحضر الاجتماع لأنه لم يكن قد أبلغ بموعده أو مكانه ولم يحضره أى ضابط بريطاني . وقد وصف الملك هذا الاجتماع بأنه كان عبارة عن « أربع ساعات من الاحاديث التي لا طائل ورائها » وقد تناول الحديث تنظيم الخطط بين الجيوش الثلاثة وتنفيذ خطة فيجيان . فإذا لم تنجح فينسحب البريطانيون والفرنسيون إلى ليز والبلجيكيون إلى الايزر ، وكان من المقرر أن ينصرف فيجيان في الساعة السابعة من المساء ولم يصل جورت إلا في الثامنة ففرض عليه الجنرال بيلوتي وصف ما دار في الاجتماع وقد انتقل فيجيان بالسيارة إلى كاليه حيث أقلته غواصة إلى ديبب ثم عاد إلى باريس . وانتقل بيلوتي بسيارته ليعالج الأزمة ولم تمض ساعة حتى كان قد قتل في حادث سيارة . وهكذا أصبح كل شيء في يد القدر من جديد .

وعاد أيرونسайд في الحادي والعشرين يقول إن اللورد جورت حين تلقى أوامر وزارة الحرب ظهر أنها لا تتفق وفكرة الاتجاه نحو الجنوب لان معناها القيام بأعمال مؤخرة ومعوقة على الشلّة . والاندفاع في الوقت نفسه بهجوم على منطقة يحتلها العدو بقوات كبيرة من المدرعات والمعدات الميكانيكية وفي مثل هذه الحركة يجب

عليه أن يحتاط بجناحيه وقد لا يكون الجيش الفرنسي الاول أو الهانجيكيون في وضع يستطيعون معه التمشي مع هذه المناورة ولو حاولوا القيام بها . وأضاف ابرونسايڊ أن الفوضى تسيطر على القيادة الفرنسية العليا في الشمال وأن الجنرال بيلوتى قد فشل في تنفيذ واجباته الخاصة بالتنظيم في الأيام الثمانية الأخيرة . وكأنه يعمل وليس لديه خطة معينة . وأن قوة الحملة البريطانية لم تزل متممة بروح معنوية عالية . ولم تصب إلى الآن بأكثر من خمسمائة إصابة . وقد وصف ابرونسايڊ بوضوح حالة الطرق وازدحامها بطوائف اللاجئين الذين هاجمهم نيران الطائرات الألمانية بلا انقطاع . وقد لاقى هو نفسه مثل هذه الظروف .

ومن ثم أصبحت وزارة الحرب أمام طريقين رهيبين . أولاً : أن يقوم الجيش البريطاني سواء وجد عوناً من الفرنسيين أو البلجيكين أو لم يجد بشق طريقه نحو الجنوب في اتجاه السوم مهما تسكف في سبيل ذلك . وهذه خطة يشك الاورد جورت نفسه في إمكان نجاحها وإمكان تحقيقها .

وثانياً : أن يتراجع نحو دنكرك حيث يكون الجلاء عن طريق البحر تحت نيران العدو الجوية . مع التأكد من خسارة كل ما لديه من مدافع وعتاد وكلها نادر وثمين في ذلك الوقت . ولاشك أن تحقيق الخطة الأولى فيه ما فيه من مخاطر جمة . ولكن ليس هناك ما يمنع من اتخاذ كل ما يمكن من احتياطات واستعدادات لتأمين الجلاء عن طريق البحر إذا فشلت الخطة الأولى . وقد اقترحت على زملائى أن أذهب إلى فرنسا لمقابلة رينو وفييجان للوصول إلى حل . وكان من المقرر أن يلاقينى ديل قادماً من قيادة الجنرال جورج .

فلما وصلت إلى باريس في الثانى والمشرين من شهر مايو كان ثمة وضع جديد . فقد ذهب جلان واختفى دلاديه من المسرح الحربى . وكان رينو يقول رأسه الوزارة ووزارة الحرب معاً : ولم تعد باريس مهددة بعد أن وجه الألمان هجومهم نحو البحر . وكانت القيادة العامة ما زالت في فنسان . وحوالى الظهر نقلنى رينو بسيارته

إلى هناك : وقد رأيت في الحديقة عدداً من الضباط الذين سبق لي أن رأيتهم يلتقون بجملان . وكان بينهم أحد ضباط الفرسان يروح ويدو وقال مرافقي معلقاً : هؤلاء رجال المهدي المنصرم . ودخلت مع رينو إلى حجرة فييجان ثم انتقلنا إلى حجرة الخرائط حيث انتشرت أمامنا خرائط القيادة العليا واستقبلنا فييجان وهو على الرغم من جهوده الشاقة التي قام بها في المساء بادي النشاط والحيوية وقد ترك أثراً طيباً في نفوس الجميع وأسرع فبسط الخطة التي وضعها للحرب . فهو غير راض عن مجرد زحف تقوم به الجيوش الشمالية نحو الجنوب ومن رأيه أن تقوم هذه الجيوش في اتجاه جنوبي شرق يبدأ من كبريه وارس في اتجاه سان كنتان بحيث تلتف حول جناح الفرق الألمانية المدرعة التي تشتبك بما دعاه « جيب سان كنتان - أميان » .

وقال إن الجيش البلجيكي يستطيع أن يقوم بحماية مؤخرة هذه الجيوش الشمالية من ناحية الشرق والشمال كذلك إذا احتاج الأمر وفي مقدور جيش فرنسي جديد يقوده الجنرال فريز . ويقال من ثماني عشرة فرقة إلى عشرين إذا سحب من الأتراس ومن خط ماجينو ومن أفريقيا ومن سائر النواحي الأخرى أن يؤلف جبهة على نهر السوم وفي استطاعة هذا الجيش أن يحرك ذراعه اليسرى نحو أميان إلى آراس وأن يبذل جهوداً كبيرة للاتصال بجيوش الشمال ومن الواجب أن يبقى سلاح العدو المدرع تحت ضغط دائم . وقال فييجان « ويجب على كل حال أن لا يترك زمام المبادرة في أيدي فرق العدو المدرعة » وقد صدرت جميع الأوامر اللازمة . وقيل لنا إن الجنرال بيلوتي الذي أطلعه على خطة كاملة قد قتل منذ قليل في حادث سيارة . وقد كنت متفقاً مع ديل على أنه ليس لنا خيار في غير هذه الخطة . وأكدت أن من الضروري قبل أي شيء إعادة الاتصال بين جيوش الشمال وجيوش الجنوب عن طريق آراس وأن على اللورد جوررت في نفس الوقت الذي يشق فيه طريقه نحو الجنوب أن يظل محتفظاً بطريقته مفتوحاً إلى البحر . وحتى أكون على ثقة من عدم وجود أي خطأ فيما اتفقنا عليه أملت بنفسى ملخصاً للقرار وأطلعت عليه فييجان فوافق ومن ثم نقلت القرار إلى وزارة الحرب التي نقلته إلى اللورد جوررت .

ومن هذه الخطة التي وضعها فييجان يتبين أنها لم تكن تختلف كثيراً عن التلميحات

- ٤٣١ -

رقم ١٢ الى أسدرها جملان والفيت . ولم تكن بعيدة عن وجهة النظر القديمة التي ارتأتها وزارة الحرب في التاسع عشر . فعلى جيوش الشمال أن تشق طريقها نحو الجنوب في عمل هجومي . وتحطم ما أمكن من الاندفاع الذي أحدثه المدو بقواته المدرعة . وكان مقرراً أن تلقى هذه الجيوش اندفاعاً مقابلاً من اميان . تقوم به مجموعة الجيوش الفرنسية الجديدة بقيادة الجنرال فريير . وكان هذا الشرط ذا أهمية كبيرة إذا تحقق . ولقد شكوت في حديث خاص بيني وبين مسيو رينو . من أن اللورد جورت لم يتلقى أى أمر خلال أربعة أيام متوالية . وقد مضت ثلاثة أيام منذ تولى فيجيان القيادة فصاعت في اتخاذ القرارات . وإذا كان التنوير الذي حدث في القيادة العليا عملاً سديداً فإن التأخير الذي ترتب عنه كان سيئاً للغاية .

إن الحاجة إلى توجيهات القيادة العليا وتقصصها تجعل للأحداث وأعمال المدو أثرها البالغ في أعمال التوجيه وقد خاضت القوات البريطانية بجزار آراس معركة صغيرة معزولة بين الحادى والعشرين والثالث والعشرين . ولكن بعض سلاح المدو المدرع الذى يقوده جنرال يسمى رومل كان نوباً كل القوة . وقد اعتمد الجنرال فيجيان حتى تلك اللحظة على جيش الجنرال فريير المتقدم من أسيان والبرت ويرون تجاه الشمال . ولم يكن قد حقق أى تقدم يذكر . إذ كان ما زال في دور التكوين والتجمع .

وقد أحست وزارة الحرب والدوائر العسكرية العليا أن من الواجب الإفادة من كفاية السير جون ديل ومعلوماته الاستراتيجية بتعيينه كبيراً للمستشارين العسكريين بعد أن كان منذ الثالث والعشرين من أبريل يقوم بوظيفة نائب لرئيس أركان حرب قوات الامبراطورية . ولم يكن ثمة من شك في أنه يفوق ايرونسايد في نواح كثيرة .

وإذا كانت المعركة العنيفة تقترب من قتها كنت أنا ورفقائى نرغب رغبة شديدة في أن يصبح السير جون ديل رئيساً لهيئة أركان حرب الامبراطورية . وكان علينا

كذلك أن نختار قائداً عاماً للجزر البريطانية إذا تعرضنا للغزو . وكنا في ليلة الخامس والعشرين وفي ساعة متأخرة أنا وإيرونسايد ودبل وإيسمان وواحد أو اثنين آخرين . ندرس الوضع في غرفتي بدار الأميرالية . وقد أبدى الجنرال إيرونسايد استعداده للتخلي عن رئاسة أركان حرب الأمبراطورية . واستعداده لقيادة القوات بالجزر البريطانية . وإذا نظرنا إلى الظروف الشاقة التي كانت أمام هذه القيادة اتضح لنا مقدار ما ينطوي عليه هذا المرض من روح التفاني والتضحية . وقد وافقت على اقتراح الجنرال إيرونسايد . ولا شك أن الأوسمة والتقدير الذي لاقاه فيما بعد كان يرجع إلى تقديري لموقفه العظيم في تلك الفترة .

وقد أصبح السير جون ديل رئيساً للأركان العامة في السابع والعشرين من شهر مايو . وقد كانت هذه التغيرات مناسبة في ذلك الحين .

الزحف نحو البحر

نستطيع أن نستعرض الآن عند هذا الحد سير هذه الحركة التي لا تنسى . كان هتلر هو الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يخترق حياد بلجيكا وهولندا . ولنى تدعو بلجيكا الحلفاء لمساعدتها إلا إذا هوجت . ومن ثم أصبح زمام المبادرة العسكرية فى أيدي هتلر وقد وجه ضربته فى العاشر من شهر مايو . وبدلاً من أن تربص الجيوش الفرنسية الأولى ومعها الجيوش البريطانية وراء خطوطها المحصنة أمرت إلى الوثوب فى خطة يائسة إلى بلجيكا لإنقاذها بناء على خطة للجترال جملان تدعى الخطة (د) وكان الفرنسيون قد خلفوا الفجوة القابلة للاردين وتركوها صينة التحصين ضعيفة الدفاع . وقد تمكن اندفاع مدرع لا مثيل له فى تاريخ الحرب من اختراق قلب خط الجيوش الفرنسية وأصبح فى خلال ثمان وأربعين ساعة يهدد بالقطع سائر جيوش الشمال عن خطوط مواصلاتها الجنوبية وعن البحر كذلك . وكان على القيادة الفرنسية العليا فى الرابع عشر من شهر مايو على الأكثر أن تصد أوامرها الاضطرابية إلى هذه الجيوش بالانسحاب العام بكل ما تستطيع من سرعة ، راضية بالهزيمة فحسب بل بالخسائر الجسيمة فى المعدات كذلك ولكن الجترال جملان لم يقابل هذا الأمر بما فيه من واقع أليم وكان القائد الفرنسى لمجموعة الجيوش الشمالية وهو بيلوتى أعجز من أن يتخذ القرارات الضرورية بنفسه وقد عمت الفوضى سائر الجيوش القائمة على الجناح الأيسر المهدد .

فلما أحست هذه الجيوش بقوة العدو المتفوقة تراجع وتقهقرت وعندما التفت الحركة التطويقية حول ميمفنها أقامت جناحاً دفاعياً . ولو بدأت هذه الجيوش تراجعها العام فى الرابع عشر لبلدت فى السابع عشر منه خطها القديم . ووجدت الفرسة للنجاة من الطوق لكن هذه الجيوش فقدت ثلاثة أيام على أقل تقدير وهى أيام مدمرة . وأخذت وزارة الحرب البريطانية منذ السابع عشر منه ترى بوضوح أن القتال العاجل نحو الجنوب هو وحده الذى يمكن به إنقاذ الجيش البريطانى . وكانت الوزارة البريطانية تلح على الحكومة الفرنسية وعلى الجترال جملان بوجهة نظرها هذه ولكن

القائد البريطاني اللورد جورت كان يشك في نجاح هذه الخطة القائمة على إشغال المدو في جبهات القتال في حين يجب خرق جبهة واحدة لكي يتم التراجع . وفي التاسع عشر ترك الجنرال جلان الخدمة وخلفه الجنرال فييجان وكانت أوامر جلان الأخيرة رقم ١٢ سليمة من ناحية المبدأ وإن تأخرت خمسة أيام عن الموعد الذي يجب أن تصدر فيه . وكانت موفقة والاستنتاجات الرئيسية التي وصلت إليها وزارة الحرب البريطانية ورؤساء أركان حربها ، وقد أدى تغيير القيادة في وقت الحاجة إليها إلى تأخير ثلاثة أيام آخر ولم تكن خطة فييجان التي اقترحها بعد زيارته الجبهة الشمالية سوى خطة على الورق وهي في حقيقتها خطة جلان نفسه ولكن بعد أن أصبحت ميثوساً منها من جراء الإبطاء في تنفيذها .

وإزاء هذا الموقف المزعج الذي نواجهه وجدنا أنفسنا مضطرين لقبول خطة فييجان وبذلنا غاية الجهد لتنفيذها وإن كانت جهودنا قد أصبحت وليس لها أثر فعال وقد واصلناها حتى الخامس والعشرين حين انقطعت سائر المواصلات . وسد الألمان هورنا المضاد الضعيف واحتلوا آراس . وتدهورت الجبهة البلجيكية . وأوشك الملك ليوبولد على أن يستسلم وأصبح كل أمل في الانسحاب إلى الجنوب ضائعاً ولم يبق أمامنا إلا البحر ، فهل نستطيع أن نصل إليه أم أننا سنعلوق وتحطم جيوشنا في الميدان ومهما يكن الأمر فإن علينا أن ننقذ كل ما لجيشنا من مدفعية ومعدات . مما لا يمكن تمويضه إلا بعد بضعة أشهر . ولكن ما قيمة كل هذا أمام إنقاذ الجيش وهو الأساس الذي يقوم عليه بناء قوتنا في المستقبل وبدأ اللورد جورت الذي شعر منذ اليوم الخامس والعشرين بأن الجلاء بالبحر هو فرصتنا الوحيدة بقيم رأس جسر حول دنسكرك وقد شق طريقه إليه بكل ما تبقى لديه من قوة . وكنا في حاجة ماسة إلى كل ما يمتاز به البريطانيون من نظام وامتنال وما يمتاز به قوادهم من مهارة أمثال بروك والسيكساندر ومونتجومري وكنا نحتاج إلى أكثر من هذا لنقوم بعمل كل ما في طاقة الإنسان أن يعمل .

وسندرس الآن قصة كثرفها الكلام والجدل . ذكر الجنرال هولدر رئيس

أركان حرب القيادة الألمانية أن هتلر تدخل في هذه الفترة تدخلا مباشراً في المعركة لأول مرة . إذ أصبح كما يذكر ذلك القائد المليم بهذا الموضوع « في خوف على فرقة المدرعة لأنها كانت في موقف خطر إلى حد بعيد ، في أرض صعبة تحيطها القنوت ولا تستطيع أن تحقق نتائج ذات أهمية » وقد أدرك أنه لا يستطيع أن يضحي بفرقة المدرعة دون فائدة لأنه يراها ضرورية لرحلته الثانية من الحملة . وقد رأى أن تفوقه الجوي يتيح له أن يحول دون وقوع جلاء واسع النطاق عن طريق البحر لهذا أرسل من طريق براوخيتش بأمر « التشكيلات المدرعة بأن تتوقف أو تتراجع في بعض المراكز المدفئة » ومن ثم أصبح الطريق مفتوحاً على تمير هولدر ، أمام البريطانيين ليصلوا إلى دنكيرك . وعلى أية حال فقد استطعنا أن نلتقط رسالة المانية في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثانية والأربعين من صباح الرابع عشر من شهر مايو فيها أمر بوقف الهجوم على دنكيرك في ذلك الوقت ويقول هولدر إنه بالنيابة عن القيادة العليا رفض التدخل في حركة مجموعة الجيوش التي يتولى قيادتها رونشتادت ، كانت لديها أوامر صريحة بمنع العدو من الوصول إلى الساحل . وأضاف أنه كلما كان النجاح هنا أتم وأسرع كان من الأسهل الاستمناضة عن الدبابات المفقودة فيما بعد .

وفض الخلاف بأمر صريح من هتلر نفسه قال فيه إنه يريد أن يضمن تنفيذ أمره بإرسال ضابط اتصال شخصي إلى الجبهة وقال هولدر « ولم أستطع أن أعرف كيف اقتنع هتلر بضرورة عدم تمرير الفرق المدرعة للخطر . وقد يكون كابيل الذي كان قد أمضى في الحرب العالمية الأولى مدة طويلة في جبهة الفلاندرز قد أوحى إليه بهذه الآراء بالقصص التي كان يرويها له » .

وقد روى قادة آخرون من الألمان هذه القصة نفسها . وأشاروا إلى أن دوافع سياسية دعت هتلر إلى إصدار هذا الأمر . وترمى إلى تحسين فرص السلام مع انكاثرا بعد هزيمة فرنسا . وتروى بعض الوثائق التي ظهرت فيما بعد في صورة يوميات صادرة من مقر قيادة رونشتادت قصة مختلفة كل الاختلاف . فقد وردت الأوامر عند منتصف ليلة « الثالث والعشرين من مقر القيادة بتوقيع براوخيتش تؤكد أن الجيش الرابع سيقى تحت قيادة رونشتادت للقيام « بالفصل الأخير من المعركة » وحضر هتلر في صباح اليوم

التالى لزيارة رونشتادت فأبلغه أن سلاحه المدرع الذى توغل هذه المسافة البعيدة ويمثل هذه السرعة قد وهنت قوته وأصبح فى حاجة إلى التوقف فترة من الزمن لإعادة تنظيمه واستعادة التوازن والقوى . حتى يستطيع أن يواجه الضربة الاخيرة ضد العدو الذى « يحارب بقوة قاهرة » وقد توقع رونشتادت كذلك أن تتعرض قواته الممتدة فى مسافات شاسعة لهجمات من الشمال والجنوب . طبقا لخطة فييجان . وهى الخطة التى إذا نفذت كانت العملية الوحيدة التى يمكن للحلفاء أن يقوموا بها كضربة مضادة . وقد اتفق هتلر معه كل الاتفاق . لاسيما وقد كان يشعر بضرورة توفير القوات المدرعة لمهام مقبلة ، ومع ذلك فقد جاء فى الصباح الباكر أمر جديد بتوقيع يروخيتش القائد العام باستمرار تقدم السلاح المدرع . ولكن رونشتادت ، رفض تنفيذ هذا الأمر وهو معتمد على موافقة هتلر الشفوية ولم ينقل الأمر إلى قائد الجيش الرابع كلوجه الذى طلب إليه أن يواصل جمع قواته المدرعة . وقد احتج كلوجه على التأخر ولكن رونشتادت لم يصدر أوامر القيادة العليا إلا فى اليوم التالى أى فى السادس والعشرين وقد أضاف أن دنسكرك نفسها يجب ألا تهاجم بصورة مباشرة وتقول اليوميات إن الجيش الرابع أعان احتجاجه على هذا التحديد . وقال رئيس أركان حربه فى السابع والعشرين :

« إن الحالة فى موانئ القناة تبدو على الصورة التالية : البواخر الكبيرة تقترب من الأرصفة : وتعد الألواح الخشبية إلى الشاطئ وسرعان ما تملأ أسطح هذه البواخر بالرجال أما المتاد الحربى فيتركونه جميعه وراءهم . ولكننا لا نزيد أن نرى هؤلاء الرجال وقد أعادوا تسليحهم من جديد وتصدوا لنا مرة ثانية » .

ويبدو من هذا أن السلاح المدرع قد توقف . وأن الأمر الصادر بتوقفه لم يكن من هتلر ولكن من رونشتادت ولاشك أن رونشتادت وجهة نظره فى هذا الموضوع تتعلق بأوضاع السلاح المدرع نفسه ثم بالمركة بصفة عامة . ولكن كان يجب عليه أن يخضع للأوامر الرسمية الصادرة عن القيادة العليا أو أن يبالغ هذه القيادة ما قاله هتلر فى محادثتهما . وثمة اتفاق تام بين القادة الألمان على أن فرصة عظيمة قد ضاعت منهم .

وكان هناك سبب خاص ، له تأثيره على حركات السلاح الألماني المدرج في تلك المرحلة الحاسمة .

فبعد أن وصل الألمان إلى البحر وراء ابيفيل ليلة العشرين من الشهر اتجهت الوحدات المتقدمة من الصفوف الألمانية المدرعة والآلية شمالاً نحو بولون وكاليه ودنكرك . قطع الطريق على الفرار من ناحية البحر . وكانت هذه الطريقة ماثلة في خاطري منذ الحرب الماضية حين حافظت على اللواء البحري المتحرك ، الدامل من دنكرك ضد جناحي ومؤخرة الجيوش الألمانية الزاحفة على باريس ومن ثم لم أكن في حاجة إلى معلومات جديدة عن نظام الري والقنوات بين كاليه ودنكرك ، ولا إلى معرفة جديدة عما للخطوط المائية في هذه المنطقة من الأهمية . وقد فتحت السدود . وأخذ الفيضان يزداد يوماً بعد يوم ويتدفق ماؤه فيحصى خط تراجعنا من جهة الجنوب . وأصبح من الضروري الدفاع عن بولون لاسيما عن كاليه إلى آخر لحظة ، لما لذلك من الأهمية في هذه الحالة المضطربة من المعركة . وأرسلت الحاميات إلى الميناءين من انكلترا في الحال . وقد عزلت بولون وهوجت في الثاني والعشرين من شهر مايو وكان يتولى الدفاع عنها فريقان من الخرس وبطارية من البطاريات القليلة المضادة للدبابات التي في حوزتنا ومعنا وحدة فرنسية صغيرة وبعد ست وثلاثين ساعة قضيناها في المقاومة بدأ أنها أمر مستحيل وقد وافقت على إجلاء حاميتها التي تشمل الفرنسيين كذلك بطريق البحر . وقامت ثمان مدمرات في ليلة الثالث والعشرين والرابع والعشرين بنقل من تبقى من الرجال بعد خسارة ما يقرب من مائتي رجل وواصل الفرنسيون الدفاع عن القلعة حتى صباح اليوم الخامس والعشرين فأحسست ندماً على جلاء قواتنا .

وكنيت قبل أيام قلائل قد عهدي إلى رئيس أركان حرب القوات الإمبراطورية . أن يتولى الدفاع عن موانئ المانش مباشرة . وكان على اتصال دائم بي . ثم قررت الدفاع عن كاليه حتى الموت وأن لا تجلو حاميتها التي تتألف من فريق من حملة البنادق . وفريق آخر من الكتيبة الستين . وفريق من كتيبة اللسكة فكتوريا ، وبطارية المدفعية المضادة للدبابات التاسعة والعشرين وفريق من الدبابات وعدد من

- ٣٣٨ -

الدبابات الخفيفة ، وقوات فرنسية مماثلة بطريق البحر وكان من المؤلم التضحية بهذه القوات العظيمة المدربة التي قل أن يوجد عندنا مثيل لها . طمأناً في أن نكسب يومين أو ثلاثة أيام يشك في نتائجها . وقد وافق وزير الحربية ورئيس أركان حرب الامبراطورية على هذا العمل الشاق .

وفي ليلة السادس والعشرين من شهر مايو اتخذنا قراراً بعدم إنقاذ الحامية . وكانت المدمرات حتى ذلك التاريخ على استعداد تام . وكان إيدن وإبرونسايدي معى في الأميرالية . فلما خرجنا من المشاء في الساعة التاسعة مساء تلك الليلة كنا قد اتخذنا القرار . وكان بين هذه القوات الفريق الذي كان يعمل فيه إيدن وحارب معه في الحرب العالمية الأولى . وإذا كان للإنسان أن يأكل وبشرب حتى في أيام الحرب فقد كان هذا القرار يميز في نفسى ونحن على مائدة العشاء إلى حد المرض وكانت كاليه موضع الخطورة . وقد تحول بيننا وبين إنقاذ دنسكرك عوامل أخرى . ولكن مما لاشك فيه أن الأيام الثلاثة التي كسبناها بالدفاع عن كاليه قد قوت خططنا المائى في « جرافلاند » ومكنته من المقاومة وعلى الرغم من تردد هفلى وأوامر رونسشادت فإن خطوطنا كانت ستقطع وتضيق سائر قواتنا .

ووقعت في خلال ذلك كارثة . فالألمان الذين لم يكونوا قد ضغطوا على الخط البلجيكي ضغطاً شديداً حطموا هذا الخط على جانبي كورتانى في الرابع والعشرين من شهر مايو . وهى منطقة لا تبعد أكثر من ثلاثين ميلاً عن أو ستند و دنسكرك . وقد اعتبر ملك بلجيكا أن الوضع أصبح ميئوساً منه وتهيأ للاستسلام .

وفي ليلة الخامس والعشرين اتخذ اللورد جورت قراراً حيوياً وكانت الأوامر الصادرة إليه حتى تلك الليلة هى أن يتابع خطة فيجيان بأن يوجه هجومه نحو الجنوب في اتجاه كبرىد ويستخدم في هذا الهجوم الفرقتين الخامسة ، والستين بالاشتراك مع الفرنسيين . ولم يتم الهجوم الفرنسى الموعود باتجاه الشمال من منطقة السوم . وتم إخلاء آخر المناطق المدافعة عن بولون . أما كاليه فسكانت لا تزال ثابتة . وقرر اللورد جورت التخلي عن خطة فيجيان فلم تمت خطة الزحف نحو الجنوب ونحو السوم

باقية . وفي خلال ذلك تم انهيار الخط البلجيكي ، والفجوة التي فصحها الألمان في الشمال لها خطرهما . وقد قرر جورت عن ثقة بمقدرته العسكرية واقتراف بانهييار كل إشراف من جهة الحكومتين البريطانية والفرنسية على ميدان المعركة وفقدان كل سيطرة للقيادة العليا الفرنسية عليها — أن يتخلى عن فكرة الهجوم تجاه الجنوب . وأن يسد الثغرة التي ستنتج عاجلاً باستسلام بلجيكا في الشمال .

ويزحف تجاه البحر ومن ثم يكون الأمل الوحيد في إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الدمار أو الاستسلام . وفي الساعة السادسة مساء أصدر أوامره إلى الفرقتين الخامسة ، والخمسين بالانضمام إلى اللواء البريطاني الثاني لمحاولة سد الثغرة في الخطوط البلجيكية . ونقل إلى الجنرال بلانشار الذي خلف بيلوتي في قيادة مجموعة الجيوش الفرنسية الأولى هذه الأوامر . وقد اعترف هذا الضابط بوقوع الأحداث وشدها . فأصدر أوامره في الساعة الحادية عشرة والنصف مساء بالانسحاب في ذلك اليوم إلى خط وراء قناة ليز غرب ليل . وقد صمم على أن يقم رأس جسر حول دنكرك .

ووضع جورت وبلانشار في الصباح الباكر من اليوم السادس والعشرين من شهر مايو خطتهما للانسحاب تجاه الشاطئ ولما كان على الجيش الفرنسي أن يقطع مسافة أطول . فقد كانت الحركات الأولى لقوات الحملة البريطانية بمثابة تمهيد مبدئي . وظلت القوات الخلفية للوثنين البريطانيين الأول والثاني باقية في الخطوط الدفاعية لتجهيزها حتى ليلة السابع والعشرين والثامن والعشرين من شهر مايو . وكان اللورد جورت في جميع هذه الخطوات يعمل برأيه وعلى مسؤوليته . ولكننا كنا في هذا الوقت على ضوء بعض المعلومات قد وصلنا إلى نفس النتائج . وقد صدرت إليه برقية في السادس والعشرين من وزارة الحربية تؤيد ما قام به من إجراءات وتتيح له أن يتحرك تجاه الساحل متعاوناً مع الجيوش الفرنسية والبلجيكية وبدأ حشداً كبيراً عدد ممكن من السفن من مختلف الأحجام والأشكال على نطاق كبير .

وفي أثناء ذلك . استمرت عملية إقامة رءوس الجسور حول دنكرك . وتقرر أن يحتفظ الفرنسيون بالمواقع المتقدمة من « جريفلاين » إلى برج وأن يحافظ البريطانيون على القناة من فيرنز إلى نيوپورت والساحل ، وبدأت الجماعات المختلفة

تقدم إلى هذا الخط من جميع الأسلحة وهي تصل من شتى الجهات . وتلقى اللورد جورث من وزارة الحربية أمراً مؤكداً للأمر الصادر إليه في السادس والعشرين . في برقية مؤرخة في السابع والعشرين تقول « إن مهمته أصبحت منحصرة في إجلاء أكبر عدد ممكن من الرجال » وكنت قد أبلغت الميسو رينو في اليوم السابق أن سياستنا أصبحت محصورة في إجلاء قوات الحملة البريطانية وطلبت إليه أن يصدر أوامر مماثلة . وكان انقطاع المواصلات له أثره الكبير حتى أن قائد الجيش الفرنسي الأول أصدر أمراً في الساعة الثانية بعد ظهر السابع والعشرين إلى جنوده قال فيه « إن الحركة تدور الآن حول خط إيز دون تراجع » .

وقد أصبحت أربع فرق بريطانية مهددة بالخطر . والجيش الفرنسي الأول جميعه مهدداً بالانقطاع والعزلة حول ليل . وأخذ جناح الحركة القطبوية الألمانية يبدلان جهدهما لانتطابق الكاشفة على هذه القوات الفرنسية والبريطانية . وكانت هذه اللحظة من الاحتفالات الفريدة الحاسمة . حيث تلعب وسائل النقل الميكانيكية دورها .

ولما أصدر اللورد جورث أمره تراجعت هذه الفرق الأربع بسرعة مدهشة في ليلة واحدة . وقد استطاعت بقية الجيش البريطانى في خلال ذلك عن طريق المارك الطاحنة على جانبي المنطقة الإبقاء على الممر المؤدى إلى البحر مفتوحاً . وقد تمكن طرفا الكاشفة من الالتقاء أخيراً ليلة التاسع والعشرين في صورة تشبه تلك العملية الروسية العظيمة حول ستالاجراد سنة ١٩٤٢ بعد أن تأخرأ بمجهود الفرقة الخامسة ثلاثة أيام وقد استغرقت عملية إغلاق الكاشفة يومين ونصف يوم . وفي خلال ذلك الوقت كانت الفرق البريطانية وجزء كبير من الجيش الفرنسي الاول باستثناء الجيش الخامس الذى فقد ، قد انسحبت جميعها بانتظام عند الثغرة على الرغم من اعتماد الفرنسيين على الخيول في مواصلاتهم وعلى الرغم من قطع الطرق الرئيسية الممتدة إلى دنكيرك ومن امتلاء الطريق الفرعية بالقوات المنسحبة وبقوافل طويلة من وسائل المواصلات والوف اللاجئين .

وكنت قد طلبت إلى المستر تشمبرلين منذ عشرة أيام أن يدرس مع الوزراء هل نستطيع الاستمرار في الحرب وحدنا .

ثم عرضت الأمر على مستشارينا العسكريين بصفة رسمية . وتممعت أن أضع صيغة السؤال في عبارة تتيح لرؤساء أركان الحرب . أن يميزوا عن آرائهم بحرية مهما تكن هذه الآراء . وكنت أعرف من قبل أنهم مصممون على الاستمرار في الحرب . ولكني رأيت أن من السداد الاحتفاظ بسجلات خطية لهذه القرارات وأردت أن أجد الفرصة التي تتيح لي أن أؤكد للبرلمان أن وراء تصميمنا آراء الخبراء العسكريين المحترفين . وهأنذا أورد فيما يلي السؤال ورد أركان الحرب عليه .

١ - لقد استعرضنا تقريرنا عن إستراتيجية بريطانيا إذا وقع تطور خاص على ضوء المهمة التي عهد إلينا بها رئيس الوزراء في الرسالة التالية :

إذا عجزت فرنسا عن الاستمرار في الحرب . ووقفت موقف الحياد واحتفظ الألمان بمركزهم الحالي مع اضطراب الجيش البلجيكي للاستسلام بعد مساعدة الحملة البريطانية على الوصول إلى الساحل . وإذا تقدمت ألمانيا بمروض تحمل بريطانيا تحت رحمتها عن طريق نزع السلاح ووقف القواعد البحرية عن العمل في جزر أوركني وما شابهها . فما هو أملنا في مواصلة الحرب وحدنا ضد ألمانيا . وربما ضد إيطاليا كذلك .

وهل يستطيع الأسطول والسلاح الجوي . أن يمطيا لنا الأمان ضد غزو خطير وهل تستطيع القوات التي تحتشد في هذه الجزر أن تتحمل الغارات الموجهة إليها من الجو والتي تشتعل على وحدات لا يزيد عددها عن العشرة آلاف رجل .

من الملم بأن إطالة مدى المقاومة البريطانية قد تكون من الخطورة يمكن على ألمانيا المشغولة بالمحافظة على الجزء الأكبر من أوروبا ؟

٢ - وقد توصلنا إلى النتائج التالية :

٣ - ما دام سلاحنا الجوي موجوداً . فيجب على الأسطول أن يتعاون معه . وفي استطاعتهم مما أن يحول دون قيام ألمانيا بغزو خطير من طريق البحر لهذه البلاد .

٤ - إذا فرضنا أن ألمانيا استطاعت أن تحصل على التفوق الجوى فمنعنا نمعتقد أن في استطاعة الأسطول أن يمنع الغزو إلى أجل محدود لا إلى أجل غير محدود .

٥ - إذا عجز أسطولنا عن منع الغزو . وزالت قوتنا الجوية من الوجود . وحاولت ألمانيا الغزو فإن قوة دفاعنا الساحلية لا يمكنها أن تحاول دون تثبيت أقدام الدبابات الألمان ومشاتهم على سواحلنا . وفي حالة كهذه ستكون قوائنا البرية غير كافية لمواجهة غزو جدى خطير .

٦ - إن جوهر الموضوع يقوم على التفوق الجوى . فإذا استطاعت ألمانيا الوصول إلى هذا التفوق فإنها قد تحاول إخضاع هذه البلاد عن طريق القوة الجوية بحسب .

٧ - إن ألمانيا لا تستطيع أن تصل إلى التفوق الجوى التام إلا إذا قضت على سلاحنا الجوى جميعه . وحطمت مصانع طائراتنا التي يوجد منها عدد كبير وهام في كوفنترى وبرمنجهام .

٨ - قد تقع الغارات الجوية على مصانع طائراتنا في الليل والنهار ونرى أن علينا أن نلحق أكبر خسائر بالمدوي غاراته النهارية حتى لا يقع الضرر بمصانينا . ومهما عملنا من الإجراءات الدفاعية . ونحن نبادر بما لدينا من قوة ، فليس في مقدورنا التأكد من قدرتنا على حماية المراكز الصناعية الكبيرة التي تعتمد عليها صناعة طائراتنا . مما يصيبها من الأضرار المادية ذات الأثر البالغ التي تحمل بها من جراء الغارات القليلة . وعلينا أن نحول بين المدوي وبين إصابة الأهداف ونوقف حاقلاً بينه وبين أهدافه .

٩ - ونجاح الغارات الجوية في القضاء على صناعة الطائرات لا يقوم على الأضرار المادية التي تحدثها التنازل بل على نيل من الروح المنوبة

في نفوس المال وعزمهم على المضي في العمل على الرغم من الدمار الذي يحيط بهم .

١٠ — وإذا أراد العدو أن يستمر في هذه الغارات الليلية على مصانع طائراتنا ، فقد يفال بغيته وينجح في تحقيق ما يطمع فيه من إزال الأضرار المادية والمعنوية داخل المناطق الصناعية حتى يشل حركة مصانعنا تماماً .

١١ — ويجب علينا أن نذكر أن الألمان يهفوننا في عدد الطائرات بنسبة واحد إلى أربعة فضلاً عن أن مصانع إنتاج الطائرات الألمانية أكثر مناعة وتوزيعاً من مصانعنا .

١٢ — وفي مقدورنا ما دامت لدينا قوة من القاذفات أن نجعلها تقوم بغارات مماثلة على المراكز الصناعية في ألمانيا لتدمرها وتعطلها من العمل .

١٣ — وبالإجمال فإن ألمانيا تبدو لأول نظرة وكأنها تحمل أكثر الأوراق الراجحة . ولكن في وسع القوة المعنوية عند جنودنا المحاربين وسكاننا المدنيين أن توازن بين قوتنا وما تتمتع به ألمانيا من مميزات في العدد والعدد . ونحن على ثقة بأنها ستنتج في هذه الموازنة .

وقد وقع على هذا التقرير الذي كتب في أشد أوقاتنا شيقاً وظلمة قبل انقضاء دسكرك ، رؤساء أركان الحرب الثلاثة وهم نيروال وباوند وايرونسайд ، ونوابهم الثلاثة ديل وفيليس ويرس . وأود أن أعترف بعد قراءة هذا التقرير بسنوات بخطورة الموقف الذي كنا فيه وحيلته . لكن أعضاء وزارة الحرب والوزراء القليلين الآخرين الذين اطلعتوا عليه كانوا قد صمموا على أمر واحد غير قابل للجدال . فالكل قلب واحد وروح واحد .

وقد أصدرت التعليمات التالية :

١٩٤٠/٥/٢٨

سيكون من دواعي خيبة رئيس الوزراء في هذه الأيام أن يرى
لروح المنوية عالية بين زملائه الوزراء ومساعدتهم من كبار الوزراء
في تلك الظروف التي يعيشون فيها . وعلينا أن لا نقتل من خطورة
الأحداث . ولكن علينا في الوقت نفسه أن نملن ثقتنا التامة وعزيمتنا
على المضي في الحرب . حتى نقضي على إرادة العدو وتصميمه على السيطرة
على أوروبا واخضاعها .

وعلينا أن لا نجعل لفكرة القائلة بأن فرنسا ستعقد صلحا منفرداً
أرأى في نفوسنا . ومهما طرأ على القارة الأوروبية من أحداث فإن واجبنا
يقضي علينا بأن نبذل كل مجهود لدينا للدفاع عن جزيرتنا
وامبراطوريتنا وقصبتنا .

وفي صباح اليوم الثامن والعشرين استسلم الجيش البلجيكي .

وقد تلقى اللورد جورت إشارة بالمزم على الاستسلام قبل وقوعه بساعة واحدة .
وإن كان هذا الانهيار متتظراً منذ ثلاثة أيام . وقد استطاعت القوات البريطانية
أن تفلق النفرة التي سينتهي إليها هذا التطور . وفي ذلك اليوم كان احتمال نجاة
الجيش البريطاني في يد الأقدار . وقد واجه الجنرال بروك في الجبهة المتقدمة من كومين
إلى إبيرس ومنها إلى البحر - وهو يحاول سد الفجوة التي أحدثها البلجيكيون .
معركة قاسية قاتل فيها قتلاً عنيفاً بعد انسحاب البلجيكيين شمالاً واستسلامهم .
ولكن هزم الفجوة أخذت تتسع حتى أصبح من المتعذر سدها . . ولم يكن من
المستطاع وقف الاندفاع الألماني بين الجيوش البريطانية والبلجيكية . ولكننا كنا
نتوقع نتائجها المهلكة . وهي أن يتجه العدو إلى الداخل عبر الإيزار فيصل إلى
السواحل وزاء قواتنا الحاربة .

وقد احتمل الألمان بحل الرد الروس الذي لحق بهم . وفي أثناء ذلك وعلى بعد أربعة

أميال فحسب وراء جبهة بروك المكافئة كانت هناك حشود كبيرة من السيارات والجنود مندفة إلى الورا نحو رأس الجسر القائم حول دنكرك لتصبح جزءاً لا يتجزأ من خطوطها الدفاعية . فلما جاء اليوم التاسع والعشرون من الشهر كانت قوات كبيرة من الحملة البريطانية قد وصلت إلى القطاع وكانت قد بدأت الإجراءات البحرية في هذا القطاع تم بنجاح . وفي الثلاثين من شهر مايو أعلنت القيادة العامة أن سائر الفرق البريطانية أو ما تبقى منها قد دخلت القطاع وقد استقطاع أكثر من نصف الجيش الفرنسي الأول أن يجتاز طريقه إلى دنكرك حيث نقل أكثر رجاله من طريق البحر في سلام . إلا أنه قطع خط الرجعة لخمس فرق على الأقل عن طريق الكاشة الألمانية التي أطبقت إلى الغرب من ليل . واستمر الفرنسيون يقاتلون في ليل بصورة تدريجية إزاء ضغط زائد حتى أجبروا مساء الحادى والثلاثين من شهر مايو إلى الاستسلام وقد نفذ مائدهم من مؤنة وعقاد وهكذا وقع نحو خمسين ألف رجل أسرى في يد الألمان . وقد استقطاع هؤلاء الفرنسيون بقيادة الجنرال مولينييه الباسل أن يثبتوا أربعة أيام شديدة أمام سبع فرق ألمانية على أقل تقدير . وكان في استطاعة هذه الفرق أن تشارك في الهجوم على قطاع دنكرك . ولا شك أن هذه المقاومة الباسلة كانت مساهمة ذات شأن في إنقاذ زملائهم الذين كانوا أسمد حظا في نجاة الحملة البريطانية .

وقد كنت في عنة وأنا أحمل المسؤولية وأراقب بأنفاس متقطعة وعيون قلقة حائرة هذه المسرحية التي لا أستطيع أن أتحكم فيها والتي قد يؤدي التدخل فيها إلى ضرر أكثر من الفائدة . ولا شك أننا بتنفيذ خطة فيجان بالتراجع نحو السوم إلى أطول مدى ممكن قد ضاعفنا من خطورة الموقف الحرج الذي كنا نواجهه إذ ذاك ، ولكن قرار جورت الذي أسرعنا بالموافقة عليه ، والذي يقضى بالتخلي عن خطة فيجان والرحف إلى البحر قد نفذ تنفيذاً رائماً بفضل المبقرية الفذة التي اتصف بها القائد وأركان جربه . وسيظل هذا الحادث أسطورة عظيمة في تاريخ بريطانيا العسكرية .

إنقاذ دنكرك

كنا في يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر مايو وقد تخللت عن مجلس العموم منذ ذلك اليوم إلى يوم الثلاثاء الذي يليه ولم أرفائدة تذكر من الإفضاء ببيان آخر في هذه الفترة . ولم يبد الأعضاء رغبة في الاستماع إلى مثل هذا البيان ولكنهم أدركوا جيماً أن مصير جيشنا سيتقرر قبل أن ينتهي هذا الأسبوع وقلت « إن على المجلس أن يستعد لاستماع أنباء شديدة قاسية ، ولكنني أريد أن أضيف أنه مهما يحدث في هذه المعركة فلن يحررنا من واجبنا في الدفاع عن قضية العالم . التي كرسنا لها أنفسنا . ولن يضعف من إيماننا بقدرتنا على أن نشق طريقنا كما فعلنا في ظروف مماثلة من تاريخنا الطويل حيث اقتحمنا طريق الكوارث والآلام لنلحق الهزيمة أخيراً بأعدائنا ولم أكن قد رأيت الكثيرين من زملائي الوزراء ، من غير أعضاء وزارة الحرب منذ تأليف الحكومة إلا فرادى . ورأيت أن أعقد اجتماعاً عاماً لجميع أعضاء الوزارة في غرفتي بمجلس العموم . وكنا نحو خمسة وعشرين وزيراً حول المائدة . فشرحت لهم مجرى الأحداث . وبيّنت لهم بوضوح أين نقف وما هو ملق في كفة القدر ثم قلت عرضاً وكأنني لا أرى إلى موضوع ذي أهمية خاصة « وبالطبع مهما يحدث في دنكرك فإننا سنمضي في القتال »

وحدثت ظاهرة أدهشني كثيراً من هؤلاء الساسة والحكّامين ورجال البرلمان الذين يمثلون مختلف الآراء سواء أكانت صائبة أو خاطئة قبل الحرب . فقد رأيت عدداً منهم يقفز من مقعده ويسرع إلى وهو يصيح ويربّت على ظهره ولم يكن ثمة شك في أنني إذا تخاذلت في تلك اللحظة في قيادتي لأمّتنا لأقصيت عن منصبى . وكنت على يقين من أن كل وزير كان على أتم استعداد للتضحية بروحه في هذه اللحظة . وكانوا كأفراد يمثلون مجلس العموم بشار اتجاهاته ومن ثم فهم يمثلون الشعب البريطاني جيماً . وقد كان لي في الأيام والشهور التالية أن أتكلم باسم هؤلاء جيماً وأشعرهم من مشاعرهم في كثير من المناسبات وكان ذلك حقاً على وكنت أعبر عنها

خير تعبیر لأها كانت عواطف نفسها . وكان هناك خيط رفيع من النور يشرف على جزيرتنا من أقصاها إلى أدناها .

ولقد كتب الكثير من البيانات الدقيقة لجلاء القوات البريطانية والفرنسية عن دنكرك . فبذل اليوم العشرين من شهر مايو تقدمت مجموعة البواخر والقطع الصغيرة في سيرها الحثيث تحت قيادة الأميرال رمزي الذي يتولى قيادة موقع دوفر . وأعلنت الأميرالية مساء اليوم السادس والعشرين من شهر مايو وضع عملية « دينامو » موضع التنفيذ . وقد وصلت إلى الوطن أول قوات جلت عن دنكرك . وإذ ضاع منا ميناء بولون وكاليه . لم يبق لنا إلا ما بقي من ميناء دنكرك والشواطئ الرملية القريبة من الحدود الهاجيكية . ورأينا أن أقصى ما يمكن إنقاذه في ذلك الوقت هو نحو خمسة وأربعين ألف رجل في يومين . وفي السابع والعشرين اتخذت إجراءات الطوارئ للحصول على أكبر عدد ممكن من السفن الصغيرة للقيام بواجبات خاصة . ومعنى ذلك إجلاء ما لا يقل عن نصف قوات الحملة البريطانية . وكان معلوماً أن عددا كبيرا من هذه السفن الصغيرة والزوارق ستكون للنجلاء عن الشواطئ الرملية بينما تقوم السفن الكبيرة بعملها في ميناء دنكرك نفسه . وقام ضباط الأميرالية بإشارة من المستر ريجز من وزارة الملاحة . بالبحث في جميع أحواض الزوارق بين تيدلنجتون وبريتلنجس فعثروا على نحو أربعين زورقا بخاريا ولنشا وكلها صالحة للعمل وقد تم حشدتها في شيرنيس في اليوم التالي وقد جمعت في نفس الوقت جميع القوارب والزوارق واليخوت وسفن الصيد الصغيرة . وكل ما على سواحل البحر من وسائل النقل وكلفت بالعمل ، وفي اليوم السابع والعشرين من شهر مايو اندفع سيل دافق من هذه القطع الصغيرة إلى البحر نحو شواطئ دنكرك لإنقاذ جيشنا المحبوب .

وبعد أن انكشف ستار السرية عن هذه الحركة . أطلقت الأميرالية دون تردد الحرية لكل حركة من الحركات التي اجتاحت أهالي السواحل الجنوبية والجنوبية الشرقية من عشاق البحار وقد استطاع كل من له قارب أو زورق بخاري كان أو

شراعى أن يبصر إلى دنسكرك . وهكذا قويت الاستعدادات التى بدأناها لحسن الحظ منذ أسبوع بهذه الدقة من الحواس العظيم الذى أبداه المقطوعون بطريقة مدهشة وكان عدد القوارب التى وصلت فى التاسع والعشرين صغيرة . ولكنها كانت مقدمة لفتحو ربمائة سفينة صغيرة قدر لها أن تلعب بعد الحادى والثلاثين من شهر مايو دورا حيويًا فى نقل مالا يقل عدده عن مائة ألف جندي من الشواطئ إلى البواخر الراسية فى عرض البحر . وقد فقدت فى هذه الأيام مدير غرفة خرائطى فى الأميرالية القبطان بيم وشخصاً أو شخصين كانا مألوفين إلى . وكانوا قد استولوا على زورق هولندي صغير أنجح له أن ينقذ فى أربعة أيام ثمانمائة جندي . وقد بلغ مجموع السفن التى أسرعت بانقاذ الجيش تحت نيران المدافع التى لا ينقطع قصفها من طائرات العدو ، نحو ثمانمائة وستين قطعة صغيرة منها نحو سبعمائة يملكها بريطانيون والبقية لبعض رعايا الحلفاء .

وفى أثناء ذلك ، كان احتلال القطاع القائم حول دنسكرك يمزج بقوة وعناد . وقد وصلت القوات إلى القطاع متفرقة وفى حالة من الفوضى . ولكن سرعان ما أعيد تنظيمها ووزعت على الخطوط الدفاعية التى تدعمت فى مدى يومين لحسب ، وقد عهد لأحسن الجنود بحماية الخط الأمامى . واحتفظ بالفرق التى تحملت القتال فى المدة السابقة كالفرقة الثانية والخامسة كقوة احتياطية على الشواطئ . وقد عجل بنقلها إلى أرض الوطن . وكان قد تقرر أن تشارك ثلاثة ألوية فى الدفاع عن الجهة . ولكن عندما حمل الفرنسيون جزءاً كبيراً من عبء الدفاع تقرر أن يكتفى بلواءين . وكان العدو مستمراً فى المطاردة أثناء عملية الجلاء وقد قام قتال مرير على الأخص حول الجناحين فى نيوبورت وبيرجز . ومع السير فى عمليات الجلاء كان النقص فى عدد الجنود من بريطانيين وفرنسيين يسيره انقباض فى الخطوط الدفاعية . وقد ثبتت عشرات الألوف من الجنود على الشواطئ وبين الكتيبان الزمليتين ثلاثة أيام أو أربعة أو خمسة . إزاء غارات جوية مستمرة بغير رحمة . وقد تبين من هذا أن اعتقاد هتلر فى قوة السلاح الجوى الألمانى وقدرته على منعه الفرار .

وما يترتب على ذلك من احتفاظه بتشكيلاته المدرعة للضربة النهائية من المعركة كان اعتقاداً خاطئاً . وإن لم يكن بعيداً عن المقول .

وقد حملت ثلاثة عوامل في تخطيط هذه الاحتمالات . أولها أن الغارات الجوية على هذه المجموع من الجنود القائمة على الشاطئ لم تصبها بأضرار بالغة . وقد هجم الجنود حين وقعت غارة جوية شديدة عليهم ولم يقتل أحد منهم أو يصب بجراح . وقد حدثت الانفجارات في كل مكان . ولكنها لم تصب أحداً . ولو كانت الشواطئ مسخرية لكنت النتائج أشد تأثيراً بل لكنت مهلكة مميقة . وهكذا أصبح الجنود ينظرون إلى الغارات الجوية باحتقار . فقد كانوا يقيمون خلف الكثبان الرملية وأيامهم البحر الأزرق وهو صديق صدوق لهم وفيه سفن الانقاذ ووراءها أراضي الوطن .

وكان العامل الثاني الذي لم يكن يتوقعه هتلر . وهو ما حل بطياريه من قتل وذبح . فقد وضعت القدرة الجوية البريطانية والألمانية موضع الاختبار واحتفظت قيادة الطائرات المقاتلة بدوريات متتامة في سماء المعركة . وقد بذلت جهداً كبيراً في محاربة العدو في معارك جوية عنيفة رغم تفوقه في العدد . وكانت طائراتنا تغلب ساعة بعد أخرى على أسراب القاذفات والمحاربات الألمانية فتوقع بها الخسائر البالغة . وتدمرها شر تدمير وتبعدها عن سماء المعركة وقد ظل هذا القتال الجوي مستمراً يوماً بعد يوم حتى تمكن سلاحنا الجوي من تحقيق فوزه العظيم . وأينا وجدت طائراتنا مجموعات كبيرة من الطائرات الألمانية كانت تسرع إلى مهاجمتها وتسقط منها المشرات التي تصل عاجلاً إلى المئات وقد استخدمنا كل ما لدينا من طائرات احتياطية في الوطن . وكان الطيار البريطاني يضطر في كثير من الأحيان إلى الإطارة أربع مرات في اليوم . وقد وصلنا إلى النتيجة البارزة وهي أن العدو المتفوق يهزم أو يقتل . ويتراجع على ما فيه من شجاعة . وأنها لمعركة فاصلة . ولم يكن الجنود المقيمون على الشاطئ لسوء الحظ يرون الكثير من هذا الصراع الأسطوري في الجو . فقد كانت هذه الممارك دائمة على بعد عدة أميال أو فوق السحاب . وكانوا لا يعلمون بما ينال العدو من خسارة . وكل ما كانوا يرون هو تلك

القنابل التي كانت تنساقط على الشواطئ بلقى بها العدو الذي كان يستطيع الوصول ولكنه لا يستطيع العودة في غالب الأحيان وكان يسيطر على الجيش شعور من المرارة والغضب ضد السلاح الجوي لأنه لم يره في المعركة حتى كان بعض الجنود الذين وصلوا سالمين إلى الوطن يرمون بالسباب زملاءهم الذين يرتدون ملابس الطيران جهلاً منهم بالحقيقة . وكان عليهم أن يثبوا عليهم ويهنتوهم ولكن كيف يدركون الحقائق وقد قررت أن أعلن الحقيقة في البرلمان .

ولكن العاملين الرمي والجوى ما كنا ليحدثنا أثرها لولا العامل الثالث وهو عامل البحر . فقد كان للعمليات التي صدرت منذ عشرة أيام أو اثني عشر يوماً تحت وطأة الأحداث وما تبعها من المواقف النائرة أثرها العظيم . وقد عم النظام التام على الشواطئ وعلى ظهر السفن والبواخر وكان البحر هادئاً . وأخذت الزوارق تسير ذهاباً وإياباً بين الشاطئ والبواخر تنقل الرجال من الشاطئ بعد أن يخوضوا في الماء أو يحملهم وهم ساجدون غير عابثة بالقذائف الجوية التي كانت كثيراً ما تنالهم ببعض الإصابات وكان العدد الهائل من هذه الزوارق هو وحده الذي تحدى الغارات الجوية وثبت أن « أسطول البعوض » لا يفرق . وقد انتقدت مشاعر الجند وسط الهزيمة وسقطت على شعب الجزر البريطانية الذي أتحدث مشاعره فجلت على الهزيمة وسبق قصة شواطئ دنكيرك حائلة في كل ما تحتفظ به من سجلات .

وإذا تحدثنا عن العمل الباسل الذي قامت به السفن الصغيرة فإننا لا ننسى الأعباء التي قامت بها البواخر الكبيرة التي كانت تعمل من ميناء دنكيرك والتي قامت بنقل ما لا يقل عن ثلثي الرجال . وكان للمدمرات الدور الأكبر في هذا الميدان وعليها ألا تتجاهل دور السفن الخاصة وملاحى البواخر التجارية .

كنا ننظر إلى عملية الجلاء . بتلوب مرتجفة وآمال مثقلة وقد أصبح مركز اللورد جورت ليلة السابع والعشرين في حرج شديد بالنسبة للسلطات البحرية . فقد بعث القبطان تيفنانت من رجال الأميرالية وقائد الوحدات العاملة في دنكيرك . برسالة يطلب فيها إرسال كل ما يمكن من سفن وبواخر عاجلاً إلى الشواطئ « فالجلاء

سعيداً ليلة غد أمراً على أشد ما يكون من التمسيد » وكانت الصورة التي تلقيناها خالصة ويائسة . وقد بذلنا جهداً عظيماً لقلبية الداء . وبعثنا بطراد ومائى مدمرات وست وعشرين قطعة بحرية أخرى إلى الميناء . وكان اليوم الثامن والعشرون يوماً اشتد فيه القلق . ولكن سرعان ما خفت هذه الشدة . حين استقر الوضع في الناحية البرية بمعاونة السلاح الجوى القوى . وتم تنفيذ الخطة البحرية في التاسع والعشرين على الرغم مما نالنا من خسائر بالغة . فقد خسرنا ثلاث مدمرات وغرقت إحدى وعشرين سفينة وأصيب عدد آخر بأضرار .

وفي اليوم الثلاثين من شهر مايو عقدت اجتماعاً في حجرة العمليات الاميرالية حضره الوزراء الثلاثة للقوات المسلحة ورؤساء أركان حربهم . ودرسنا ما وقع من أحداث ذلك اليوم على الشاطئ الباجيكي . وكان عدد الجنود الذين تم إنقاذهم حتى تلك الساعة مائة وعشرين ألفاً بينهم ستة آلاف فرنسي وكان عدد القطع البحرية العاملة ٨٦٠ قطعة بين صغيرة وكبيرة . وتلقينا برقية من الأميرال ديك وكر من دنكرك تقول « على الرغم من الضرب الجوى الشديد . ويران المدافع فقد استطعنا إنقاذ أربعة آلاف آخرين في الساعة الماضية » وقد أوضح صعوبة الدفاع عن دنكرك في اليوم التالي . وأكدت ضرورة إنقاذ عدد أكبر من الفرنسيين . فإن تمناضينا من هذه الناحية ستترتب عليه إساءة بالغة للعلاقات التي بيننا وبين حليفنا وقلت كذلك إنه إذا لم يبق لنا في دنكرك غير فيلق واحد فإننا سنطلب إلى اللورد جورث أن يستقل إحدى القطع البحرية ويعود إلى إنجلترا . ويترك الفيلق في عهدة قائده . وعلى الجيش البريطاني أن يظل باقياً ما أمكنه البقاء حتى يتم إجلاء الفرنسيين كذلك .

ولما كنت أعرف اللورد جورث شخصياً معرفة تامة فقد أرسلت إليه بخط يدي الأمر التالي الذي بعثت به إليه بصفة رسمية عن طريق وزارة الحربية في الساعة الثانية بعد ظهر اليوم الثلاثين من شهر مايو .

« استمر في الدفاع عن القطاع الحالي إلى أقصى مدى حتى تسطيع إجلاء أكبر عدد ممكن من الجنود في العملية الناجحة القائمة الآن

وأبست إلينا بأخبارك كل ثلاث ساعات وإذا كان في مقدورنا أن نتصل بك فينبعث إليك بأمر المودة إلى انكثرتا مع العدد الذى تختاره من الضباط فى اللحظة التى نرى فيها أن قواتك قد نزلت إلى الحد الذى يمكن تسليمها فيه إلى قائد فيلق وأنت نخير الآن فى هذا الأمر . وإذا تمطلت سبل الاتصال بيننا وبينك . فعليك أن تسلم القيادة لهذا القائد طبعاً للخطة السالفة . حين يصبح عدد قواتك المحاربة فى حدود ثلاث فرق وهذا إجراء عسكري سليم ينطبق على القواعد العسكرية . وليس لك حق التصرف فى هذا الشأن . وليس لنا أن نترك للدو فرصة اعتقالك على رأس قوة صغيرة نظل تحت أمرك . وعلى قائد الفيلق الذى تختاره أن يستمر فى الدفاع مع الفرنسيين . وأن يواصل . إجلاء القوات عن دنسكرك وعن الشواطئ . ولكن إذا رأى أن من المستحيل القيام بأى جلاء منظم آخر . وتمذر إلحاق أى أذى جوهرى بالدو فلك أن تدعوه بعد الاتفاق مع القائد الفرنسى إلى الاستسلام بصفة رسمية منما لسفك الدماء بلا مبرر .

وقد يكون لهذه الرسالة أثرها فى أحداث جسيمة أخرى وعلى مصير قائد باسل آخر فقد علمت عندما كنت فى البيت الأبيض فى آخر شهر يناير سنة ١٩٤١ من الرئيس ومن المستر ستمسون بمصير الجنرال ماك آرثر والحامية الأمريكية فى كوريجيدور ووجدت من المناسب أن أشرح لهم كيف كان موقفنا فى حالة مماثلة تتعلق بقائد تام . نقصت قوته حتى أصبحت جزءاً صغيراً من القوات الأصلية التى كانت لديه وقد قرأ الرئيس والمستر ستمسون معاً هذه البرقية التى بعثنا بها إلى جورت باهتنام عظيم . وقد عجبت لما بدا على وجهيهما من التأثر . وعاد المستر ستمسون بعد قليل ليطلب نسخة من البرقية . فأعطيتها له فى الحال . وقد يكون لهذه البرقية أثرها لدى الأمريكين لاتخاذ القرار المناسب الذى اتخذوه فعلاً بإصدار الأمر إلى الجنرال ماك آرثر بتسليم القيادة إلى أحد الجنرالات المساعدين وإنقاذ هذا القائد العظيم من المصير الذى كان سيواجهه إما بالموت أو بالبقاء أسيراً عند اليابانيين مدة الحرب والاستفادة من خدماته الجليلة فى المستقبل وكما كنت أود لو يتم ذلك .

وفي نفس ذلك اليوم أى في الثلاثين من شهر مايو أبلغ أركان جراب اللورد جورت . أن آخر موعد ييسر فيه للقطاع الشرق أن يصمد أمام الألمان في دنكرلك هو فجر اليوم الأول من شهر يونية . لهذا عجل المستولون بعملية الجلاء بكل ما لديهم من جهد ، والتأكد من عدم بقاء ما يزيد على أربعة آلاف جندي بريطاني يعملون كخوذة على الساحل إلى هذا الوقت المحدد . ولكن ظهر أن هذا العدد ليس فيه الكفاية لتغطية المواقع الأخيرة . وتقرر الاحتفاظ بالقطاع البريطاني حتى منتصف ليلة اليوم الأول والثاني من شهر يونية ، وتسير عملية الجلاء بالتساوي بين القوات البريطانية والفرنسية .

وهكذا كان الموقف مساء اليوم الحادى والثلاثين من شهر مايو عند ما سلم اللورد جورت قيادته تنفيذاً للأوامر الصادرة إليه إلى اليجور جنرال اليكساندر . ليرجع إلى إنجلترا .

وقد رأيت منعا لسوء التفاهم . ورغبة في الاتصال المباشر أن أطيح إلى باريس في اليوم الحادى والثلاثين من شهر مايو لأحضر اجتماعا لمجلس الحرب الأعلى . وقد رحل معى في نفس الطائرة المستر أتلى والجنرال ديل وايسمان واصطحبت معى كذلك الجنرال سبيرز الذى كان قد وصل إلينا بالطائرة في اليوم السابق بحمل آخر الأنباء من باريس . وكان هذا الصابط اللامع وعضو البرلمان . سديقا منذ أيام الحرب الأولى حيث مر بي في سنة ١٩١٦ كصابط اتصال بين ميليرة الفرنسيين وميمنة البريطانيين عند مرتفع فيمي ، وكان يتحدث الفرنسية بلسان طلق وعلى أذراعه أنواط خمسة جزاحات فكان بشخصيته الفذة خير من يصلح لمعالجة الأمور بين البلدين . وكان الفرنسيون يميلون إلى الاندفاع والحماس والعنف عند ما يشتد النقاش بينهم وبين البريطانيين . في حين يحافظ البريطانيون على جودهم إلى حد الخشونة . ولكن سبيرز كان يرد على كبار الفرنسيين ويقنعهم ببساطة بالغة وبصورة لامثيل لها . ولم نذهب هذه المرة إلى الكي دروسيه بل ذهبنا إلى مكتب السيورينو .

في وزارة الحربية بشارع ساندومنيك وقد وجدنا رينو والریشال بيتان وحدهما .
وكانت هذه أول مرة يظهر فيها بيتان في اجتماعنا كغائب لرئيس الوزراء .

كان يلبس الملابس العادية . وكان يصحبنا سفيرنا ودبل وايمان وسبيرز
وكان مع رينو وبيتان كل من فيجان ودارلان والكابتن دى مارجيرى مدير مكتب
رينو والمسيو بودوان سكرتير وزارة الحرب الفرنسية .

ولعل الفرنسيين لم يكتفوا أكثر دراية منا بحقيقة ما يجري في الجهة الشمالية
لجيوش الشمال . فلما أبلغتهم أن ١٦٥ ألفاً قد تم جلاؤهم إلى الآن من بينهم خمسة عشر
ألف فرنسي ذهبوا . وعند ما لغتوا أنظارنا إلى زيادة عدد البريطانيين الذين تم جلاؤهم
بينت لهم أن السبب في ذلك هو وجود وحدات إدارية بريطانية كبيرة في الجهة الخلفية
استطاعت أن تلوذ بالهواجر وتمود قبل وصول القوات المقاتلة من الجهة وفضلاً
من ذلك فإن الفرنسيين لم يلقوا أوامر حتى الآن بالجلء . وأثرت إلى أن من أهم
الأسباب التي دعتنى إلى الحضور لباريس . التأكد من أن أوامر مماثلة ستصدر
للفرنسيين . وقد رأت حكومة جلالة الملك نظراً للظروف القاسية التي نحن فيها أن
تأمر اللورد جورت بإجلء المحاربين الفعليين وترك الجرحى مكانهم وإذا صحت الآمال
فستستطيع إجلء نحو مائتي ألف رجل من ذوى البأس والأجسام القارحة
وستكون هذه مسجزة ولا شك ولم أكن قبل أربعة أيام أستطيع الزمان على إنقاذ
أكثر من خمسين ألفاً كحد أعلى . وقد تأكد لي ما سينالنا من خسائر باهظة
في المعدات الحربية . وقد أتني رينو على ما يقوم به الأسطول والسلاح الجوي
البريطانيان من أعمال جليلة فشكرته على ذلك ثم انصرفنا إلى الحديث عما يمكن أن
نعمله لإعادة إنشاء القوات البريطانية في فرنسا .

وفي أثناء ذلك كان الأميرال دارلان قد أعد صورة برقية إلى الأميرال ايريال
في دنسرك نصها كما يلي :

١ - عليك أن تعمل على إقامة رأس جسر حول دنشرك
بالفرق التي تعمل تحت أمرك والفرق الأخرى القائمة تحت أمر القائد
البريطاني .

٢ - إذا أيقنت بأنه يتمذر وصول قوات جديدة من خارج رأس
الجسر إلى أماكن الجلاء . فيجب على القوات التي تحتفظ برأس الجسر
أن تنسحب وتستقل البواخر . ولتكن القوات البريطانية هي المقدمة
في الجلاء .

وقد تدخلت في الحال ، وقلت إن القوات البريطانية لن تكون السابقة ويجب أن
يكون الجلاء على قدم المساواة في العدد . وليكن البريطانيون هم المؤخرة . وأخيراً
وافق الفرنسيون على ذلك .

ثم انتقل الحديث إلى إيطاليا . وبينت وجهة نظر بريطانيا . وهي أن إيطاليا إذا
دخلت الحرب فستوجه إليها أشد الضربات . فثمة عدد كبير من الإيطاليين يمارضون
في دخول الحرب . وعلينا أن نمرها ما لها من عواقب وما فيها من قسوة . وانتزحت
أن نبدأ بالضرب من الجو على المثلث الصناعي القائم في شمالها والذي يضم مدن ميلان
وتورين وجنوا وقد وافق رينو على ذلك . وعلى الحلفاء أن يضربوا إيطاليا عاجلاً . وقال
الأميرال دارلان : إنه أعد خطة لضرب مستودعات الزيت الإيطالية المنتشرة على
طول الساحل من الحدود الفرنسية إلى نابولي من البحر والجو .

وقد تم الاتفاق على إجراء المباحثات الفنية اللازمة .

وبعد أن تحدثت عن أهمية بقية أسبانيا بعيداً عن الحرب أخذت أستعرض الموقف
بصفة عامة . فبينت ضرورة احتفاظ الحلفاء بجهة ثالثة ضد سائر أعدائهم . وقلت إن
الولايات المتحدة قد راعيتها الأحداث القائمة . وهي إن لم تدخل الحرب الآن فستدخلها
قريباً . وإذا ما غزا الألمان إنجلترا فإن الولايات المتحدة ستكون أكثر تأزراً . وقد
أكدت أن انكساراً لا يخشى الغزو . وستصده بقوة وعنفي في كل قرية . وفي كل
كوخ . وبعد أن تضمن لنفسها القوات الضرورية التي ترى أنها بحاجة إليها

فستبقيت إلى حليفاتها فرنسا كل ما يزيد على حاجتها من قواتها المسلحة لتسكون تحت إمرةها . وكنت مقتنعا تمام الاقتناع أن علينا أن نغضى في القتال حتى النصر . وإذا انهار أحدهما فعلى الآخر أن يستمر . والحكومة البريطانية على استعداد للقتال من العالم الجديد . إذا ما زلت كارثة بانجلترا . إن ألمانيا إذا انتصرت على إحدى الحليفتين فإنها لن ترحم . وستصبح في عداد الأتباع والأرقاء إلى الأبد . ومن الخير أن تصل حضارة أوروبا الغربية بكل ما حققته من عظمة إلى نهاية عزنة ولكن رائدة من أن تعيش الديمقراطية العظيمتان حياة غير جذرية باسم الحياة .

وقال مستر أتلي بعد ما قدمت أنه مقرر في وجهات نظري ثم قال « إن الشعب البريطاني يعرف الآن الأخطار التي أمامه . ويعرف كل المرفة أن ألمانيا إذا انتصرت فإن كل ما بيننا وبينها سينهار . فالألمان لا يقتلون الأنفس فحسب ولكنهم يقتلون الأفكار كذلك والشعب البريطاني الآن أكثر تصميما على القتال منه في أى وقت آخر » وقد شكرنا السيورينو على ما قلناه . وقال : إنه يعتقد أن الروح المعنوية عند الشعب الألماني ليست بقدر ما حققته من الانتصارات الوقتية التي أحرزها جيشه وأضاف ، إن فرنسا إذا استطاعت أن تحتفظ بالسوم بمساعدة بريطانيا وإذا عجلت الصناعة الأمريكية بسد النقص القائم على عدم التبادل في السلاح فإننا سنكون على ثقة بالنصر . وقال : إنه شاكر لى كل الشكر تلك الإشارة التي أبديتها بأنه إذا انهارت إحدى الحليفتين فلن تتخلى الأخرى عن الكفاح .

ثم انتهى الاجتماع الرسمي ولما غادرنا المائدة وقف البعض من كبار الوجودين إلى نافذة يتجاذبون الحديث في جو يختلف بعض الاختلاف . وكان المريشال بيتان . أبرز هؤلاء . ووقف سبيرز إلى جانبي يساعده في ترأسيته القويمة . ويتحدث . وكان الشاب الفرنسي الكاتب دي مارخيرى قد أشار إلى أن القتال في أفريقيا يجب أن يستمر . ولكن مظهر المريشال بيتان بوجومه وانفراده كان يوحى إلى بأنه يفضل أن يعقد صلحاً منفرداً . وكان لشخصيته وشهرته ومكانته والمباراة التي كان يتحدث بها تأثيراً كافياً للسيطرة على الذين يحقدهم بسحره . . وقد ذكر أحد الفرنسيين ولا أذكر اسمه على التحقيق في عبارة مهذبة إن استمرار النكسات العسكرية قد يرغم

فرنسا في بعض الحالات على تعديل سياستها الخارجية وقد انتهز سبيرز الفرصة ووجه حديثه إلى المارشال بيتان فقال في لغة فرنسية فصيحة « لا شك أنك تفهم يا حضرة المارشال أن هذا يعني فرض حصار على فرنسا » وقال آخر « قد يصبح هذا أمراً لا مناص منه » لكن سبيرز عاد فوجه حديثه إلى بيتان قائلاً « وهذا لا يعني الحصار وحده ، ولكن يعني ضرب جميع الموانئ الواقعة في أيدي الألمان » وقد سررت لصدور هذه الكلمات عن سبيرز وعدت أكرر أنشودتي المألوفة « سنقاتل مهما كانت الأمور وسواء يسقط من يسقط » وانقضت ليلة ثانية من الغارات الخفيفة وقد تركت باريس في الصباح .

وفي اليوم الحادى والثلاثين من شهر مايو والأول من شهر يونيو احتد القتال في دنكيرك ووصل إلى الذروة . ولكن لم يصل إلى النهاية . وقد قل في هذين اليومين ما يربو على ١٣٢ ألفاً من الرجال ، حمل أكثرهم في الزوارق الصغيرة من الشواطئ تحت سيل منهمر من قنابل الطائرات وقذائف المدافع . وقد بذلت قاذفات العدو أقصى جهدها في اليوم الأول من شهر يونيو منذ ساعات الفجر الباكر . وكانت تعد غاراتها في الوقت الذي تعود فيه مقاتلاتنا لتتال نصيبها من الوقود . وأفرق بسبب هذه الغارات عدد كبير من بواخرنا المحتشدة بالغ في مجموعه مجموع ما أفرق في الأسبوع الماضى ، وبلغت خسائرنا في هذا اليوم من قنابل الطائرات والألغام وزوارق الطوربيد وغير ذلك إحدى وثلاثين سفينة غرقت ، وإحدى عشرة أصيبت بأضرار ، وشدت العدو في البر ضغطه على رأس الجسر الذى أقنعه لا اختراق دفاعنا . وصدته المقاومة الباسلة واليائسة التى بذلتها قوات الحلفاء الخلفية .

وانتهت المرحلة الحتامية بمنتهى المهارة والدقة . فقد أصبح فى الإمكان للمرة الأولى وضع الخطط مقدماً بدلاً من الأوضاع الحالية والمرتبلة . وفى فجر اليوم الثانى من شهر يونيو ، كان ثمة نحو أربعة آلاف بريطانى ومعهم سبعة مدافع مضادة للطائرات واثنا عشر مدفعاً مضاداً للدبابات قد ظلوا فى ضواحي دنكيرك مع القوات الفرنسية الكبيرة العدد التى ظلت تحافظ على خط الدفاع عن القطاع . وقد أصبح (١٢ - مذكرات)

الجلاء مبسراً ولكن في ظلام الليل وقرر الأميرال رامس النزول في حشود إلى الميناء تلك الليلة بكل مالدیه من وحدات متوفرة وبالإضافة إلى الزوارق الصغيرة والقوارب وسفن الجر رحلت أربع وأربعون باخرة من انكلترا في تلك الليلة وبينها إحدى عشرة مدمرة وأربع عشرة كاسنة ألغام . واشتركت في العملية كذلك أربعون سقيفة فرنسية وبلجيكية . وقبل منتصف الليل ، كانت قوة المؤخرة البريطانية قد نقلت إلى ظهر البواخر .

لكن هذه لم تكن النهاية في قصة دنكرك . فقد كنا متأهبين لأن ننقل تلك الليلة عدداً أكبر من الفرنسيين الموجودين في الميناء لكن النتيجة كانت أننا عندما اضطررنا لسحب باخرنا عند الفجر وبمضها خال ، كان عدد من الجنود الفرنسيين لا يزال مشتبكاً مع العدو وقد ظلوا على الشواطئ . وعلى الرغم مما حل بالبحارة من نصب وإعياء لما بذلوه من جهد في الأيام السابقة التي قضوها بغير راحة فقد لبوا النداء . وفي اليوم الرابع من شهر يونية أنزل في انكلترا ٢٦١٧٥ جندياً فرنسياً . وكان أكثر من واحد وعشرين ألفاً منهم في سفن بريطانية . وقد استمر في القتال بضعة ألوف في رأس الجسر لسوء الحظ حتى صباح اليوم الرابع من شهر يونية حتى وصل العدو إلى ضواحي المدينة ، وقد كان المدافعون قد وصلوا إلى غاية ما يمكن للطاقة البشرية أن تحتمل ، بعد أن قاتلوا بشجاعة عدة أيام لتفطية انسحاب رفاقهم البريطانيين والفرنسيين وقد كان نصيبهم أن يقضوا السنوات التالية في الأسر . ولولا احتمال قوات المؤخرة في دنكرك وثباتهم فإن من المشكوك فيه أن تتمكن مثل تلك السرعة من بناء جيشنا في بريطانيا والدفاع عن الجزر البريطانية وإحراز النصر النهائي .

وفي الساعة الثانية والدقيقة الثالثة والعشرين من بعد ظهر اليوم الرابع من شهر يونية أعلنت الأيرالية أخيراً انتهاء عملية « دينامو » التي تم فيها نقل ٣٣٨٠٠٠ جندي بريطاني وحليف إلى الجزر البريطانية ، وفي اليوم الرابع من شهر يونية اجتمع البرلمان وقد رأيت أن من واجبي أن أعرض عليه القصة كاملة في جاستين أولاهما علنية والثانية سرية ، ولسرد القصة كاملة كما أوضحتها في كتاب هذا لا أحتاج إلا إلى بعض مقتطفات من الخطاب الذي ألقته في البرلمان . وكان علينا أن نشرح

لا لشعبنا فحسب ، بل للعالم بأسره ، أن عزمنا على القتال إلى النهاية قائم على أسس قوية ووجدية . ولا ينبعث من محاولات يثيرها اليأس ، وكان واجبي كذلك أن أعرض في موضح الأسباب التي تحملني على هذه الثقة :

« يجب علينا أن لا ننظر إلى عملية الإنقاذ التي حققناها على أنها الحقيقة الجوهرية للنصر . فالحروب لا تسكسب بالجلء . وعلى الرغم من هذه الحقيقة فقد كان هناك انتصار في هذا الإنقاذ . وعلينا أن نرمقه ونسجله . . لقد حققه سلاحنا الجوى . وكثير من جنودنا المائدين لم يتح لهم أن يروا سلاحنا الجوى وهو يعمل . وكل ما رأوه هو قاذفات العدو . التي أفلتت من هجمات سلاحنا الوقائية . ولهذا فقد قللوا من قيمة ما حققه سلاحنا وقد سمعت الكثير من اللفظ عن هذا ، لذلك وجدتني مضطرا إلى الخروج عن الموضوع لأبدى هذه الملاحظة التي سألقيها على مسامعكم .

كانت المعركة تجربة عظيمة لقوة السلاحين الجويين البريطانى والألماني . وهل كان للألمان هدف جوى أكثر من أن يجعلوا الجلاء عن تلك الشواطئ أمراً مستحيلاً ؟ . وأن يفرقوا سائر البواخر التي خرجت إلى عرض البحر . والتي بلغ عددها الألوف ؟

وهل من هدف أكبر من هذا لتحقيق مزايا عسكرية ذات أهمية للأغراض الحرب جميعها ؟ لقد حاولوا جهد طاقتهم ، ولكن خابت محاولاتهم . نعم . لقد هزموا في هذه المحاولة وخابت مساعيهم . وتمكننا من إنقاذ الجيش . ودفعوا ثمننا غاليا وصل إلى أربعة أضعاف ما أنزلوه بنا وأثبتت جميع طائراتنا على اختلاف أنواعها أنها تفوق على أنواع الطائرات الألمانية التي واجهتها ، وبرهن طيارونا على تفوقهم . وأستطيع أن أقول — وأنا أرى المزايا التي تتوافر لدينا في حالة الدفاع عن هذه الجزيرة ضد غارات من وراء البحر — إنني أرى في هذه الخناثي أسسا جوهرية تدمر إلى الثقة . وعلى أن أثني كل الثناء على هؤلاء الطيارين من الشباب .

فقد كان الجيش الفرنسى العظيم قد تراجع وناله الدمر لهذا الهجوم الذى تقدمت به ألوف من المدرعات . أليس لنا أن نقول إن قضية الحصار كالمها سيدافع عنها بضعة ألوف من الطيارين بإخلاصهم ؟ وقد قيل أن المهرمات لم يعد المدة لنزو الجزر البريطانية ، وليست هذه الفكرة بمجديدة علينا . فقد فكرنا فيها من قبل وعندما وقف نابليون فى ميناء بولون سنة كاملة بزوارقه وجيشه العظيم قال له أحدهم إذ ذاك « إن هناك أعشاباً أشد مرارة فى انكلترا » ولا شك أن هذه الأعشاب قد زاد عددها منذ عادت قوات الحملة البريطانية من دنكرك إلى بلادنا .

ولاشك أن مسألة الدفاع عن الوطن ضد الغزو « تتأثر تأثراً شديداً إذا تمسكنا بالحقيقة القائلة بأن لدينا الآن قوات عسكرية أكثر وأقوى من قبل » ولكن هذا الوضع لن يدوم . إننا لانكتفى بأن نقوم بحرب دفاعية . فليتنا لحليفنا واجب علينا أن نعيد تنظيم الحملة البريطانية ونشيدها تحت قيادة القائد العام الباسل اللورد جورت وهذا كله سائر فى طريقه ، والآن يجب علينا أن نجعل طرق دفاعنا عن هذه الجزر على درجة كبيرة من التنظيم حتى يستطيع أقل عدد من الرجال أن يضمن أوفى ما يمكن من السلامة ويتوافر لدينا كل مانسقطيع من وسائل للهجوم الذى نرى من الواجب أن يتحقق . هذا ما نفكر فيه الآن وهذا ما يجب أن نعمله .

وقد ختمت خطابى بكلمة كان لها أثرها بعد قليل وفى الوقت المناسب ، فى قرار الولايات المتحدة وهذا هو نصها :

« إننا لن نضعف ولن نستسلم ، على الرغم من أن مساحات كبيرة ودولا كثيرة عريقة وذات شهرة قد وقعت أو قد تنفع فى يد الجستابو وفى قبضة جهاز الحكم النازى الرهيب . بل سنمضى حتى النهاية . وسنحارب فى فرنسا . وفى البحار والمحيطات ، وسنقاتل بثمة متزايدة وقوة نامية فى الجو . وسندافع عن جزيرتنا . مهما يكن الثمن . أجل »

— ٣٦١ —

سنقاتل على السواحل وفي المطارات ومواقع الهبوط وسنحارب في الشوارع
والحقول وفي التلال والسهول . ولن نستسلم . وإذا قدر — وهذا مالا
يخطر ببال لحظة واحدة — لهذه الجزيرة أوجزء كبير منها أن يقع في يد
العدو ويموت جوعا . فإن امبراطوريتنا وراء البحار — يمزها ويحرسها
الأسطول البريطاني — سترفع راية الجهاد إلى أن تتم إرادة الله .
فيبادر العالم الجديد بكل ماله من قوة إلى إنقاذ العالم القديم وتحريره .»

الجرى وراء المغانم

قامت الصداقة بين الشعبين البريطانى والإيطالى . منذ عهد جاريبالدى وكافور . . وقد نالت كل مرحلة اتخذتها إيطاليا لتحرير شمالها من الحكم النمساوى . وكل حركة قامت بها لتحقيق وحدتها واستقلالها عطف الديمقراطية البريطانية في عهد الملكة فيكتوريا وقد كان للنفوذ البريطانى الأثر الأكبر في ضم إيطاليا إلى صفوف الحلفاء في الحرب العالمية الأولى . ولكن رأى العام البريطانى قد انقسم بقيام موسوليني وثبتت أقدام الفاشية باعتبارها حركة معارضة للبلشفية وإن لم يؤثر هذا أى تأثير على الأسس الجوهرية للقائمة على النوايا الحسنة بين الشعبين . وكنا نرى موسوليني يقف دائماً إلى جانب بريطانيا العظمى في معارضتها المتقلبة ومطامع ألمانيا ، حتى جاءت مطامعها في الحبشة فانتجت أسوأ النتائج . وقد شرحت آنفاً تلك القصة المحزنة للسياسة الخاطئة التي انتهجتها حكومتا بولدين وتشمبرلن والتي كان لها أسوأ النتائج من ناحيتين . فقد كسبنا عداوة الديكتاتور الإيطالى ولم نقض على قوته ، وأسأنا إلى عصابة الأمم ولم ننفذ الحبشة . وقد رأينا ما بذله المستر تشمبرلن والمستر صمويل هور والورد هاليفاكس . من الترضية والتهدة لا اكتساب صداقة موسوليني كما رأينا كيف كان اعتماد موسوليني بأن شمس بريطانيا قد غربت وأن مستقبل إيطاليا بمساعدة ألمانيا يقوم على أنقاض الإمبراطورية البريطانية . وقد أدى هذا إلى خلق محور برلين - روما . الذى كان منظوراً أن يؤدي إلى اشتراك إيطاليا في الحرب ضد بريطانيا وفرنسا منذ اللحظة الأولى .

وكان من سداد الرأى عند موسوليني أن يترتب ، حتى يرى تطور الحرب ومصائر ما قبل أن يلقي بنفسه وبوطنه في غمراتها ويلزمهما أن يقفا إلى جانب ألمانيا . ولم يكن هذا الترتيب بنير مائل . فقد كان كل من الفريقين يتقربان لإيطاليا وينظران إلى مصالحها برعاية . فمقدت اتفاقات رابحة وكبست وقتاً ثميناً لاستكمال تسليحها . وهكذا مضت أشهر بؤادر الحرب وهى تسير على هذا النحو . ومن التهكنات الممتعة أن ننظر بعين الغيب إلى ما كانت تناله إيطاليا إذا حافظت على سياسة الحياد والانتظار . لقد كانت الولايات

المتحدة تحت تأثير الأمريكيين من الأصل الإيطالي أن نوعز إلى هتلر بأن أية محاولة لإرغام إيطاليا على الوقوف إلى جانبه سيكون لها أسوأ النتائج، وكانت إيطاليا تستطيع بحفاظتها على الحياد والتمسك به، أن تجنب غمار السلام والازدهار والقوة، وبعد أن يكون هتلر قد وقع في حرب مع روسيا فإن هذه الدولة المحظوظة تستطيع أن تحتفظ برخائها ورغدها إلى أمد لا يحصى ومن ثم يبدأ موسوليني في عهد السلام الذي يلي الحرب أو في سنتها الأخيرة، أكثر الساسة الذين عرفتهم شبه الجزيرة الشمسة سدادا في الرأي ولا شك أن مثل هذا المصير كان خيرا له وأبقى من المصير الذي كان ينتظره في النهاية.

وكانت علاقتي بموسوليني في المرتين اللتين لاقيته فيهما سنة ١٩٢٧ علاقات وثيقة طيبة. وما كان لي أن أثير عليه بريطانيا إلى حد القطيعة في مسألة الحبشة، أو أستثير ضده عصبة الأمم. إلا إذا كنا على استعداد لمحاربته إلى النهاية. وكان كهتلر يدرك حملتي لتسليح بريطانيا وبقدرها على الرغم من غبطته حين يجد الشعب البريطاني ليؤيدني فيها.

وفي غيام هذه الأزمة التي وصلنا إليها بعد الكارثة التي أصابتنا في معركة فرنسا. رأيت أن من واجبي كرئيس للوزراء أن أبذل غاية جهدي لإبقاء إيطاليا بعيداً عن الصراع، وإذا كنت لا أنساق مع الآمال الكاذبة. فإنني على الرغم من ذلك بمثت بعد ستة أيام من تسلي الحكم في بريطانيا، بناء على رغبة مجلس الوزراء، بقاء إلى موسوليني ورد عليه. وقد نشر النداء والرد بعد عامين في ظروف مختلفة كل الاختلاف. وكان النداء في السادس عشر من شهر مايو سنة ١٩٤٠ وهذا نصه:

« يطيب لي وقد توليت زمام الحكم في بريطانيا كرئيس للوزراء ووزير للدفاع أن أعود بهذا كرتي إلى اجتماعنا السابقة في روما. وأرائي أرغب في أن أنقل إليك كرئيس للشعب الإيطالي بعض عبارات حسن النية. في هذا الموقف الذي تتسع فيه الشقة، فهل فات الأوان لحقن الدماء بين الشعبين البريطاني والإيطالي؟ إننا نستطيع أن ننزل ببعضنا إصابات بالغة، وأن يضرب بعضنا بعضاً بغير رحمة، وأن نجعل

البحر الأبيض المتوسط بنزعنا حلقة شديدة الظلام . فإذا كانت هذه بفتك . فليكن لك ما تريد . ولكنني أعلن أنني ما كنت يوما ما عدوا لعظمة إيطاليا . إن من الصعب أن يتمكن الإنسان بنتيجة هذه المارك التي تدور الآن في أوروبا ، ولكنني على ثقة من شيء واحد . وهو أنه مهما جد في أوروبا من أحداث فإن انكسرا ستمضي في طريقها للنهاية ولو بقيت منفردة في الميدان - شأننا من قبل - وإنني لملئ يقين بأن مساعدات الولايات المتحدة لنا ستزداد بل إننا سنجد المعونة من الأمريكيتين » .

« وأرجو أن تكون على ثقة بأنني لم أوجه إليك هذا النداء عن ضعف أو خوف . فهذا النداء سيبقى خالداً في سجل التاريخ . وسينبعث صوتا فوق كل صوت . ينادي بأن لا يشتبك الوارثان الشريكان للحضارتين اللاتينية والمسيحية في قتال . وإني لأرجو أن تصنى إلى هذا الصوت بكل تقدير وإكبار قبل أن تبدأ إشارة الخطر ولن تبدأ منا على الإطلاق » .

وكان رود موسوليني قاسيا . وإن لم يكن خاليا من الصراحة . قال :

« يطيب لي أن أقول ردا على رسالتك التي بمنت بها إلى أنك لاشك على علم بالأسباب الخطيرة التي أدت إلى وقوف بلدينا في معسكرين متضادين . ولا أراني في حاجة إلى الرجوع إلى الماضي . ولكنني أذكرك بالوقف الذي وقفته حكومتك سنة ١٩٣٥ في مسألة فرض العقوبات على إيطاليا في جنيف حيث أرادت أن تضمن لنفسها مكانا صغيراً تحت شمس أفريقيا دون أن تمس ممتلكاتكم ومصالحكم أو ممتلكات غيركم ومصالحهم بضرر من الأضرار . وأريد أن أذكرك كذلك بحالة العبودية التي تجد إيطاليا نفسها راسفها فيها ببجورها ، وإذا كانت حكومتك قد أعلنت الحرب على ألمانيا حفظاً منها على كلمتها وتمهيداتها في استعطاءك أن تدرك أن مثل هذا الشعور ، بالمحافظة على الكلمة والنسك

بالالتزامات التي تفرضها المعاهدة الألمانية الإيطالية اليوم أو غدا مهما
تسكن الأحوال .

ومنذ هذه اللحظة لم نشك على الإطلاق في أن موسوليني سيشارك في الحرب في
الوقت الذي يراه ملائماً . وقد تبين أنه قد صمم على الدخول فيها منذ رأى هزيمة فرنسا
وقد ذكر تشيانو في الثالث عشر من شهر مايو . أنه سيمعلن الحرب على بريطانيا
وفرنسا في مدى شهر واحد . وقد نقل قراره الرسمي بإعلان الحرب في أى وقت
ملائم بعد اليوم الخامس من شهر يونيو إلى رؤساء أركان حرب القوات الإيطالية
وقد تأجل الموعد بإشارة من هتلر إلى اليوم العاشر من شهر يونيو .

* * *

وإذا كان مصير الجيوش الشمالية معلقاً في كفة القدر ، فقد طار إلى انكسار
السيوريانو في اليوم السادس والعشرين من شهر مايو ليمحط معنا في هذا الأمر
الذي لم يعزب قط عن بالنا . فقد كنا نتوقع دخول إيطاليا الحرب في كل لحظة .
وهكذا فإن نيران الحرب ستشتعل في فرنسا من جهة أخرى . وسيزحف عليها من
الجنوب عدو جائع . فهل في مقدورنا أن نفعل شيئاً لرشوة موسوليني ؟ هذا هو
السؤال الذي كنا نتساءل به . وكانت كل تأكيدات رئيس وزراء فرنسا تدل على
خقدان الأمل . لكن ربنا كان واقفاً تحت ضغط شديد في بلاده . وكنا ننظر إلى
حليفنا بكل تقدير ونولى وجهة نظرها كل اعتبار ، لاسيما ونحن نرى أن سلاحها
الحيوى الوحيد ، وهو جيشها ، أخذ يفنار . وقد أبان السيوريانو بجلاء احتمال انسحاب
فرنسا من ميدان القتال . وأكد أنه شخصياً يود أن يستمر في القتال . إلا أنه ربما
حل محله في رئاسة الوزارة شخص آخر يرى غير هذا الرأي .

وكنا في الخامس والعشرين من شهر مايو ، بناء على نداء من فرنسا ، قد أرسلنا
إلى الرئيس روزفلت رسالة نناشده فيها التدخل . وقد أتحنا للرئيس في هذه الرسالة
أن يوضح لإيطاليا باسم بريطانيا وفرنسا . أننا ندرك شكواها بالنسبة إلى أوضاعنا
في البحر الأبيض المتوسط . وأنها على استعداد لدراسة أى طلب معقول تتقدم به .
وأن الحلفاء سيدعون لإيطاليا إلى مؤتمر الصلح . على أن يكون وضعها كأية دولة

من الدول المحاربة وأنا سندعو الرئيس إلى ضمان أى اتفاق نصل إليه . وقد بادر الرئيس بتنفيذ ما طلب إليه . ولكن الديكتاتور الإيطالى رفض قبول دعوته بطريقة حاسمة . فلما اجتمعنا برينو كان أمامنا رد موسوليني . وقد عرض الرئيس الفرنسى اقتراحات أكثر تحديداً ودقة وإذا كان لهذه الاقتراحات أن تزيل شكوى ايطاليا من حالة العبودية التى نشير إليها فى بحرها فإنها ولا شك ستؤثر على أوضاع جبل طارق والسويس معاً . وكانت فرنسا على استعداد لتقديم تساهل مشابه فى تونس .

ولكننا لم نكن نميل إلى قبول هذه الآراء ، ولم يكن هذا ناشئاً عن اعتقادنا بخطئها . أو أن الموقف لا يتطلب دفع ثمن غال لبقاء ايطاليا خارج الحرب . بل لأننى كنت أعتقد أن كل ما نستطيع عرضه على موسوليني سيناله من هتلر فى حالة هزيمتنا . وليس لإنسان أن يساوم فى اللحظة الأخيرة . وإذا أخذنا فى التفاوض لإبقاء الدوتشى فى موقف يكون فيه صديقاً لنا ، فسنعضى على كل ما لدينا من هزيمة على القتال . وقد رأيت زملائى فى موقف يدل على التشدد والإصرار . وكانت أفكارنا ترمى إلى ضرب ميلان وتورين فى اللحظة التى يدخل فيها موسوليني الحرب ليرى مبلغ حبه لهذه الثارات . وقد رأيت رينو الذى لم يكن فى قرارة نفسه معارضاً لهذا رأى راضياً قائماً . ولكن هذا لم يمنع الحكومة الفرنسية بعد بضعة أيام من تقديم عرض مباشر من ناحيتها إلى ايطاليا لإعطائها شيئاً من التنازل الإقليمى . ولكن موسوليني رفضه بأنفة واحتقار . وقال تشيانو للسفير الفرنسى فى اليوم الثالث من شهر يونيه أن « الدوتشى لا يميل إلى استعادة بعض المناطق الفرنسية بطريق المفاوضات السلمية . وقد قرر أن يخوض الحرب ضد فرنسا » وكان هذا ما كنا نتوقعه .

وعلى الرغم من الجهود العظيمة التى بذلتها الولايات المتحدة لم يكن لأى قوة أن تغير الاتجاه الذى ارتكاه موسوليني . وفى الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والأربعين بعد ظهر اليوم العاشر من شهر يونيه ، أبلغ وزير خارجية ايطاليا السفير البريطانى أن ايطاليا تعد نفسها فى حالة حرب مع المملكة المتحدة منذ منتصف تلك الليلة وقد أرسلت الحكومة الإيطالية بلاغاً مائلاً إلى الحكومة الفرنسية . ولما نقل تشيانو مذكرته إلى السيوف فرانسو بونسيه السفير الفرنسى قال وهو يتجه إلى الباب -

« ستجدون أن الألمان سادة قساة » وقد أعلن موسوليني من شرفة قصره في رومه إلى الجماهير المحتشدة « أن إيطاليا في حالة حرب مع فرنسا وبريطانيا » .

ولقد كانت تلك - كما قال تشيانو معتذرا فيما بعد - « فرصة لاتوانى إلا مرة واحدة . كل خمسة آلاف سنة » ولكن هذه الفرص النادرة قد لا تكون طيبة على الدوام . وأخذ الإيطاليون يهاجمون القوات الفرنسية على جبهة الألب وقد أعلنت بريطانيا الحرب على إيطاليا . وصدر الأمر باعتقال خمس بواخر إيطالية ، كانت معطمة في ميناء جبل طارق ، كما صدرت أوامر إلى الأسطول بقطع الطريق على كل ما يرام من البواخر الإيطالية وسوقها إلى أقرب ميناء . وقامت قاذفاننا ليلة الثاني عشر من شهر يونيه ، بعد طيران طويل من انكلترا ، بإلقاء أولى قذائفها على تورين وميلان . وكانت تحمل قذائف خفيفة ، إلا أننا سنحمل قذائف أثقل وزناً عندما نبدأ في استخدام الطائرات الفرنسية في مرسيليا .

ولم تكن فرنسا تستطيع أن تحشد أكثر من ثلاث فرق . بالإضافة إلى ما يعادل ثلاث فرق أخرى من الحاميات الجبلية لمقاومة الهجوم المنتظر الذى تقوم به مجموعة الجيوش الإيطالية الغربية من ممرات الألب وساحل الريفيرا . وكانت هذه الجيوش تبلغ في عددها اثنتين وثلاثين فرقة بقيادة الأمير امبرتو . وقد أخذ السلاح الألماني المدرع ينزل سريعا مع مجرى نهر الرون ، للالتفاف حول مؤخرة الفرنسيين ، ومع ذلك ظلت الوحدات الفرنسية الألبية ثابتة أمام الإيطاليين في سائر مواقع الجبهة الجديدة . حتى بعد سقوط باريس وليون في أيدي الألمان .

ولما اجتمع هتلر وموسوليني في ميونخ في اليوم الثامن عشر من شهر يونيه . لم يكن لدى الدوتشى ما يباهى به كثيرا .

وشرع الإيطاليون في هجوم عام في الحادى والعشرين من يونيه . لكن الراكز الفرنسية في الألب ثبتت لهذا الهجوم . ولم يصل المجهود الرئيسى على الساحل . تجاه نيس أن يحقق شيئا . إذ توقف في مداخل منيتون . وعلى الرغم من أن الجيش الفرنسى على الحدود الجنوبية الشرقية قد استمر محافظاً على مواقعه وشرفه .

إلا أن الزحف الألماني نحو الجنوب جعل من المستحيل عليه أن يستمر في القتال . لهذا كان عقد الهدنة مع ألمانيا مرتبطاً بطلب من إيطاليا لوقف الأعمال الحربية . وكان من المقرر أن يلقى الرئيس روزفلت خطاباً ليلة العاشر من شهر يونيو وحوالي منتصف الليل . أخذت أستمع إلى الخطاب في غرفة العمليات الحربية في الأيرالية . حيث كنت أعمل ومعى بعض الضباط . فلما فاه الرئيس بالعبارة الجارحة التي وجهها لإيطاليا وقال فيها « في هذا اليوم العاشر من شهر يونيو سنة ١٩٤٠ ارتفعت الميد التي تحمل الخنجر وأهوت به على ظهر جارتها » شمرنا جميعاً بالرضا والارتياح . وقتل لنفسى ماذا سيكون من أمر أصوات الايطاليين في الانتخابات القرية القادمة ؟

لقد كنت أعرف في روزفلت سياسياً أمريكياً محفكاً ، وتأكدت أنه لا يخشى شيئاً في سبيل تنفيذ إرادته . إن خطابه ولا شك كان رائعاً ويحمل إلينا بصيصاً من الأمل فلم أذهب إلى فراشى تلك الليلة حتى بادرت برسالة أشكر له فيها عواطفه النبيلة .

وبدأ دور التسابق إلى المغام . ولم يكن موسوليني هو الوحش الجامع الوحيد الذي يبحث عن الفريسة ، فقد جاء الدب يسمى مسرعاً مع ابن آوى . وقد بينت سير العلاقات الانكليزية الروسية حتى وقوع الحرب . وشعور العداء نحو بريطانيا وفرنسا الذي كاد يصل إلى حد قطع العلاقات . والذي ظهر بعد غزو الروس لفنلندا .

وكانت ألمانيا وروسيا تملآن ممأ إلى الحد الذي يبيحه ما بينهما من خلاف متأصل . وكان هتلر وستالين يشتركان في الروح الديكتاتورية التي يتسمان بها . كما كان نظام الحكم مماثلاً إلى حد بعيد في بلديهما . وكثيراً ما كان مولوتوف يقصّل بـسفير ألمانيا الكونت شولبرج في المناسبات الهامة وكان على جانب كبير من الصراحة في ثنائه على السياسة الألمانية وأعمال هتلر العسكرية . فلما هاجم الألمان النرويج

أعلن مولوتوف « أن الحكومة السوفياتية تدرك تماماً ما حدا بألمانيا إلى القيام بهذا العمل فالإنجليز قد ساروا ببيداً في نجاحهم حقوق الدول المحايدة » ثم قال « وإننا ننتهي لألمانيا النصر الكامل في أعمالها الدفاعية » وقد أبلغ هتلر ستالين صباح اليوم العاشر من شهر مايو إنباء الهجوم الخاطف على فرنسا والأراضي المنخفضة المحايدة الذي شرع فيه . وكتب شولنبرج يقول « زرت مولوتوف فأبلغته الخبر وقد استحسنه وأضاف أنه يعرف أن ألمانيا لا بد أن تحمي نفسها ضد الهجوم الانكليزي — الفرنسي ولم يكن يشك مطلقاً في انتصارنا »

وعلى الرغم من أننا لم نكن نعرف شيئاً عن هذه التصريحات إلا بعد انتهاء الحرب . إلا أننا لم نكن مخدوعين أبداً في موقف الروس ومع هذا فقد سرنا على سياسة الترتيب والأناة وحاولنا أن نقيم علاقات ذات طابع سرى مع روسيا . ورأيت من الحكمة . الإفادة من كفايات السير ستافوروكريس بتعيينه سفيراً في موسكو . وقد قبل القيام بهذه المهمة الشاقة ، التي لا أمل فيها ، بسمة سدر ولم نكن ندرك تماماً أن الشيوعيين السوفيت يكرهون السياسة من رجال الجناح اليسارى المقطوف ، أكثر من كراهيتهم المحافظين أو الأحرار . فكما اقترب الإنسان من الشيوعية بميوله القلبية كان أكثر تمرداً لكراهية السوفيت إلا إذا انضم إلى الحزب . وقد وافقت الحكومة السوفياتية على تعيين كريس سفيراً لنا في بلادها وأوضحت الأسباب لشركائها النازيين . وكتب الكونت شولنبرج إلى برلين في التاسع والعشرين من شهر مايو يقول « إن الاتحاد السوفياتي . له اهتمام بالغ بالحصول على المطاط والصفائح من انكلترا مقابل الخشب ، ولا سبيل إلى القلق من بعثة كريس . إذ لا مبرر على الإطلاق للشك في موقف الإخلاص الذي يلقه منا الاتحاد السوفياتي . كما أن السياسة السوفياتية الجديدة بالنسبة لبريطانيا لا تحمل أى أضرار بألمانيا أو بمصالحها الحيوية وليس ثمة ما يدعوا للاعتقاد بأن انتصارات ألمانيا قد أحدثت شيئاً من الفزع أو الخوف في دوائر الحكومة السوفياتية » .

وكان انهيار فرنسا والدمار الذي حل بجيوشها ، فترة الانتظار المتوقعة في الغرب أمورا تدعو ستالين إلى التفكير العميق . ولكن لم يبد ما يدل على أن الروس

بدأوا يدركون خطورة الموقف . وقد بحث شولنبرج في الثامن عشر من شهر يونيه
 «أى عندما تمت هزيمة فرنسا يقول «لقد دعانى مولوتوف إلى مكتبه هذا المساء وأبلغنى
 تنهائى» الحكومة السوفياتية البالنة بالانتصارات الباهرة التى أحرزتها المانيا المسلحة
 . وكان هذا قبل سنة واحدة من التاريخ الذى هاجت فيه هذه القوات نفسها الحكومة
 «السوفياتية بهجوم مفاجئ على روسيا فى كقائب حافلة من الحديد والبار ، ونحن
 نعرف أن مقتل بعد أربعة شهور فحسب من هذا الحديث كان قد صمم على أن يقوم
 بحرب مهلكة ضد السوفيت وبعد الحركات الواسعة السرية لنقل هذه الجيوش ، التى
 هناها السوفيت بانتصارها ، إلى الشرق .

ولم يكن هذا التقدير السيئ ليمنع الحكومة السوفياتية وعلماءها من الشيوعيين
 وشركاءها المنتشرين فى العالم من أن يرفعوا عقيرتهم مطالبين بفتح الجبهة الثانية التى
 لا بد لبريطانيا . وهى الدولة التى سبق للسوفيات أنفسهم أن حكموا عليها بالعبودية
 والخراب . أن تقوم بدور قيادى فيها .

ولكننا على أى حال كذا نقدر الأمور قدرها وندرك المستقبل أكثر مما يدركه
 هؤلاء « الحاسبون » الذين يبنون سياستهم على الأرقام . وقد عرفنا الأخطار التى
 كانوا ممرضين لها وما تتطلبه مصالحهم الحقيقية أكثر مما كانوا يدركون .

وفى اليوم الرابع عشر من شهر يونيه - أى يوم سقوط باريس - بحث موسكو إلى
 ليتوانيا إنذاراً نهائياً تهمها فيه هى والدول البلطيقية الأخرى بالتآمر على الاتحاد السوفياتى
 وتطالبها بتغييرات أساسية فى حكومتها وبيعض التسهل فى بعض الشئون العسكرية
 وفى اليوم الخامس عشر من شهر يونيه ، قام الجيش الأحمر بغزو تلك البلاد وتعرضت
 لاتفيا واستونيا للمعاملة نفسها . فقد فرضت عليها إقامة حكومات موالية للسوفيات
 وقبول حاميات سوفياتية فى أراضيها . وكانت المقاومة غير وافية بطبيعة الحال .
 وسرعان ما نقل رئيس جمهورية لاتفيا إلى روسيا ليظل منفياً فيها . ووصل المستر
 فيشنسكى ليقوم بتعيين حكومة مؤقتة ويشرف على انتخابات جديدة . أما فى استونيا
 فسكان الوضع مماثلاً فقد وصل إليها فى اليوم التاسع عشر من شهر يونيه جدانوف
 ليقوم حكومة مشابهة . وفى اليوم الثالث من شهر أغسطس لم تبق حاجة إلى ادعاء

ضرورة قيام حكومات موالية فقد ضمت دول البلطيق جميعها إلى الاتحاد السوفياتي .
 وبمت الروس بإنذار نهائي إلى رومانيا عن طريق وزيرها في موسكو في الساعة
 المباشرة من مساء اليوم السادس والعشرين من شهر يونيه ، طالبوا فيه بالتخلي عن
 بيسارابيا والجزء الشمالي من مقاطعة بوكوفينا على أن تبعث رومانيا بردها في اليوم
 التالي . وعلى الرغم مما أصاب المانيا من الضرر لهذا العمل الذي يدل على التهجم
 والاندفاع من جهة روسيا ، لما فيه من الأضرار بمصالحها الاقتصادية في رومانيا .
 فقد اضطرت لقبوله بحكم الاتفاق المقود بين ريبنتروب ومولوتوف في أغسطس
 سنة ١٩٣٩ ويعترف لروسيا بمصالحها في جنوب شرق أوروبا . ولهذا فقد أشارت
 المانيا على رومانيه بقبول طلبات روسيا ، وفي السابع والعشرين من شهر يونيه
 انسحبت القوات الرومانية من المقاطعتين المذكورتين وانتقلت أراضيها إلى أيدي
 الروس . ومن ثم توطدت مراكز قوات الاتحاد السوفياتي المسلحة على شواطئ
 البلطيق ومصب نهر الدانوب .

عود إلى فرنسا

من ٤ يونيو إلى ١٢ يونيو

لقد ساد شعور بالارتياح والرضى حين أذيع عدد الذبح تم إنقاذهم من دنسكرك وقد عم هذا الشعور سائر أنحاء الجزر البريطانية بل سائر أرجاء العالم . أجل : كان هناك شعور بالراحة بعد الشدة ، انقلب إلى شعور بالنصر . فإن عودة نحو ربع مليون من أزهره أبنائنا بسلام إلى أرض الوطن علامة فاصلة في طريقنا عبر سنوات من الهزيمة . وقد عاد الجنود لا يحملون شيئاً غير البنادق والسنان وبضع مئات من المدافع الرشاشة . وقد أسرعوا إلى بيوتهم ليقضوا أسبوعاً من الأجازة فيها . ولم تكن فرحتهم بالاجتماع بعائلاتهم تتخفف من رغبتهم الملحة في ملاقة العدو في أول فرصة . وكان الذين أتاحت لهم فرصة الاشتباك مع الألمان موقدين بأنهم إذا أتاحت لهم فرصة متساوية فيستغلّبون على العدو ، وكانت روحهم المعنوية عالية إلى حد بعيد ، وسرعان ما التحقوا بفرقهم وبطارياتهم بقوة ونشاط بالعين .

وكانت في دنسكرك ناحية مظلمة حالكة فقد خسرنا فيها كل ما كان يملكه الجيش . من عتاد . وكان النتائج الأول لمصانعنا يرسل إلى هذه القوات . وقد نقضى عدة أشهر لتعويض ما خسروه حتى ولو نفذنا برامحنا ولم ينجح العدو في تعطيلها .

إلا أن بعض المواطنين قد ثارت في نفوس بعض البارزين من قادة الولايات المتحدة من الناحية الأخرى للمحيط الأطلنطي . وقد أدركوا في الحال أن الغالبية الكبيرة من الجيش البريطاني قد نجت بعد أن فقدت كل عتادها . ولم بدن اليوم الأول من شهر يونيو حتى أصدر الرئيس أوامره إلى وزارتي الحربية والبحرية بأن تقدموا إليه تقريراً عما تستطيعان الاستغناء عنه من الأسلحة لإرسالها إلى بريطانيا . وفرنسا . وكان الجنرال مرشال يقوم على رأس الجيش الأمريكي كرئيس لهيئة أركان الحرب ويجمع إلى امتياز كجندى امتيازاً بسمة الأفق وبعد التصور وقد أصدرت أوامره العاجلة

إلى نائبه وإلى رئيس دائرة المستودعات ليقدمه إليه بيانا كاملا بكل مالى الجيش الأمريكى من احتياطى فى السلاح والدخائر . وفى مدى ثمانية وأربعين ساعة كانت هذه القوائم قد أعدت . ووافق الجنرال مرشال عليها فى اليوم الثالث من شهر يونية . وتشتمل القائمة الأولى منها على ربع مليون بندقية من مجمرع مليونى بندقية صدمت سننى ١٩١٧ و ١٩١٨ وظلت محفوظة فى أوراقها نحو عشرين عاماً وكانت مع كل بندقية منها نحو ٢٥٠ طلقة وكان هناك نحو تسعمائة مدفع ميدان عيار ٧٥ ومعهما أكثر من مليون قذيفة ، وثمانون ألف مدفع رشاش وأنواع أخرى من السلاح . وقد صدر الأمر إلى اليجور جنرال ويحسون بالإشراف على إعداد تصديرها . وأسمرت جميع مخازن الجيش الأمريكى ومستودعاته بحزم المواد الحربية ولم تحل نهاية الأسبوع حتى كانت ستائة سيارة متجهة بمافيها من المتاد الضخم إلى أرضة الجيش فى رايقان فى نيوجرسى . وفى اليوم الحادى عشر من شهر يونية كانت إثلثة عشرة باخرة تجارية بريطانية تدخل إلى الميناء وترسوفيه لتحمل الشحنات على سطحها .

وقد ترتب على هذه التدابير الاستثنائية التى قامت بها الولايات المتحدة أنها أصبحت لا تملك لنفسها من المعدات إلا ما يكفى مليوناً وثمانمائة ألف رجل . وهو أقل رقم يمكن أن يقدر لمشاريع التهيئة للجيش الأمريكى . ولعل من ينظر إلى هذه الأرقام الآن لا يقدرها حق قدرها ، واسكنها كانت فى ذلك الوقت عملا عظيما منبعا عن الإيمان والقيادة ، قامت به الولايات المتحدة وحرمت نفسها هذه المقادير الهائلة من السلاح لترسلها إلى بلاد كان السكثرون يعتدونها قد أصيبت بالهزيمة فى الحرب . ولم تندم الولايات المتحدة على هذا العمل بطبيعة الحال . وقد قننا بنقل هذه الأسلحة الثمينة من الأطنطى بأمان فى شهر يوليه . فوصلت إلينا وهى لازمت إلى عامل مالى اكتسبناه فحسب بل إلى عوامل أخرى لها أهميتها الكبرى فى سائر الاعتبارات التى ينظر إليها العدو والصديق بالنسبة للغزو .

وكان شهر يونية من الأيام الشاة بالنسبة لنا ، لما نواجهه من الحاجة إلى الجهود المزدوجة التى يجب أن تقوم بها فى هذا الموقف المكشوف الذى كنا فيه مدفوعين (١٣ - مذكرات)

بالواجب الذى يقفحتم علينا نحو فرنسا ، وحاجتنا إلى جيش عامل فى أرض الوطن ، وتحصين جزرنا من الدساحية الأخرى . وقد اتبعنا على الرغم من المواقف المتضاربة سياسة ثابتة مرطدة لا تؤثر فيها الاندفاعات الماطفية . وقد ظل ههنا الأول هو إرسال ما يمكننا إرساله من قوات مدربة حسنة الإعداد لإعادة تنظيم الحملة البريطانية فى فرنسا . ثم بذل جهودنا للدفاع عن جزرنا بإعادة تأليف الجيش النظامى وإعداده وتحصين المواقع التى يحتل أن يقيم فيها لئلا يزال الجيوش وتزويد السكان بالسلاح وتنظيمهم . ثم نقل ما نستطيع نقله من قوات من أنحاء الامبراطورية إلى بريطانيا . ولم نكن فى حاجة إلى الرجال بقدر حاجتنا إلى السلاح . وقد استطعنا إنقاذ نحو ثمانين ألف بندقية من القواعد ومراكز الواصلات إلى الجنوب من نهر السين ولم ينتصف شهر يونية حتى كان كل جندى محارب فى الجيش المادى النظامى . قد حمل سلاحاً خاصاً به فى يده ، ولم يكن لدينا من مدفعيه الميدان إلا القليل حتى للجيش النظامى حيث كنا قد أضعنا فى فرنسا جميع مدافعنا الجديدة من عيار خمسة وعشرين رطلاً ولم يبق لدينا غير خمسمائة مدفع و ١٠٣ دبابات متوسطة و ١١٤ دبابة للمشاة و ٢٥٢ دبابة خفيفة . ولم يمر ف أن شعباً عظيماً يقف مثل هذا الموقف من العراء أمام أعدائه .

وقد رأينا أن من واجبنا إرسال المعونة إلى فرنسا قبل كل شئ وكان من المقرر أن تبدأ حركة إرسال الفرقة الثانية والخمسين إلى فرنسا فى اليوم السابع من شهر يونية وفق الأوامر السابقة ، وقد أعدنا تأكيده هذه الأوامر . وصدر الأمر إلى الفرقة القيادية من الجيش الكندى التى كانت قائمة فى انكلترا من أول العام والمسلحة بأحسن السلاح بأن تتوجه إلى بريست . بموافقة الحكومة الكندية على أن تبدأ فى الوصول إلى هنالك فى اليوم الحادى عشر من شهر يونية أى فى نفس الوقت الذى كانت فيه الآمال تنهار . وقد كان إرسال هاتين الفرقتين إلى فرنسا المتداعية فى مثل هذا الموقف الذى كنا نتوقع فيه أن يندفع الألمان لهاجمتنا بشكل ما لديهم من قوة وعنف ، عملاً رائماً لصالحنا إذا ما قورن بالقوات المحدودة جداً التى استطعنا إرسالها إلى فرنسا فى الأشهر الثمانية الأولى من الحرب . وأعجب حين أعود بهذا كرتى

- ٣٧٥ -

إلى هذه الحقائق كيف أنيج لنا أن نرسل التشكيلة العسكرية الوحيدة العاملة التي نملكها إلى فرنسا لو لم نكن ندرك صعوبة عبور المائض بالنسبة للعدو. إلا إذا سيطر على البحر أو الجو أو أحرز المعدات اللازمة لإزالتها إلى البر .

وكان لدينا في فرنسا الفرقة الجبلية الحادية والخمسون القائمة وراء السوم ، التي انسحبت من خط ماجينو . وكانت لا تزال في حالة طيبة . وكانت هناك أيضاً فرقنا المدرعة الأولى والوحيدة - باستثناء كتيبة الدبابات والفئة المساعدة - التي سحبت وأرسات إلى كاليه للمساهمة في عملية الإنقاذ . وقد خسرت هذه الفرقة عدداً من رجالها في محاولة عبور نهر السوم . كجزء من خطة فيجان . ولم يدن اليوم الأول من شهر يونيه حتى كانت هذه الفرقة قد خسرت ثلثي رجالها . وصدرت الأوامر بسحب ما بقى من رجالها إلى ما وراء نهر السين لإعادة تنظيمها . ثم جمع تسعة أفواج من المشاة لا تحمل غير البنادق ، من محطات المواصلات وراء الخطوط في فرنسا ، ولم يكن لديها إلا القليل من الأسلحة المضادة للدبابات . وليس لديها أية معدات ميكانيكية أو أجهزة إشارة .

وقد بدأت المرحلة الأخيرة من معركة فرنسا في اليوم الخامس من شهر يونيه . وقد رأينا آنفاً كيف وفر الألمان أسلحتهم المدرعة ولم يستخدموا الكثير منها في معركة دنسرك . محتفظين بها لهذه المعركة النهائية في فرنسا . وقد تدفق هذا السلاح جميعه نحو الجبهة الفرنسية الضعيفة المتداعية الممتدة من باريس إلى البحر . واست استطيع هنا أن أسجل غير معركة الجناح الساحلي التي لعبنا فيها دوراً . وقد أراد الجيش الفرنسي العاشر الاحتفاظ بخط نهر السوم . ولكن فرقتين مدرعتين المانييتين استقطعتا في اليوم السابع من شهر يونيه الاندفاع نحو روان وبذلك أصبح الجناح الفرنسي الأيسر الذي يضم فرقنا الحادية والخمسين معزولاً عن باقي الجبهة ، وذلك بتطويق الجيش الفرنسي التاسع في مثلث روان - ديب - النهر .

وقد خشينا واشتد قلقنا من أن يتسع هذا الزل فيشمل شبه جزيرة المافز
التي تصبح معزولة عن الجيوش الرئيسية .

لهذا صدرت الأوامر إلى الجنرال فورشون بأن ينسحب في اتجاه روان إذا
لزم الأمر إلا أن هذه الحركة لم تتم بسبب الضعف الذي نال القيادة الفرنسية .
وقد قدمنا بيانات عاجلة متكررة إلى الفرنسيين في هذا الشأن ولكن بدون
جدوى . وكان هذا من سوء التدبير إذ أن الخطر كان ظاهراً منذ ثلاثة أيام على
أقل تقدير .

وفي اليوم العاشر من شهر يونيو تمكنت الفرقة بعد قتال عنيف من التمهقر
مع الجيش الفرنسي التاسع نحو خط سان فاليري للجلاء بطريق البحر . ولكن
الضباب في ليلتي الحادى عشر والثاني عشر من شهر يونيو قد حال دون جلاء
الجنود على ظهر البواخر . ووصل الألمان في صباح الثاني عشر إلى الجانب
الصخري إلى الجنوب . وأصبح الشاطئ واقفاً تحت نيرانهم المباشرة . وارتفعت
الأعلام البيض فوق البلدة ، واستسلم اللواء الفرنسي في الساعة الثانية صباحاً .
وفي الساعة العاشرة والنصف اضطرت البقية الباقية من فرقنا الجبلية إلى الاستسلام .
ووقع ثمانية آلاف جندي بريطاني وأربعة آلاف جندي فرنسي في أسر الفرقة
الألمانية المدربة السابقة التي يقودها الجنرال رومل . ولقد أثارني أن أرى الفرنسيين
لا يسمعون لفرقتنا بالتراجع إلى روان قبل فوات الأوان وإبقائها في مواقعها حتى
أصبح من المتعذر عليها أن تصل إلى المافز أو تتراجع نحو الجنوب مما أضرها
إلى الاستسلام مع قواتهم . ولقد كان مصير الفرقة الجبلية أحسن نوا ، ولكن
الاسكتلنديين قد ثأروا لهذا المصير عندما أعادوا تأليف فرقهم وعبأوا صفوفهم
وتوحدوا مع الفرقة الاسكتلندية التاسعة وساروا جنباً إلى جنب من ميادين
المدين إلى النصر النهائي وراء الراين .

وقد تلقيت في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم الحادى عشر من شهر
يونيو رسالة من رينو . وكان قد أبرق كذلك للرئيس .. لقد بدأت المساة
الفرنسية تسير نحو الكارثة وكنت منذ عدة أيام ألح في اجتماع المجلس الأعلى .

وقد تعذر الآن الاجتماع في باريس . إذ لم تسكن . قد وصلتنا الأنباء بالمعلومات الصحيحة عن الأوضاع فيها . ولا شك أن « رموس رماج » الاندفاع الألماني كانت تقترب منها . ووجدت من التعذر الحصول على موعد من رينو . ولم يكن الوقت وقت التمسك بالرسميات وعلينا أن نعرف ما يريد الفرنسيون أن يعملوه . وقد أبلغني رينو أنه يستطيع أن يستقبلني في بريار بالقرب من أورليان . إذ بدأت العاصمة الرسمية تجلو عن باريس إلى تور ، أما مقر القيادة العامة فقد أُنقل على مقربة من بريار . وقد أصدرت أوامري إلى طائرة « فلامنجو » بالاستعداد في مطار هندون بعد الغداء . وسافرت في الساعة الثانية بعد الظهر . بعد أن كنت قد حصلت على موافقة زملائي الوزراء بالسفر في الجلسة التي عقدناها قبيل الظهر .

وكانت هذه هي رحلتي الرابعة إلى فرنسا . ولما كانت الأوضاع العسكرية هي المسيطرة إذ ذاك ، فقد طلبت إلى المستر إيدن وزير الحربية أن يصطحبني مع الجنرال ديل رئيس أركان حرب الأمبراطورية والجنرال إيسمان وكانت الطائرات الألمانية إذ ذاك تسير أشواطاً بعيدة في سماء المانش مما أرغمنا على القيام بدورة واسعة . ومضت الفلامنجو ومعها اثنتا عشرة طائرة من طائرات « نافاث الهب » وبعد ساعتين وصلنا إلى مطار صغير كان فيه بعض الفرنسيين وأسرع إلينا ضابط فرنسي برتبة الكولونيل في سيارة وتظاهرت في وجهه بالثقة والاطمئنان وابتسمت ابتسامة هريضة كنت أعتقد أنها مناسبة في مثل هذا الوقت ولكن الضابط لم يستجب لابتسامتي فشعرت في الحال بأن الموقف قد ساء كثيراً عما كان في اجتماعنا السابق منذ أسبوع بباريس وسار بنا الكولونيل إلى دار وجدنا بها رينو والمريشال بيتان والجنرال فيجنان وقائد الجوفوين ، وعدداً آخر من الضباط من بينهم الجنرال - الصغير نسيبا - ديمول الذي عين منذ قليل وكيلاً لوزارة الدفاع الوطني . وعلى السكة الحديدية كان قطار القيادة حيث لا ذ عدد من رفاقنا . أما الدار فلم يكن بها إلا جهاز تليفوني واحد وضع في دورة المياه وكان مشغولاً على الدوام لتأخير الاتصالات التليفونية .

ولما حانت الساعة السابعة بدأنا اجتماعنا . ولم يكن بيننا مجال للتأنيب أو تبادل

الألفاظ الدابية فقد كنا جميعاً أمام حقائق مفزعة . وقد دار الحديث بيننا على النحو التالي : لقد طالما حدثت الحكومة الفرنسية على الدفاع عن باريس وأنا أؤكد ما يستغرقه القتال في الشوارع ومن بيت إلى بيت في مدينة كبيرة من قوات الجيش الغازي وذكرت المارشال بيتان ، بذلك اللبالي التي أمضيناها معاً في قطاره في أحد المشارب بعد كارثة الجيش البريطاني الخامس سنة ١٩١٨ حيث استطاع - ولم أذكر المارشال فوش إذ ذاك - من إنقاذ الموقف . وذكركه بكلمة منصو وكيف كان يقول « سأقاتل أمام باريس ، وفي باريس ووزراء باريس » وقد أجب المارشال بيتان بهدوء تام وذهو أنه كان في تلك الأيام يعمل بقوات للمناورة تبلغ نحو ستين فرقة . أما الآن فإنه لا يملك شيئاً منها . وقال « إنه في تلك الأيام كانت في الجبهة ستون فرقة بريطانية . وأصاف إن من المبعث الذي لا يؤدي إلى نتيجة تدمير باريس » .

وأخذ الجنرال رينويست مرض الموقف العسكري بقدر ما وصل إلى علمه بالنسبة لهذه المعركة المذبذبة التي تدور على بعد خمسين ميلاً أو ستين . وقد أثني ثناء بالغاً على شجاعة الجيش الفرنسي . وناشدنا أن نرسل كل ما نستطيع من نجدات وفي مقدمتها أسراب المقاتلات البريطانية التي يجب دفعها إلى المعركة حالاً ثم مضى يقول « هذه لحظة حاسمة ومن الخطأ إبقاء أي سرب من الطائرات في انكلترا » ولكنني بناء على قرار مجلس الوزراء البريطاني الذي اتخذ بحضور مارشال الجو الأعلى داودينج الذي أحضرته في جلسة مجلس الوزراء بصفة خاصة قلت « إن هذه النقطة ليست حاسمة وهذه ليست باللحظة الحاسمة كذلك فستكون اللحظة الحاسمة عندما يوجه هتلمر جميع سلاحه الجوي إلى بريطانيا العظمى . فإذا استطعنا أن نسيطر على الجو وإذا أمكننا أن نستبق البحار على حالها مفتوحة - وهذا ما سنتمكن منه ولا شك - فسنعود ونستعيد لكم كل شيء » فثمة خمسة وعشرون سرباً من الطائرات المقاتلات لا بد أن تظل للدفاع عن بريطانيا مهما يكن الثمن . ونحن مصممون على أن نغضى في الحرب إلى النهاية وإننا واثقون بأننا سنتمكن من ذلك إلى حد بعيد أما التخلي عن هذه الأسراب فعناء القضاء على فرصتنا في الحياة » .

ووصل الجنرال جورج القائد الأعلى للجبهة الشمالية الغربية فجأة وبعد استماعه إلى

خلاصة ما دار من الحديث أكد الصورة التي رسمها فيجيان للجبهة الفرنسية . وقد دعوتهم إلى التمسك بالخطة التي سبق أن أثرت إليها وهي حرب المعصابات . فالجيش الألماني ليس إلى هذا الحد من القوة التي يظهر بها عند وقوع الاصطدام . وإذا قامت الجيوش الفرنسية بسائر فرقها وكتائبها بمحاربة الألمان في الجبهة التي تواجههم بمحيوية وعزيمة فأننا ولا شك نستطيع أن نوقف زحف الألمان ورد على الفرنسيون ببيانات عن الموقف الرهيب على الطرق التي تفيض بأفواج اللاجئين الذين تتابعهم نيران المدافع الرشاشة المنصبة من الطائرات الألمانية . وعن حالة الهزائم الجماعية التي سيطرت على جماهير كبيرة من السكان وعن تداعى الجهاز الحكوى والسلطة العسكرية . وقد ذكر الجنرال فيجيان في لحظة أن الفرنسيين ربما اضطروا إلى طلب الهدنة . وهنا انتفض رينو قائماً ليقول بطريقة خاطئة « هذه مسألة سياسية » وقلت في مجال الرد « إذا كانت فرنسا في محنتها ترى من صالحها أن يستسلم جيشها فعليها أن لا تتردد في ذلك بسببنا على الإطلاق . ومهما يكن قراركم فأننا مصممون على القتال إلى النهاية وإلى النهاية إلى النهاية » فلما قلت إن على الجيش الفرنسي أن يستمر في القتال حيث كان وحيثما استطاع لأضفاف مائة فرقة ألمانية رد الجنرال فيجيان قائلاً « وحتى إذا تم هذا فإن الجيش الألماني سيظل لديه مائة فرقة أخرى لغزوك واحتلال بلادكم فما عساكم تصنعون حينئذ » ورددت عليه بقولي « لست من الخبراء العسكريين ولكن مستشاري الفنيين يرون أن الطريقة المثلى لمعالجة الغزو الألماني المنتظر لبريطانيا هو أن نفرق أكبر عدد من الغزاة في البحر وهم في طريقهم إلينا ، وأن نهشم رؤوس الباقين عندما يصلون زاحمين إلى الشاطئ » فقال فيجيان وقد علت وجهه ابتسامة كئيبة « يجب أن أعترف على أي حال بأن لديكم حاجزاً مقيماً ضد الدبابات » وكانت هذه آخر الكلمات المؤثرة التي سمعتها منه . وكنت طوال هذه المناقشة المؤلة أنوء بحزن شديد لأن بلاداً مثل بريطانيا عدد سكانها نحو ثمانية وأربعين مليوناً لم تستطع أن تساهم مساهمة أكبر مما قدمت في الحرب البرية ضد ألمانيا وأن تسعة أعشار المدبحة وتسمة وتسعين في المائة من الآلام وقعت على فرنسا وعليها وحدها .

ونحننا لنفعل أيدينا لتناول الطعام وقد جرى به إلى مائدة المؤتمر وفي أثناء ذلك تحدثت إلى الجنرال جورج بصفة خاصة . وقد اقترحت أولاً أن يستمر القتال

في كل مكان في الجبهة الداخلية . وتنظيم حرب طويلة للمصائب في الجهات الجبلية ثم الانتقال ثانياً إلى إفريقيا وهي خطوة كنت أظنها علامة انهزام قبل أسبوع ولكن صديق المحترم - الذي على الرغم من أنه يتولى مسئوليات مباشرة - لم يكن مطلق الحرية في يوم من الأيام في قيادة الجيوش الفرنسية . وقد لمست أنه لا يرى أملاً كبيراً في الشروعين اللذين عرضتهما عليه .

وإني لأنحدث ببساطة عن أحداث تلك الأيام . ولقد كانت تلك الأحداث في حينها آلاماً حقيقية تختلج في عقولنا وأرواحنا جميعاً .

وقد جلسنا إلى مائدة العشاء حوالي الساعة العاشرة وكان مجلسي إلى بين رينو . وكان الجنرال ديجول إلى جانبي من الناحية الأخرى . وقدم إلينا حساء ومجة بيض وقهوة ونبيذ خفيف . وكنا حتى تلك اللحظة من المحنة التي نزلت بنا من تلك السكوارث الألمانية لا نزال على حد كبير من الصداقة . ولكن سرعان ما وقع فصل مؤلم . وقد يذكر القارئ ما علفت من الأهمية على وجوب ضرب إيطاليا ضرباً عنيفاً في اللحظة التي تدخل فيها الحرب وإجراء الترتيبات اللازمة لنقل القاذفات البريطانية بعد موافقة الفرنسيين إلى المطارات الواسعة قرب مرسيليا لتضرب تورين وميلان . وكان كل شيء في ذلك الوقت على استعداد تام للضرب . وما كدنا نجلس إلى المائدة حتى جاءت إشارة من ماريشال الجويارات قائد القوات الجوية البريطانية في فرنسا إلى الجنرال إيبان تقول إن السلطات المحلية تمارض في قيام القاذفات البريطانية بالاعارة من مطارات مرسيليا إذ أن الغارات على إيطاليا ستكون نتيجةها توجيه أعمال تأمرية لجنوب فرنسا وليس في وسع البريطانيين صدها ، وقما عن المائدة أنا ورينو وفيجن وإيدن وديل . وقد تحدثنا حديثاً قصيراً بعده وافق رينو على إصدار الأوامر إلى السلطات الفرنسية لمختمصة بالسماح للقاذفات البريطانية بأن تؤدي واجبها ولكن سرعان ما تلقينا إشارة تليفونية أخرى تقول إن أفواجا من الفرنسيين المقيمين بالقرب من المطارات قد جاءوا بمختلف العربات وسيارات النقل ووضعوها في أراضي المطارات حتى أصبح من المستحيل على القاذفات أن تقوم من مراتبها لأداء واجباتها .

ولما غادرنا المائدة وجلسنا للتناول قهوتنا مع بعض البراندى أبلغنى رينو أن المريشال بيتان قال له إن على فرنسا أن تطلب الهدنة . وأنه قد أعد مذكرة بذلك . ويريد منه أن يقرأها واستمر رينو يقول « إنه لم يقدم إلى هذه المذكرة بعد . ويظهر أن الخجل لم يزل مستوليا عليه . ويمنعه من تقديمها » ولا شك أنه خجل كذلك عند تأييد طلب الجنرال فييجان بأن نرسل أسراب طائراتنا الخمسة والمشرين بعد أن قرر في أعماق نفسه أن الأمل قد ضاع . وأن فرنسا يجب عليها أن تسلم . وقد ذهبنا جميعا إلى مضاجعنا . والأمسى يملاً قلوبنا والحزن يخيم على نفوسنا وفي صباح اليوم الرابع عشر دخل الألمان باريس .

وعدنا فمعدنا مؤتمرا في الساعات المبكرة من الصباح . وقد حضره مريشال الجواربات وأعاد رينو طلبه بأن نبحث بخمسة أسراب من المقاتلات إلى فرنسا وقال الجنرال فييجان انه في حاجة شديدة إلى القاذفات النهارية لتتم النقص الذى يراه في الجنود . وأكدت لها أن زيادة المساعدة الجوية ستبحث بحثا شاملا في وزارة الحرب البريطانية بمجرد مودتى إلى لندن مع التصميم على وجهة نظرى بأنه من الخطأ الشديد حرمان المملكة المتحدة وسائل الدفاع التى لا غنى عنها فى أرضها .

وبعد حديث لا طائل وراه . عن هجوم مضاد فى أدنى حوض السين أبدت فى لهجة حاسمة رغبتى فى أن تقوم الحكومة الفرنسية عند حدوث أى تنير فى وضعها بإبلاغ الحكومة البريطانية بصفة عاجلة لنستطيع الحضور فى الحال للالتقاء بهم فى المكان المناسب الذى يختارونه قبل اتخاذ قرارات حاسمة فيما يتعلق بدورهم فى المرحلة الثانية من الحرب .

واستأذنا للسفر من بيتان وفييجان وأركان حرسهما . وكانت هذه آخر مرة اجتمعنا فيها وانفردت جانبا بالأميرال درلان وقلت له « اسمع يادرلان . إياك أن تسمح للألمان بالاستيلاء على الأسطول الفرنسى . فوعدى وعداً قاطما بأنه لن يسمح بذلك على الإطلاق .

ولم يكن لدينا من الوقود الصالح ما يسمح لقيام الطائرات «قاذفات اللهب» بمرافقتنا للحراسة . وكان علينا أن نختار أحد أمرين . إما أن نترث حتى يصل الوقود أو نجازف بالفلا منجيو وحدها . وقد أكدوا لنا أن الضباب يغطي طريقنا من سائر النواحي . وكانت عودتنا عاجلا إلى الوطن أمراً لا مفر منه ومن ثم رحلنا بالفلا منجيو . وطلبنا من القيادة الجوية البريطانية أن ترسل ببعض الطائرات لمقابلتنا وحراستنا فوق المانش .

فلما اقتربنا من الشاطئ كانت الغيوم قد تبددت وصحا الجو . ورأينا على بعد ثمانية آلاف قدم مدينة الهافر تخمنا تلتهمها النيران وكانت سحب الدخان المتصاعدة من الميناء تنجبه نحو الشرق . ولم نر أية طائرة قادمة لحراستنا . وقد لاحظت أن قائد الطائرة يقوم بمشاورات مع مساعديه ثم أسرع الطائرة فهبطت بنا بحركة منقضة إلى ارتفاع مائة قدم أو ما يقرب من ذلك فوق البحر الهادئ حيث لا ترى الطائرات . وسألت عما حدث وعرفت فيما بعد أنهم رأوا طائرتين ألمانيتين تخمنا تطلقان النيران على زوارق الصيد . ولحسن حظنا أن الطائرتين الألمانيةين لم تنظرا علينا ثم استقبلتنا طائرات الحراسة عندما اقتربنا من الشاطئ الإنسكيزي وهبطت بنا الطائرة الأمينة فلامنجيو في مطار هيندون بسلام .

وفي الساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم نقلت إلى وزارة الحرب ما أسفرت عنه بمثنتنا . وشرحت للزملاء موقف الجيوش الفرنسية على ضوء ما نقله إلينا في المؤتمر الجنرال فييجان . فقد قطعت هذه الجيوش ستة أيام في قتال مستمر ليلا ونهارا وأصبحت في موقف اليأس والتهالك ويقوم العدو بهجوم عام يستخدم فيه مائة وعشرين فرقة تعززها الدبابات والمدافع ضد أربعين فرقة فرنسية . وتقف الجيوش الفرنسية الآن عند آخر خط دفاعي تستطيع منه أن تبذل شيئا من المقاومة المنظمة . وقد استطاع الألمان إلى الآن أن يجتازوا هذا الخط من نقطتين أو ثلاث . ولا شك أن الجنرال فييجان لا يرى أملا في الاستمرار في القتال . وهو يرى أن الألمان يقومون بتدمير فرنسا بطريقة منظمة وواجب يدعوهم إلى إنقاذ ما تبقى من البلاد من هذه النهاية . وقرأت الزملاء المذكورة التي أعدها المرشال والتي اطلع عليها رينو ولم يسلمها إليه بعد.

ثم قلت « لا شك أن بيتان رجل خطير إلى حد بعيد في هذه المرحلة ولقد كان من الالهزاميين على الدوام » أما المسيو رينو فيبدو مصمما على القتال ويؤيد الجنرال ديجول الذي حضر المؤتمر ففكرة الاستمرار في حرب العصابات . وقلت : إن الجنرال شاب ممقلىء حيوية وقد خلف في نفسه أثرا حسنا إلى حد بعيد . ويبدو لي أن رينو سيتجه إليه إذا انهار الخط الحالى ليتولى القيادة . وذكرت لهم أن الأميرال درلان قد صمم على ألا يسلم الأسطول الفرنسى إلى العدو . وإذا لزم الأمر فإنه سيبحث به إلى كندا وإن كان يخشى أن يمارضه الساسة في خطته .

وكان قد اتضح أن فرنسا قاربت النهاية في مقاومتها المنظمة وأن فصلا آخر من قصة الحرب يقترب من الخاتمة . وقد يستمر الفرنسيون في الحرب على أية حال . وقد تظهر حكومتان فرنسيتان تقوم إحداها بمقد صلح وتقوم الأخرى بأعداد المقاومة المنظمة من المستعمرات الفرنسية لتتولى الحرب في البحر عن طريق الأسطول الفرنسى وفي فرنسا بطرق العصابات . ولكن من المفعدر علينا أن نتكهن بشيء الآن أن نرسل بعض المعونة إلى فرنسا إلى حد ما . وإن كان لابد لنا أن نركز جهودنا على الدفاع عن جزرنا .

الدفاع الداخلى

وجهاز الهجوم المضاد

سيرى قارىء هذه الصفحات كيف كانت سدل الغيب شديدة تحجب ما وراءها ولا تترك أمام الناظر إلا الحيرة والذهول . والآن وقد انقشمت عنا تلك النجوم أصبح من السهل علينا أن نرى أين كنا شديدى الفزع والجهل بسير الأمور ومتى كنا غير مكترئين أو حائرين مشدوهين . لقد أخذنا على غرة مرتين فى شهرين متتاليين وفوجئنا مفاجأة تامة وأثبت اكتساح النرويج واختراق الجبهة الفرنسية وما تبع ذلك من أحداث ، القوة الهائلة التى اتسمت بها المبادرة الألمانية . ولكن ماذا أعدوا بعد ذلك من خطط وماذا وضعوا من إجراءات إلى آخر ما هنالك ؟ هل ينزلون إلينا من السماء الزرقاء . وقد حملوا أسلحة جديدة .. ووضعوا خططا دقيقة .. واستخدموا قوة طاغية هائلة لينزوا جزيرتنا المزلاء إلى حد بعيد ، الفقيرة إلى المعدات فى موضع أو أكثر من المواضع التى تصلح لزال القوات ؟ أو هل يذهبون إلى إيرلندا فيفزوننا ؟ هذه كلها احتمالات كان من الحماقة أن يبت الانسان فيها برأى معتمد على مطلقه وتفكيره ولقد قال الدكتور جونسون^(١) « إن الرجل إذا عرف أنه سيشنق بعد أسبوعين . فإنه يركز رأسه على ذلك تماما » ولقد كنت واثقا من النصر دائما ومع ذلك فقد كانت الأوضاع تسيرنى . وإنى لأشكر تلك الأوضاع لأنها كانت تترجم آرائى إلى تنفيذ صحيح .

وقد أدرك زملائى أن من الضرورى الحصول على سلطات استثنائية من البرلمان بقانون أعدوه فى الأيام القلائل الماضية . وسيضمن هذا القانون - بعد إقراره - للحكومة السلطة التامة على حياة وحريات وممتلكات سائر رعايا جلالة الملك فى بريطانيا العظمى . وإذا استخدمنا الصيغة القانونية قلنا إن البرلمان سيضمن للحكومة السلطة

(١) من أدباء بريطانيا المعروفين فى القرن السادس عشر .

ال مطلقة . وكان يخول الحكومة « حق إصدار الراسيم بموجب قانون الدفاع — التي تطلب إلى الناس أن يضعوا أنفسهم وخدماتهم وممتلكاتهم تحت تصرف جلالته . حسب ما يراه ضروريا أو نافعا لضمان السلامة العامة ، والدفاع عن المملكة . والمحافظة على الأمن العام واستمرار الحرب التي يشتبك فيها جلالته ، وضمان المؤن والخدمات اللازمة لحياة الشعب » .

وكان من سلطة وزير العمل أن يوجه أى إنسان للقيام بأية خدمة تطلب منه . وكان النظام الذى يعطيه هذه السلطة يشتمل على بند خاص يتعلق بمدالة الأجور . وتقرر تأليف لجان فى المراكز الهامة لتجنييد المبال . وفرض الاشراف على الممتلكات إلى أبعد مدى فى الإمكان . وعلى هذا المنوال تقرر فرض الاشراف على سائر المؤسسات بما فيها المصارف لتكون تحت سيطرة الحكومة وكان من واجب أصحاب الأعمال أن يقدموا دفاتر حساباتهم وأن يدفعوا الضريبة الإضافية التى تبلغ مائة فى المائة . وتقرر إنشاء مجلس للاتاج برئاسة المستر جرينوود وتعيين مدير لدائرة تجنييد المبال .

وفى اليوم الثانى والعشرين من شهر مايو قدم للبرلمان هذا المشروع وقام بتقديمه المستر تشمبرلين والمستر أنلى . وقد قام الأخير باقتراح القراءة الثانية وأقر البرلمان بمجلسية — الموم والوردات — بما فيها من غالبية من المحافظين هذا القانون بالاجماع فى نفس اليوم وصدق عليه التصديق الملكى فى تلك الليلة ليصبح قانونا وكان الشعور السائد فى بريطانيا إذ ذاك ينطبق على قول الشاعر :

« ذلك لأن الرومان كانوا إذا اشتبكت روما فى قتال فى تلك الأيام القديمة المجيدة لا يضمنون عليها بمال أو عقار أو ولد أو زوجة ولا عضو ولا حياة » .

كان الوقت بالنسبة لبريطانيا وقت عمل ولا شك . إلى آخر رمق وإلى آخر ذرة أو طاقة . وكان الشعب متحداً اتحاداً لا مثيل له فبما سبق من التاريخ . وكان الرجال والنساء يعملون وراء الآلات والأجهزة فى المصانع حتى يتداعى الواحد أو الواحدة ويسقط على الأرض من شدة الاعياء فيسحب إلى بيته بالرغم منه ليحل محله شخص آخر قد جاء قبل الموعد المقرر له . وكانت الرغبة الملحة على سائر الرجال والكثيرات

— ٢٨٩ —

من النساء أن يكون لكل إنسان سلاحه . وقد ارتبط أعضاء الوزارة والحكومة بقيود لا تزال نذ كرها بسرور وغبطة . وانعدم شعور الفزع عند الشعب وكان ممثلوه في البرلمان في هذا الموقف جديرين بثقتهم ولم تكن قد عانينا ماعانت فرنسا من شدة مالاقتته . وليس ثمة ما يؤثر على الانكليزي ويحركه أكثر من خطر النزو . وهي حقيقة لم يعرفها الشعب البريطاني منذ أكثر من ألف سنة . وقد ضم الشعب على أحد أمرين : النصر أو الموت . ولم تكن بهم حاجة إلى إثارة مشاعرهم بالخطب الحماسية . ولكنهم كانوا يتهيجون حين يسمعونني أعبّر عن مشاعرهم . وأقدم لهم المبررات عما يقومون بعمله أو يحاولونه . وكان كل ما هناك من خلاف هو وجود من يريدون أن يفعلوا أكثر مما تتحمله الطاقة والذين يرون أن الجاس الجنوني يزيد من طاقة العمل ويرفع من نتائجه .

* * *

وكان علينا بعد إرسال الفرقتين الوحيدتين الكاملتي التسليح اللتين نملكهما إلى فرنسا ، أن نبادر باتخاذ سائر الإجراءات التي في مقدورنا للدفاع عن جزيرتنا ضد الهجوم المباشر . وكان مصير هولندا العاجل ما زال ماثلاً في أذهاننا جليماً . وكان المستر إيدن قد اقترح على وزارة الحرب تشكيل جيش من الحرس الوطني وقد وضع هذا الاقتراح موضع التنفيذ وسرعان ما تألفت جماعات من سائر أنحاء البلاد من كل مدينة ومن كل قرية وكلهم من ذوى القربة والمزينة الصادقة . وقد حملوا المسدسات وبنادق الصيد والمراوات والرماح . وقد انتظمت من هذه الجماعات في وقت عاجل هيئة كبيرة تضم نحو مليون ونصف مليون من الرجال . وقد أخذوا بالتدريب يحملون الأسلحة الصالحة .

وأخشى ما كنت أخشاه هو أن نستطيع الدبابات الألمانية الوصول إلى الشاطئ . ولما كانت تستحوذ على دائماً فكرة إنزال الدبابات إلى شواطئهم ، فقد كان من الطبيعي أن يدور بخلد أنهم يفكرون نفس التفكير بالنسبة إلينا . ولم يكن لدينا العدد الكافي من المدافع المضادة للدبابات أو الذخيرة أو حتى مدافع الميدان . ونستطيع أن نتصور الحالة التي كنا فيها من القصة القالية : لقد قمت بزيارة شواطئنا في خليج القديسة

مرجريت بالقرب من دوفر . وقد أبلغني البريجادير قائد المنطقة أن كتيبته لا تملك إلا ثلاثة مواقع مضادة للدبابات وعليها أن تحمي أربعة أميال أو خمسة من هذا الشاطئ الذي تهدده أكبر الأخطار . وأبلغني أنه لا يملك أكثر من ست طلقات لكل مدفع وسألني متحدياً هل من حقه أن يسمح لرجاله بإطلاق طلقة واحدة من هذه الذخيرة الثمينة لكي يجربوا مدافعهم . فأجبت بأنه ليس لدينا عتاد للتجربة أو التدريب وأن ما لديكم من العتاد يجب أن لا يستخدم إلا في اللحظة الأخيرة ومن مسافة قريبة للغاية .

ويتبين مما تقدم أن الوقت لم يكن يسمح بالسير بالطرق المألوفة وقد قررت رغبة مني في الإسراع في العمل أن أضع تحت إشرافي كوزير للدفاع مؤسسة التجارب التي أقامها الميجور جيفريز في وايتشيرش وكنت منذ سنة ١٩٣٩ قد ارتبطت بعلاقات ذات نفع مع هذا الضابط المبرز الذي برهن بمقايته العبقريّة الخلافة عن نفعه الكبير . كما سنرى فيما بعد ، طوال أيام الحرب . وكان ليندمان على صلة وثيقة به وبني في وقت واحد وقد استخدمت مقلبيهما الجنارين مع سلطتي الشخصية . وكان جيفريز ورجاله يمدون قبلة يمكن أن تلقى من نافذة على دبابة فتلتصق بها فور إطلاقها ولا شك أن تأثير قبلة متفجرة على لوح من الغولاذ يكون له أثره البالغ . وقد انطبعت صورة في أذهاننا عن جنود غلصين ، أو مدنيين يجرون وراء الدبابة ويقذفون القنبلة عليها على الرغم من أن الانفجار سيكافئ الشخص الذي يلقيها حياته . وكان الكثيرون بلا شك على استعداد للقيام بهذا العمل . وفكرت في أن القنبلة إذا ثبتت على قضيب يمكن إطلاقها بقوة أضعف من البندقية وأخيراً رضيت بالقنبلة اللاصقة باعتبارها سلاحاً من أسلحة الطوارئ التي قد تلجأ إليها عند الحاجة . ولم نسعمل هذه القنبلة في بلادنا على الإطلاق . ولكنها أثبتت نجاحها في سوريا حيث كانت الأوضاع البدائية ولا تزال مهيمنة .

* * *

ولأول مرة منذ مائة وخمسين وعشرين سنة يقف عدو شديد الراس أمام مياه الفئال الانكليزي الضيقة وقد أصبح . حتماً علينا أن نعيد تنظيم جيشنا النظامي

التي تألف حديثاً ، وجيشنا الإقليمي الأكثر عدداً والأقل في تدريبه . ونهي
لأنفسنا جهازاً دفاعياً قوياً يقف مستعداً للقاء الغزاة والقضاء عليهم وليس لنا خيار
في ذلك على الإطلاق . ولم يكن أمام الفريقين إلا « الهلاك أو الملاج » وقد استعملنا
أن ندخل الحرس الوطني كذلك في جهاز الدفاع العام . وعرض الجنرال إيرونسайд
القائد العام لقوات الوطن في اليوم الخامس والعشرين من شهر يونيو خطته على
رؤساء أركان حرب القوات المسلحة وقام الخبراء بطبيعة الحال بدراسة هذه الخطط
بكل دقة واهتمام . وقت أنا كذلك بدراستها بعناية بالغة وتمت الموافقة عليها .
وكانت هذه الخطة المظيمة التي وضعت للمستقبل تتألف من ثلاثة أجزاء . أولها ينطوي
على قوة دفاعية من الجنود المقيمين في الخنادق في سائر الجهات التي يحتمل أن ينزل
فيها الأعداء على طول الشاطئ . ويقاقل هؤلاء الجنود من مواقعهم ومعهم قوات
احتياطية متحركة للقيام بهجوم سريع مقابل ، وثانيها إقامة خط من الحواجز المضادة
للدبابات يقوم عليه جنود الحرس الوطني ويعتمد على طول الشاطئ الشرقي من أواسط
إنكلترا إلى جنوبها ومهمته حراسة لندن والمراكز الصناعية المظيمة بسيارات مدرعة
تصل من الطرق الداخلية . أما الثالث فهو القوات الاحتياطية الرئيسية التي تقف
وراء ذلك الخط لتقوم بالهجوم المضاد الرئيسي .

وتدأ دخلت على هذه الخطة مع مضي الأسابيع والشهور تعديلات وإضافات
لا حصر لها . لكن الفكرة لم تتبدل في جوهرها . وأصبح على سائر القوات أن تثبت
في مواقعها إذا هوجت لا في الخطوط فحسب ولكن في سائر المراكز الدفاعية .
وتبادر قوات أخرى بالقضاء على المهاجمين قضاء تاماً : سواء أكانوا قادمين من
البحر أو من الجو . أما الرجال الذين ينقطع انصالحهم بالمساعدة المأجلة ، فلا يشترط
فيهم البقاء في مواقعهم . فقد وضعت الخطط الفعالة لصدد العدو من الخلف وقطع
مواصلاته وتدمير ممداته الحربية تماماً كما فعل الروس . وقد حققوا نتائج عظيمة . حين
غمرهم تدفق الد الألمانى بعد سنة واحدة .

ولا شك أن الكثيرين قد دهشوا حين رأوا هذا النشاط المعجيب في كل ناحية
من النواحي . وكان لابد أن يدركوا ضرورة مد الاسلاك ووضع الأنعام على الشواطئ

وإقامة الحواجز ضد الدبابات في الطرق والمبار وبناء مقاريس الأمتنت المسلح عند تقاطع الطرق والدخول إلى البيوت لوضع أكياس الرمل بالطوابق العليا ، وحفر الخنادق الواسعة ضد الدبابات في ملاعب الجواف والحقول الخصبة والحدائق . نعم لقد أدركوا ذلك وارتضوه ، رغم مايفالهم من جرائه من أضرار . ولكنهم كانوا يتساءلون في بعض الأحيان . إذا كانت هناك خطة موضوعة لهذه الأعمال أم أنها إجراءات فردية يقوم بها أشخاص مندفعون بعامل الحماسة لاستغلال الأوضاع الجديدة التي أتاحتها القانون للتدخل في أملاك المواطنين .

وكانت هناك خطة عامة منظمة تشمل جميع أوجه هذا النشاط فلما تمت هذه الخطة اتخذت القيادة العامة مركزها بلندن . وقد قسمت بريطانيا العظمى وإيرلندا إلى سبع قيادات وقسمت كل قيادة إلى مناطق للفيالق وكل منطقة قسمت إلى قيادات للفرق . وكان المطلوب من القيادات والفيالق والفرق أن تبقى جزءا من مواردها ليكون بمثابة احتياطي متحرك وأن تحتفظ في مراكزها بأقل ما يمكن من هذه الموارد على أن تكون كافية للمحافظة على خطوطها الدفاعية . وقد تم بناء مواقع دفاعية في كل منطقة منفردة من مناطق المؤخرة بطريقة تدريجية . ثم أقيمت وراءها « مناطق الفيالق » ومناطق القيادات .

وقد بلغت الخطوط الدفاعية في عمقها نحو مائة ميل أو زيادة . وأقيمت خلف هذه جميعها الحواجز المانعة للدبابات وتم من جنوب انكلترا متجهة شمالا نحو نوتنجهامشير . وفضلا عن هذا فهناك القوات الاحتياطية النهائية تحت قيادة القائد الأعلى لقوات الوطن ، وبهذه الطريقة وضعتنا سياستنا للمحافظة على أكبر قوات متحركة للاحتياط .

وقد جعلنا كل ميناء من موانينا في الجنوب والشرق موضع دراسة معينة . ولم يكن من المستطاع الهجوم المباشر على ميناء محصن تحصينا كاملا . وعلى الرغم من ذلك فقد حولنا جميع هذه الموانئ إلى مراكز قوية تستطيع أن تصد عن نفسها أى هجوم من البر أو البحر على حد سواء ، ووضعت الحواجز على ألوف الأميال للربعة من بريطانيا لمنع هبوط قوات تحملها الطائرات ، وقد احتاجت مطاراتنا ومحطات الرادار التي نملكها (١٤ - مذكرات)

وكذلك مستودعات وقودنا - وكنا نملك منها حتى صيف سنة ١٩٤٠ ثلثمائة وخمسة وسبعين - إلى دفاع خاص ، بواسطة حاميات خاصة وبواسطة طيارها أنفسهم فكان علينا أن نضمن حمايتها في الليل والنهار من أعمال التدمير والهجوم المفاجيء في ألوف من المواقع المعرضة لهجوم كالجسور ومحطات توليد الكهرباء والمستودعات والمصانع الحيوية وماشا كلها ، وأعدت الخطط لتدمير المنشآت الهامة التي قد يستفيد منها العدو بمجرد وقوعها في يده كما أعد اللزوم لتدمير الطرق الميسرة في الموانئ وتفجير الطرق والداخل الرئيسية وشل حركة مواصلات السيارات والاتصالات التليفونية والبرقية وتحطيم كل نوع من أنواع الأجهزة والآلات قبل وقوعها في يد العدو . وعلى الرغم من كل هذه الاحتياطات السديدة التي ساعدت فيها الدوائر المدنية زميلاتها العسكرية فإننا لم نغفل عن الإطلاق في سياسة التخريب . فقد كان على أبناء انكلترا أن يدافعوا عن جزيرتهم لا أن يخربوها .



وكانت هناك ناحية أخرى . فقد كان أول ما عرفته من « معجزة دنكرك » هو وجوب الإفادة من ذلك الانسحاب بالاستعداد لهجوم مضاد . فإذا كان كل أمر مازال مؤرجحاً فإن استمادة زمام المبادرة تصبح أمراً حيويًا . وكان اليوم الرابع من شهر يونيه بالنسبة لي من الأيام الكثيرة الأعباء . فقد كان على أن أعد الخطاب الطويل الخطير الذي ألقيته في مجلس العموم والذي تحدثت عنه آنفاً . وبعد أن أقيمت عن كاهلي ذلك العبء أسرعت بإعداد المذكرة التي اعتقدت أن من الواجب أن تكون رائدنا في سائر أفكارنا وأعمالنا في هذه اللحظة ، وقد وجهت إلى الجنرال إيسمان للملاحظات الآتية :

« إننا نهتم بمخطر نزول الألمان في انكلترا على الرغم من سيطرتنا على البحار . وحيازتنا على قوة دفاعية قوية من الطائرات القتالة في الجو . وهذا أمر من الحكمة وسداد الرأي أن نغفل فيه وقد أصبح كل شق صخري . وكل شاطئ . وكل ميناء . مصدر قلق وتفكير بالنسبة لنا . فضلاً عن ذلك فإن قوات المظلات تستطيع أن تنزو ليغربول أو إرلندا أو غيرها من الأماكن . وهذه حالة لها قيمتها إذا

كانت ستخلق في نفوسنا الذخيرة والنشاط . ولكن إذا كان في وسع الألمان أن يقوموا بفزونا رغم قوتنا البحرية ، فإن كثيراً من الناس يتساءلون : ولماذا لا نفكر نحن في غزو أراضيهم ؟ إن من واجبتنا ألا نسمح للعقلية الدفاعية الكاملة التي قضت على الفرنسيين بالدمار أن تسيطر على أفكارنا : ومن أهم الأمور عندى أن نرغم الألمان على إبقاء أكبر عدد ممكن من قواتهم للمحافظة على جميع الشواطئ التي احتلوها . ويجب علينا أن نعمل على تنظيم قوات تنولى غزو هذه الشواطئ والإغارة عليها لاسيما ونحن نعرف أن جميع سكانها أصدقاء لنا . ويجب أن تتكون هذه القوات من وحدات كاملة العدد مستقلة في تموينها وتضم كل منها ألف رجل ليرتفع عددها إلى عشرة آلاف عندما يضم بعضها إلى البعض . وفي مقدورنا أن نحتفظ ببيزة المبالغتة باخفاء هدف النارة حتى اللحظة الأخيرة . وقد اتضح لنا ممارأينا في دنسكرك أنه من المستطاع نقل القوات وتحريكها إلى المواقع المختارة عندما يحتاج الأمر إلى ذلك . ومن أهم الأمور أن نرغم الألمان على أن يكونوا دائماً التفكير في السكان الذي قد توجه إليهم فيه الضربة التالية . بدلا من أن يرغمونا هم على إحاطة جزيرتنا بالأسوار المنيعة ، ونعطية سقفها كذلك ، وعلينا أن نبذل ما في وسعنا لنشمل الروح المعنوية والعقلية في النفوس . ونلقى عنا ما نمانيه من ترك الأمور لشبيئة العدو وتمكينه من زمام المبادرة مما هو موضع شكوانا الآن » .

وقد نقل إيمان هذه المذكرة إلى رؤساء أركان الحرب . وقد وافقوا على ما فيها من حيث المبدأ ، وظهرت إرادتهم في الكثير من القرارات التي اتخذوها ، وقد أدت هذه المذكرة إلى سياسة مقررة مع الأيام . وكان تفكيرى في هذا الوقت يدور دائماً حول حرب الدبابات لامن الناحية الدفاعية فحسب بل من الناحية الهجومية كذلك وقد دفعنى هذا التفكير إلى عمل عدد كبير من السفن التي تصلح لإزالة الدبابات وذلك أمر كان يشغل بالى على الدوام ، وله أهميته الكبرى في المستقبل .

لقد كان لي ولع دائماً بالحرب البرمائية ، وكانت تدور بخاطري دائماً فكرة
إنزال الدبابات إلى البر من سفن تعد لذلك بحيث تظهر على شطآن لا تتوقع نزولها
وكنت قبل عشرة أيام من انضمامي إلى وزارة المستر لويد جورج في السابع عشر من شهر
يوليه سنة ١٩١٧ كوزير للتجهيز قد أعددت بغير استعانة بأحد من الخبراء خطة
للاستيلاء على الجزيرتين « بوركوم وسييت » وقد اشتملت هذه الخطة على الفقرات
التالية التي أنشرها الآن للمرة الأولى :

« يجب أن يتم النزول على إحدى الجزيرتين - بوركوم أو سييت
تحت ستار من مدفعية الأسطول مع قنابل الدخان أو الغاز تطلقها سفن
لا تؤثر فيها الطوريريدات البحرية . ويجب أن يسكون مع كل فرقة تنزل
إلى البر نحو مائة من هذه السفن الصغيرة . ويجب كذلك أن تؤمن على
الأقل خمسين قطعة لإنزال الدبابات وتحمل كل منها دابة أو أكثر تكون
صالحة لقطع الأسلاك الشائكة بمقدماتها . ويجسر متحرك نستطيع الدبابات
أن تنزل إلى البر تحت حجب من قوتها النارية وحدها فتتمنع وقف المشاة
عن تأدية أعمالهم والمهجوم على مضائق القلعة وبطارياتها عن طريق
الأسلاك الشائكة . وهذه وسيلة مبتكرة تقضى على نوع من المشاة
التي كنا نجدها حيث كان حتماً علينا أن ننزل مدافع الميدان لقطع
الأسلاك الشائكة .

وقد يكون من الخطأ أن يحس المدو المقاصد التي نريدها فيقوى
حامياتها بإمدادات صالحة لا سيما في جزيرة بوركوم التي يساوره القلق
عليها . لكن هذا النزول يمكن أن يتم تحت درع من الدبابات الخفيفة
المنيرة ضد المدافع الرشاشة ، الكثيرة العدد حتى لا تقتأثر إلى حد ما
بنيران المدفعية الثقيلة ونستطيع الدبابات الوافرة العدد ، لا سيما السريعة
الحركة منها والخفيفة ، أن تعمل في مواقع لم تكن على أهمية للاتاقها .
وأرى أن هذه الأمور لها أهميتها وتستحق الدرس والعناية .

وكنت قد اقترحت بدلا من هذا المشروع في هذه المذكرة إيجاد جزيرة صناعية في المياه الضحلة في « هورن ريف » في الشمال فظلت هذه المذكرة راقدة في محفوظات لجنة الدفاع الامبراطورى أكثر من ربع قرن . ولم أنشرها في كتابى السابق عن « الأزمة المالية » لأنها لم تنفذ . ولعل هذا كان من حسن حظنا . فالآراء التي أوضحتها في هذه المذكرة أصبحت أكثر من حيوية لنا في هذه الحرب لاسيما أن الألمان كانوا يطمعون على ما أكتبه ويدرسونه بعناية ودقة . وقد ظلت الأغراض الخفية لهذه المذكرة منطبعة بذهنى حتى حلت الأزمة الجديدة . فصارت أساسا للعمل الذي أصبح واضحا في الأسطول الضخم من وحدات إنزال الدبابات سنة ١٩٤٣ وفي الأحداث التالية جميعها .

وبدأ العمل بنشاط في إنتاج جميع القطع البحرية التي تقوى إنزال المعدات الحربية الثقيلة وأنشئت في الاميرالية إدارة خاصة للإشراف على هذه الشؤون ولم يحل شهر أكتوبر سنة ١٩٤٠ حتى كانت التجارب تقوم بجهد على سفن إنزال الدبابات . ثم أضيفت إليها التحسينات اللازمة . وقد بدأت عملها بالفعل في الشرق الأوسط فوصلت إلى هنالك في صيف سنة ١٩٤١ . وقد برهنت هذه القطع البحرية على فوائدها المظلمة ، ومن حسن الحظ أننا استطعنا أن نمهد بصناعتها إلى الشركات للإنشائية الهندسية التي لا تعمل في أحواض السفن لذلك فإن إنتاجها لم يؤثر على ما كانت تقوم به أحواض سفننا من بناء القطع البحرية الكبيرة . وبهذه الطريقة استطعنا أن ننفذ البرنامج الواسع الذي رأيناه .

وكانت هذه القطع صالحة لأعمال الإفارة من بحر المانش أو البحر الأبيض المتوسط . ولكنها لم تكن تصلح للسير في رحلات طويلة في المحيطات . ومن ثم كانت حاجتنا إلى قطع كبيرة تستطيع نقل الدبابات والسيارات في الأسفار البحرية الطويلة وإنزالها إلى الشواطئ كالقطع السالفة الذكر وأسدرت تمليات بإنشاء هذه السفن وأطلقنا عليها « سفن نقل الدبابات » وقد نقل التصميم إلى الولايات المتحدة فشاركت في تنفيذه وتحسينه . وأخذ الإنتاج الأمريكى يزداد على نطاق واسع وقد ظهرت هذه الوحدات في سائر أعمالنا البحرية التي جاءت بمد ذلك وبها حلت

مشكلة إزالال السيارات الثقيلة إلى الشواطئ وقد بنيت أكثر من ألف قطعة من هذه القطع البحرية .

وما كدنا نصل إلى نهاية سنة ١٩٤٠ حتى كانت قد تكونت لدينا فكرة صحيحة من الحرب البرمائية وأخذ إنتاج هذه القطع ومعداتنا يزداد يوما بعد يوم . وقد ألفت الوحدات الخاصة بهذه القطع وأخذ العمل في إنشاء معداتنا وتدريب أفرادها يسير بحسب توجيهات إشراف قيادة العمليات المشتركة . وأنشئت مراكز خاصة للتدريب في أرض الوطن وكذلك في الشرق الأوسط وكنا بطبيعة الحال نقدم هذه الأفسار بمالها من أهمية لأصدقائنا الأمريكيين في صورتها النهائية ، ولما جاء الوقت المناسب كان قد تم الجهاز الذي أنبج له أن يلعب دورا كبيرا في سائر خططنا الكبرى .

وكانت جهودنا في هذا المجال سنتي ١٩٤٠ ، ١٩٤١ محدودة بما تفرضه حرب الغواصات من جهود وأغراض . ولم يكن في مقدورنا أن نستغنى عن أكثر من سبعة آلاف رجل لإنتاج هذه القطع التي تستخدم للإزال حتى نهاية سنة ١٩٤٠ ولم تحمل سنة ١٩٤٤ حتى كان أكثر من سبعين ألف رجل في بريطانيا وحدها يشتغلون في هذه المهمة بالإضافة إلى عدد أكبر يعمل في الولايات المتحدة .

أما فيما يتعلق بالأقوال والإشارات التي توحى بأنني كنت أعارض فكرة إزالال واسعة النطاق كذلك التي حدثت في نورماندى سنة ١٩٤٤ فن حق أن أقول : إنني كثيرا ما كنت استثير الهمم . وأدعوا إلى إيجاد هذا الجهاز الضخم والأسطول الذي لا يهزم لإزالال الدبابات والمدركات على الشواطئ . وهو جهاز لم يكن في مقدورنا أن نحقق بغيره شيئا من تلك العمليات الرئيسية التي تمت في السنوات التالية وهذه ما يعترف به الجميع .

مأساة فرنسا

من واجبي أن أبين للأجيال القادمة البحث فيما إذا كنا سنعصى في الحرب على انفراد لم يوضع قط في جدول أعمال وزارة الحرب . فقد كان من المسلم به أننا سنعصى في الحرب ونستمر فيها وقد استولت هذه الفكرة على الجميع من مختلف ممثلي الأحزاب وكنا نرى أن من العبث أن نضيع وقتنا الثمين في هذه المواضيع الأكاديمية الخيالية . ولقد كنا متحمدين جميعاً في النظر إلى المرحلة الجديدة بعين الثقة والإيمان .

وقد كانت زيارتي الأخيرة إلى فرنسا في الثالث عشر من شهر يوليو قبل الانقطاع الطويل الذي استمر أربع سنوات إلا يوماً واحداً وكانت الحكومة الفرنسية قد جأت إلى تور ، وتأزمت الأمور بصورة مستمرة واصطعبت معي هاليفاكس والجنرال إيسمان كما تطوع ماكس بيغر بروك بالذهاب معي وهو رجل جم النشاط عند ما تدلهم الأمور وكانت السماء هذه المرة صافية بيضاء الصفاء وطرنا وسط سرب من « نائبات اللهب » لنقوم بجولة نحو الجنوب فلما حلقنا فوق تور وجدنا المطار قد تعرض لغارات شديدة في الليلة السابقة ولكننا تمكنا جميعاً من الهبوط بسلام رغم أن أرض المطار كانت مليئة بالفجوات . وكانت مظاهر التدهور بادية ، ولم نجد في انتظارنا أحداً بالمطار واستمرنا سيارة قائد المطار واتجهنا إلى المدينة قاصدين دار المحافظة التي قيل إن الحكومة الفرنسية اتخذتها مقراً لها ولم نجد بها أحداً من ذوي الشأن ولكن قيل لنا إن رينو قادم من الريف نحو المدينة .

ولما كانت الساعة قد بلغت الثانية فقد صممت على تناول الغداء وبعد أن تبادلنا الحديث بعض الوقت ، طغنا بالسيارات في شوارع المدينة المزدحمة بسيارات اللاجئين وكان أكثرها محملاً بالأمتعة على ظهورها . وعثرنا على أحد المشارب وكان مغلقاً . وبعد لأي عثرنا على وجبة من الطعام . وقد زارنا الميسر بودوان ونحن تناول الغداء وكان قد اتسع نفوذه في الأيام الأخيرة .

وأخذ يتحدث إلينا بطريقة الحريية الفاعمة عن عجز القوة الفرنسية عن

الاستمرار في المقاومة وأن فرنسا تستطيع أن تواصل الحرب إذا أعلنت الولايات المتحدة الحرب ضد ألمانيا . وسألني رأيي في هذا الموضوع . واكتفيت بأن أددت أمل في دخول أمريكا وهزمتنا الأكيد على الاستمرار . وقد علمت فيما بعد أنه أشاع أنني وافقت على استسلام فرنسا إذا لم تدخل الولايات المتحدة الحرب .

ثم عدنا إلى المحافظة فرجدا السيور مندول وزير الداخلية ينتظرنا ، وقد رأيت سكرتير كلينمنصو الأمين السابق الذي يحمل رسالة حياته ، في أحسن حال من الناحية المئوية ، وكنت أرى الحبيوة والتجدي ممثلين فيه ورأيت أمامه دجاجة شبيهة لم يمسا وكان الإشراف باديا على محيا . وقد حمل في كل يد من يده آلة تليفونية يصدر تعليماته عن طريقها وكان تفكيره منحصرا في الاستمرار في القتال حتى النهاية في فرنسا إلى أن يتسع المجال لنقل أكبر ما يمكن من القوات إلى أفريقيا . وكانت هذه أول مرة أرى فيها هذا الفرنسي الباسل ، وقد أصابت الجمهورية الفرنسية الرابعة ، بعد عودتها ، حيث أعدمت الماجر الذي قتله ولا شك أن ذكره سيبقى موضع الإجلال عند مواطنيه وحلفائهم ، وبعد فترة وجيزة وصل رينو وكان يبدي عليه الوجود ، فقد نقل إليه الجنرال فيجان أن الجيوش الفرنسية قد حل بها الضعف وأن الخطوط الدفاعية اخترقت في عدة مواضع وأن اللاجئين يتدفقون على الطرقات في البلاد وأن بعض وحدات الجيش أصبحت في حالة من الفوضى . وقد رأى القائد الأعلى أن طلب الهدنة أصبح أمرا محتوما قبل أن يفقد ما تبقى من قوى قد يحتاج إليها أشد الحاجة لحفظ النظام ، حتى يعقد الصلح . هذه هي النصيحة العسكرية التي تلقاها رينو وقد أشار إلى أنه سيبعث برسالة أخيرة إلى الرئيس روزفلت يبلغه فيها بدنو ساعة النهاية وأن قضية الحلفاء أصبح مصيرها في يد أمريكا . ولا حل غير ذلك إلا الهدنة والصلح .

ومضى السيور رينو يقول إن مجلس الوزراء في جاسته التي عقدها في اليوم السابق قد كلفه بسؤال بريطانيا عن موقفها — إذا وقع ما لا بد من وقوعه — وهو يدرك تماما التمهيد المقدس بالألا يعقد أحد الحليفين صلحا مع العدو دون الآخر . وكان الجنرال فيجان وغيره قد أعلنوا أن فرنسا قد وضعت بكل شيء في سبيل القضية المشتركة .

ولم يبق لديها شيء تصحى به بعد . ولكنها نجحت في إنهاء العدو إلى حد بعيد .
وإذا لم توافق بريطانيا على أن فرنسا أصبحت في الواقع حائزة من الاستمرار فستكون
صدمة كبرى لفرنسا ، فهل ترى بريطانيا أن فرنسا يجب عليها أن تستمر ففصل بشعبها
إلى حالة لا مفر منها من الفساد والانهيار على يدي عدو لا يرحم ؟ عدو خبير بإفناء
الشعوب وإذلالها ؟ هذا هو السؤال الذي يرى من واجبه أن يطرحه : هل لبريطانيا أن
تدرك الحقائق المرة التي تعانها فرنسا ؟

وقد رأيت أن الرد على هذا السؤال له خطورته . بحيث لا بد من الاختلاء
بزملائي واستشارتهم قبل أن أرد عليه ومن ثم مضيت مع اللورد هاليفاكس واللورد
بيفربروك وبقيّة أعضاء الفريق إلى حديقة مهمة ولكنها مشمسة وتحدثنا معاً في
هذا الموضوع أكثر من نصف ساعة . فلما عدنا أخذت أشرح موقفنا فنحن
لا نستطيع أن نوافق على صلح منفرد مهما تكن الصورة التي يعقد عليها ، ففرنسا من
الحرب هو أن نهزم هتار هزيمة تامة ونحن نشمر بأننا جديرون بذلك . ولسنا في وضع
نستطيع معه أن نحرر فرنسا من التزاماتها ومهما يكن من أمر فلن نوجه إلى فرنسا
أى لوم أو تعذير . وإن كان هذا الموقف يختلف تماماً عن الموافقة على إخلائها من
عهودها . وقد حدثت فرنسا على توجيه نداء جديد أخير إلى روزفلت . وأكدت أننا
سنؤيده بنداء آخر مماثل له من لندن ، ووافق رينو على توجيه هذا النداء ووعدنا
بإثبات حتى تبيين النتيجة .

وقد انتقلنا بعد انتهاء المحادثات مع السيور رينو إلى حجرة مجاورة حيث وجدنا
السيور هريو رئيس مجلس النواب ، والسيور جانيني رئيس مجلس الشيوخ . وتحدث
هذان الوطنيان المخلصان عن وجوب الاستمرار في القتال حتى الموت . وعندما مررنا
بالبهو المكتظ بالناس متجهين إلى الغناء الخارجى . رأيت الجنرال ديجول واقفاً وقد
هلا وجهه الجلود وحيثته وقلت له في صوت خفيض لم يسمعه أحد غيره « إنك رجل
الأنذار » ولكن ظل وجهه جامداً ، وقد رأيت في الغناء أكثر من مائة شخص من
كبار الفرنسيين البارزين في حالة من البؤس الشديد . وجاءونى بآبن كليمنصو فوضعت
يدي في يده وحيثته ، وكانت نافثات الالهب قد حلفت في السماء استمدادا لحراسة

طائرانا . وركبت الطائرة ورحت في نوم عميق طوال رحلتنا السريعة التي مرت دون
أى حادث في طريق العودة إلى الوطن .

وفي الساعة العاشرة والربع من مساء ، نقلت تقريرى الجديد عن رحلتى إلى
مجلس الوزراء .

ووصل السفير الأمريكى كنيدي . ونحن في الجلسة ومعه رد الرئيس روزفلت
على نداء سابق كان دينو قد وجهه إليه في اليوم العاشر من شهر يونية وجاء في الرد
« لقد كان لرسالتك تأثير عميق على نفسى وكنت قد أوضحت لك وللمستر تشرشل
أن هذه الحكومة تبذل كل ما في وسعها لتمتد الحلفاء بما عساها تكون في حاجة
ماسة ، إليه وقد ضاعفنا جهودنا في هذا السبيل ونحن إنا نقوم بهذا إيماناً منا بالمثل
العليا التي يحارب الحلفاء من أجلها .

« وقد تأثر الشعب الأمريكى تأثراً بليماً بالمقاومة العظيمة التي تقوم بها جيوش
بريطانيا وفرنسا » .

« أما أنا فقد تأثرت بصفة خاصة من إعلانك أن فرنسا ستستمر في القتال للدفاع
عن الديمقراطية حتى ولو أدى ذلك إلى الانسحاب البطيء إلى شمال أفريقيا والأطلنطي .
ومن المهم أن نذكر أن الأسطولين البريطانى والفرنسى سيواصلان سيطرتهم
على الأطلنطي وغيره من المحيطات . وأن من الضروري الاستمرار في إرسال المعدات
الحوية من الخارج إلى سائر الجيوش المحاربة » .

« وقد شجعتني ما ذكره تشرشل رئيس الوزراء منذ أيام عن مواصلة مقاومة
الامبراطورية البريطانية ولا شك أن هذا التصميم ينطبق على الامبراطورية الفرنسية
العظيمة . ولا شك أن القوة البحرية لا تزال ، كما يعرف دارلان ، على وعى لدروس التاريخ
وعبره في الشئون العالمية » .

وقد أيقنا أن الرئيس قد سار إلى حد أبعد مما كنا ننتظر منه فقد أتاح لرينو أن
ينشر رسالته المؤرخة في العاشر من شهر يونية بكل ما فيها من معان . وها هو ذا يرد
عليها بهذا الرد القوي الحاسم . وإذا كانت فرنسا ستقرر أن تتحمل آلام الحرب .

إلى مدى أطول ، فإن الولايات المتحدة ستلتزم إلى حد بعيد بدخولها . فقد اشتملت الرسالة على معنيين يصلان إلى حد الاشتراك ، الأول : يتعلق بالوعد الذى قطعه الرئيس بأن يقوم بكل أنواع المساعدات المادية ، والثانى : دعوة إلى الاستمرار فى الحرب حتى ولو أدى الأمر إلى الانسحاب إلى شمال أفريقيا . وأسرعت فأبرقت بشكرنا إلى الرئيس وقد بذلت غاية الجهد فى الثناء على رسالته إلى رينو بأقصى ما يمكنى من التعابير .

وفى اليوم النالى وصلت برقية من الرئيس تعلن عدم تمكنه من الموافقة على إعلان ما تشتمل عليه رسالته إلى رينو . وذكر السفير كينيدى أن الرئيس كان يود نشر رسالته ولكن وزارة الخارجية الأمريكية عارضت فى ذلك إذ رأت أن فى نشرها أشد الأخطار . وعاد الرئيس يثنى على الحكومتين البريطانية والفرنسية وبطرى بسالة جنودها ويؤكد عزمه على إرسال سائر المعدات والمؤن التى فى مقدوره أن يرسلها . ولكنه أعلن عن رغبته فى أن يوضح أن رسالته لا تعنى بأى حال التمهيد بإشراك الولايات المتحدة عسكرياً فى الحرب . فمثل هذا التمهيد بحكم دستورها لا يمكن أن يصدر إلا من سلطة واحدة وهى سلطة الكونجرس . وكان الرئيس يفكر بصفة خاصة فى مصير الأسطول الفرنسى . وقد وافق الكونجرس بناء على رغبته على تخصيص مبالغ خمسين مليون دولار لإمداد اللاجئين الفرنسيين بالغذاء والكساء .

وكانت هذه البرقية ذات أثر مثير وخيب للآمال ، وقد أدر كنا فى مجلس الوزراء البريطانى ما يتعرض له الرئيس من تجاوز سلطاته الدستورية . وما قد يؤدى إليه هذا التجاوز من هزيمة له فى الانتخابات القريبة التى لها أثرها فى مصيرنا . وكنت أنا واثقاً بأن الرئيس مستعد للتضحية بحياته لا بمنصبه فحسب للدفاع عن قضية الحرية المعرضة للأخطار البالغة . ولكن ما الفائدة التى يمكن أن تعود من مثل هذه التضحية ؟ وأستطيع أن أحس بالآلام التى يحتملها عبر الأطلنطى . وإذا كانت المتاعب فى البيت الأبيض تختلف عما نعانىه فى بوردو أو لندن فمستوى الإجهاد الشخصى لا يقل هنالك عنه هنا أو فى بوردو .

وقد حاولت فى ردى أن أمد المستر روزفلت بالحجج التى يستطعم أن يستند إليها فى الرد على الآخرين فيما يتعلق بالأخطار التى تهدد الولايات المتحدة إذا سقطت أوروبا

وفشلت بريطانيا ، فالسألة ليست مسألة عواطف بقدر ما هي مسألة حياة أو موت ، وبمئت أقول « إن مصير الأسطول البريطانى سيكون كما ذكرت من قبل أمراً حاسماً بالنسبة إلى مستقبل الولايات المتحدة إذ أن انضمام هذا الأسطول إلى أساطيل اليابان وفرنسا وإيطاليا وإلى موارد الصناعة الألمانية الضخمة يجعل لهتلر السيطرة البحرية الكبرى . وقد بلجأ إلى الاعتدال فى استخدامه ، ولكنه قد لا يفعل إلا أن هذا الانقلاب فى القوة البحرية قد يحدث قبل أن تستعد الولايات المتحدة لمواجهة . وإذا ما انهارت بلادنا فإن فى مقدور ألمانيا أن تخلق ولايات متحدة أوروبية تحت زعامتها أكثر عدداً وأشد قوة وأحسن تسليحاً من الولايات المتحدة القائمة فى العالم الجديد .



وفى أثناء ذلك كان الوضع قد ساء فى الجبهة الفرنسية فقد ترتب على العمليات الألمانية فى الشمال الغربى من باريس ، تلك العمليات التى ضاعت فيها فرقنا الحادية والخمسون ، وصول العدو إلى مصب نهر السين واللوار . وكان الجيشان الفرنسيان المحطمان السابع والعاشر ، يحاولان إقامة خط دفاعى سريع على الضفاف الجنوبية من النهرين . وقد فصل هذان الجيشان بعضهما عن بعض . ورأت القيادة العامة أن تحاول سد الفجوة بينهما فأصدرت أمراً إلى حامية العاصمة التى تدعى « جيش باريس » بأن تخرج من العاصمة وتقيم حلقة الاتصال بين الجيشين .

وكانت الجيوش — العاشر ، والرابع ، والثانى — فى موقف أحسن صلاحية على ضفاف نهر الراين . فقد اتسع لها المجال ثلاثة أسابيع لتوطيد مراكزها والاستفادة مما جاءها من إمدادات وقد ظلت هذه الجيوش بمبدأ عن الاشتباك طوال أزمة دنكرك والزحف إلى روان ولكن قوتها كانت أقل من أن تقوم بحماية جبهة طولها مائة ميل وكان العدو قد استغل الفترة الماضية ليحشد ضدّها عدداً كبيراً من الفرق ليوجه الضربة القاسية . وفى التاسع من شهر يونيو كان قد قضى الأمر على الرغم من المقاومة الشديدة ، فقد كان الفرنسيون يقاتلون بعناد وإصرار كبيرين وتمكن العدو من إقامة رؤوس جسور إلى جنوب النهر بين سوامسون ورثيل وانسعت سريعاً حتى وصلت إلى نهر اللوار .

ونقلت الفرق المدرعة الألمانية التى لعبت دوراً حاسماً فى الزحف إلى الساحل إلى ميدان المعركة الجديدة . واستطاعت ثمان من هذه الفرق فى اندفاعين عظيمين أن

تحمل الانكسار الفرنسي إلى هزيمة ولم تستطع الجيوش الفرنسية التي حل بها الذعر وسادها الاضطراب أن تثبت أمام هذا الحشد القوى من الأفواج المتفوقة والمعدات والتخطيط الحربى . ولم يمض أربعة أيام حتى كان العدو قد وصل فى السادس عشر من شهر يونيه إلى أورليان ونهر اللوار واندفع إلا كنساح الثانى إلى الشرق نحو ديجون ويزانسون تجاه الحدود السويسرية .

وكانت الفرقتان الباقيتان تقريباً من الجيش العاشر غرب باريس تقهقران إلى جنوب غربى نهر السين نحو النيكون وفى الرابع عشر من شهر يونيه سقطت العاصمة بمد أن تمزقت القوات المدافعة عنها وتآلف من الجيش السابع وجيش باريس وقامت فجوة كبيرة تفصل بين القوات الفرنسية والبريطانية القليلة فى الغرب وبين ما تبقى من الجيش الفرنسى العظيم .

أما خط ماجينو حصن فرنسا ودرعها فإذا حل به ؟

إن الألمان لم يكونوا قد شنوا هجوماً مباشراً عليه حتى الرابع عشر من شهر يونيه . ولكن بعض الوحدات الفرنسية العاملة كانت قد أخذت تنضم إلى جيوش الوسط فى انسحاب عاجل ، وقد خلفت وراءها جنود الحاميات . وكان الوقت قد فات . فى ذلك اليوم اخترق الألمان الخط عند ساربروكن وعبر نهر الراين عند كولمار . وأدركوا القوات المتراجعة وأرغموها على القتال بمد أن فقدوا سبيلهم نحو النجاة . ولم يمض يومان حتى كان الاندفاع الألمانى السابق نحو يزانسون قد قطع عليها طريق الرجعة .

وهكذا تم تطويق أكثر من ربعمائة ألف رجل ولم يمد لهم أمل فى النجاة . وقد حاولت بعض الحاميات المطوقة أن تصمد وتسميت وقد رفضت الاستسلام حتى بمد توقيع الهدنة حيث وافق الضباط الفرنسيون ومعهم الأمر بوقف القتال . وأذعن آخر الحصون للأمر فى الثلاثين من شهر يونيه وقد احتج قائدها بأن خطوطه الدفاعية مازالت سليمة فى سائر المواقع .

وهكذا كانت المعركة الواسعة غير المنظمة قد آذنت بالنهاية فى سائر أنحاء الجبهة

الفرنسية . وليس لى إلا أن أذكر الدور الضئيل الذى استطاع البريطانيون أن يقوموا بمثيله .

لقد أبدى الجنرال بروك مهارة عظيمة فى تراجعهم إلى دنكيرك . وعلى الأخص فى المركة التى نشأت عن استسلام بلجيكا . لذلك رأينا اختياره لقياده القوات البريطانية التى بقيت فى فرنسا وسائر الإمدادات الأخرى إلى أن نرى قواتنا قد وصلت هنالك إلى الحد الذى يدعو إلى إعادة اللورد جورت كقائد عام للجيش ، وكان بروك قد وصل إلى فرنسا وقابل الجنرالين فييجان وجورج فى الرابع عشر من شهر يونية . وصرح لى فييجان بأن القوات الفرنسية لم تعد تستطيع المقاومة المنظمة وقد انقسم الجيش الفرنسى إلى أربع مجموعات ويقف الجيش الماشر إلى طرفها الغربى . وذكر فييجان كذلك أن الحكومتين الحليفتين اتفقتا على إقامة رأس جسر فى شبه جزيرة بريتانى يقوم بحمايته الفرنسيون والبريطانيون مما على خط يمتد إلى الشمال والجنوب من رين . وأمره بعد قواته على خط دفاعى يمر بهذه المدينة واعترض بروك بأن هذا الخط يبلغ طوله مائة وخمسين كيلو مترا ويحتاج إلى خمس عشرة فرقة على الأقل ، فرد عليه فييجان بأن هذه التعليلات أمر يجب أن يدعن له .

والحق أننى اتفقت مع رينو فى الحادى عشر من شهر يونيه فى اجتماع « بريار » على إقامة خط كهذا فى مؤخرة شبه جزيرة بريتانى ، ولكن كل شىء قد تداعى وانهار . ولم تصل هذه الخطة على الرغم من صلاحيتها إلى حد العمل . فالفكرة صحيحة ولكن ليس لها سند من الواقع . ومتى تحطمت الجيوش الفرنسية الرئيسية ، فإن هذا الخط رغم ماله من قيمة لا يمكن استبقاؤه أمام هجوم ألمانى مركز . ولكن استمرار المقاومة هنا بضعة أسابيع سيكون من شأنه المحافظة على الاتصال ببريطانيا . ويتيح لفرنسا أن تقوم بانسحاب واسع النطاق إلى أفريقيا من البقية الباقية التى تمزقت شرمزق ، وإذا كان لمركة فرنسا أن تستمر فإن ذلك لن يكون إلا فى أماكن كشبه جزيرة بريست أو مناطق الفوج الجبلية . أما الحل الآخر لفرنسا فهو

— ٤٠٣ —

الاستسلام . فليس لإنسان إذن أن يستهين بفكرة رأس جسر في بريتانى . وقد كلف هذا الجسر الحلفاء بقيادة إيزنهاور ثمناً غالياً فيما بعد .

وقد قام الجنرال بروك بمد محادثاته مع القادة الفرنسيين ونظره إلى الأوضاع التى كانت تسير من سبى إلى أسوأ كل يوم بإرسال تقرير تليفونى إلى وزارة الحربية وإلى المستر إيدن شخصياً أعلن فيه أن الأوضاع تدعو إلى اليأس التام .

ونصح بوقف إرسال النجيدات البريطانية ، وإجلاء كل ما تبقى من الحملة البريطانية فى فرنسا وعدده مائة وخمسون ألفاً إذ ذاك ، واتصل بى ليلة الرابع عشر من شهر يونيه ، رغم ما يعرفه عنى من عناد ، على خط تليفونى كان لحسن الحظ مفتوحاً تلك الليلة فأبدى تصميمه على رأيه وكان الحديث واضحاً وقد اتفقت بوجهة نظره بعد عشر دقائق وبأن علينا أن نجلو . فأصدرت أمرى عاجلاً وأبجت له التخلص من الأوامر الفرنسية وبدأ شحن المقادير الكبيرة من المعدات والمستودعات والمتاد ، والعدد الكبير من الرجال ، وقد استطاعت الفرقة الكندية التى كانت قد نزلت هناك أن تعود إلى بواخراها وتراجعت الفرقة الثانية والخمسون السهلة إلى بريست ولم يكن معظم رجالها قد اشتركوا فى المعركة ، وفى اليوم الخامس عشر من شهر يونيه تحررت البقية الباقية من قواتنا من أوامر الجيش الفرنسى العاشر وفى اليوم التالى اتجهت نحو شربورج . وفى السابع عشر من شهر يونيه أعلن أن حكومة بيتان طلبت الهدنة وصدرت الأوامر إلى القوات الفرنسية بوقف القتال ولم تبأخ قواتنا . وأصدرنا أوامراً إلى الجنرال بروك بالعودة ومعه أكبر عدد يمكنه من الرجال والمتاد .

ومن ثم عدنا إلى عملية دنكرك ولكن على نطاق واسع . وقد استخدمنا لهذه العملية بواخراً أكبر وأضخم وقد استطاع عشرون ألف جندى بولندى أن يصلوا إلى البحر ، وكانوا قد أبوا الاستسلام فنقلتهم بواخراً إلى بريطانيا ، وكان الألمان يطاردون قواتنا فى سائر الأنحاء وفى صباح اليوم الثامن عشر من شهر يونيه اشتبكوا مع مؤخرتنا فى شبه جزيرة شربورج على بعد عشرة أميال من الميناء . وفى الساعة الرابعة بمد الظهر غادرت الباخرة الأخيرة الميناء ، فى حين وصل العدو بقيادة

الجنرال رومل وفرقة المدرعة السابعة إلى مسافة ثلاثة أميال من الميناء . ولم يقع في يد العدو من رجالنا إلا عدد قليل . واستطعنا أن نجلى ١٣٦ ألف جندي بريطاني وعشرين ألف بولندي مع ثلاثمائة وعشرة مدافع ، من سائر الموانئ الفرنسية .

وكافت النارات الجوية التي شنها الألمان على سفن النقل عفيفة وقد وقع في سان نازير في السابع عشر من شهر يونية حادث مفزع . فتمرضت باخرة الركاب « لانكاستريا » من حمولة عشرين ألف طن وعلى ظهرها خمسة آلاف جندي لغارة شديدة بعد خمس دقائق من إبحارها فقتل من جراء هذه الغارة أكثر من ثلاثة آلاف جندي . وأبقذ الباقيون من الفرق على الرغم من النارات الجوية العنيفة بفضل القطع الصغيرة ، فلما نقلت إلى هذه الأنباء وأنا في حجرة مجلس الوزراء أمرت بعدم نشرها وقلت « إن لدى الصحف ما يكفيها من أنباء الكوارث اليوم » وكنت أنوي نشر الخبر بعد بضعة أيام ولكن أنساني ذلك توالى الحوادث السود ، وقد انقضى وقت طويل قبل نشر خبر هذه الكارثة .

* * *

ولترك الآن ميدان الكوارث العسكرية وتناول ما حل بالوزارة الفرنسية وما يتصل بها من خلال وفوضى .

قام بزيارتي بعد ظهر اليوم السادس عشر من شهر يونية الميسو مونييه والجنرال دييجول . وكان الجنرال باعتباره وكيلًا لوزارة الدفاع أصدر أوامره إلى الباخرة الفرنسية « باستور » التي كانت تحمل أسلحة أمريكية إلى بوردو بأن تنجس إلى إحدى الموانئ البريطانية . وكان مونييه يضع خطة لنقل سائر العقود التي وقعتها فرنسا للحصول على عتاد من أمريكا إلى بريطانيا . إذا وقعت فرنسا صلحاً منفرداً مع ألمانيا . . . وكان يتوقع ذلك ويريد أن يلقذ كل ما يمكن من عتاد هذا العالم . وكان لموقعه هذا أثر كبير الفائدة وانتقل إلى الحديث في موضوع إرسال ما بقي من أسراب طائراتنا المقاتلة للاشتراك في المعركة الأخيرة في فرنسا . وكانت هذه المعركة قد انتهت فعلاً . فقلت له ليس من الممكن تنفيذ ذلك .

ونحن في هذه المرحلة نسمع الجميع المتعاقدة « كالمركة الفاصلة » و « الآن أولاً » و « إذا سقطت فرنسا سقط الجميع معها » إلى ما هنالك من التعبيرات التي

كثير ترددها . ولكن لم يكن في مقدورى أن أصنع شيئاً لتلبية رغباته في هذا المجال . وسمران ما غادر زائراى الفرنسيان مقدميهما وأبجها إلى الباب ودونيه في المقدمة فلما وصلا إلى الباب التفت ديجول ولم يكن قد نطق بكلمة واحدة . وعاد متجهاً نحوى ثم قال باللغة الإنكليزية « إننى أرى أنك على حق » وقد بدا لى أن هذا الرجل في مظهره الساكن الوقور يكن في أطوائه قدرة بالغة على احتمال الآلام . وما زلت أحفظ في نفسى هذا الأثر بالنسبة لهذا الرجل المتمشق القامة والشديد البرود وكنت أقول « هذا هو شرطى فرنسا » وقد عاد بند ظهر ذلك اليوم إلى بوردو في طائرة وضعتها تحت تصرفه . ولكنه لم يبق فيها طويلا .

وظل اجتماع وزارة الحرب ذلك المساء حتى الساعة السادسة مساء وكان جميع الوزراء في حالة من الدواطف النائرة التى اجتاجها سقوط فرنسا . وكان التفكير في حالتنا وما تقتضيه من مواجهة الموقف وحدنا أمراً يحتل المرتبة الثانية . فهناك قبل كل شيء أهمية ما ينتظر للأسطول الفرنسى . وكنا قد أعدنا منذ بضعة أيام مشروعاً لاتحاد فرنسى بريطانى ذى جنسية مشتركة وأجهزة مشتركة للدفاع وسياسة خارجية واقتصادية ومالية واحدة وغير ذلك . وكان مقصدنا — فضلاً عما لهذا المشروع من فوائد عامة — أن نعطي فرصة للسيورينو لاقناع الغالبية من أعضاء وزارته بحقيقة واضحة الانتقال إلى أفريقيا لمواصلة الحرب منها وقد تذرعت بهذه الوثيقة واصطحبت رئيسى حزى الدمال والأحرار والرؤساء الثلاثة لأركان الحرب وعدداً كبيراً من الضباط وكبار الموظفين وبدأت رحلة أخرى إلى فرنسا . وكان في انتظارنا قطار خاص في محطة واترلو وسنصل إلى سوشامبتون في ساعتين ثم نبهر في الليل بسرعة ثلاثين عقدة في الساعة في طراد يصل إلى المكان الذى نلتقى فيه ظهر اليوم السابع عشر من شهر يونيه . واتخذنا أما كننا في الفطار وجاءت زوجتى لتودعنى في المحطة . وقد حدث تأخر غريب في بدء مسير القطار . نتيجة خلل طارىء . ووصل سكرتيرى فجأة من داوننج ستريت وأنفاسه تكاد تنقطع وقد حمل إلى الرسالة التالية من السير رونالد كامبل سفيرنا في بوردو .

« أخذت الأزمة الوزارية في الظهور وأرجو الحصول على معلومات قبل منتصف الليل . وقد أصبح الاجتماع المقرر غداً أمراً مستحيلاً »

وعدت أدراجي إلى داوونج ستريت بقلب مثقل بالهموم كان الفصل الأخير في حياة وزارة رينو كما يلي : لقد انتهت آمال التي بناها رينو على إعلان الاتحاد بين البلدين بصفة عاجلة . ولم يقابل قط عرض سخي بمثل ما قوبل به هذا المرض من جفوة وعداء ، فقد قرأ رئيس الوزراء الفرنسي نص الوثيقة على زملائه الوزراء مرتين وأعلن تأييدها المطلق لها وأنه أعد ترتيبه معي للاجتماع في اليوم التالي لبحث التفاصيل . ولكن الوزراء ومعظمهم من المشاهير وبعضهم من خايمي الذكر ، أعنتهم جميعاً الاتسمات . وأوجعتهم الهزائم . ولم يكن أكثرهم قد تهيأ لقبول مثل هذه النظريات البعيدة المدى . فكان الشهور السائد في مجلس الوزراء رفض هذه الخطوة . وكانت الدهشة والشكوك مسئولية على الغالبية الكبرى وكان المجلس منعقداً في انتظار رد بريطانيا على الطلب الذي أرسلته فرنسا بالإجماع لتحريرها من التزاماتها حتى تستطيع سؤال الألمان عن الشروط التي يطلبونها للهدنة . ومن المحتمل أننا إذا كنا قد أرسلنا ردنا الرسمي أن تقبل غالبية الوزراء شرطنا الأول فيه وهو إرسال الاسطول إلى بريطانيا وتمرض هذه الغالبية إقتراحاً مقبولاً إلى حد ما لتحرير فرنسا من التزاماتها ونسمح لها بمفاوضات العدو مع احتفاظها بحق الانسحاب إلى أفريقيا إذا كانت الشروط الألمانية قاسية لا يمكن قبولها أما الآن فقد سادت الإجراءات المعروفة في الاجتماعات العامة « نقطة قانونية مما كسة ثم لا قانون ولا نظام بل فوضى » .

ولم يستطع بول رينو التغلب على الأثر السيئ الذي خلفه الاقتراح الداعي لإقامة اتحاد فرنسي إنكليزي . وقد رفض دعاة الهزيمة الذين يتزعمهم المريشال بيتان حتى مجرد دراسة المشروع . وقذف بعضهم بعضاً بالاتهامات العنيفة ف قيل إنها « خطة آخر لحظة » ، وقيل إن المشروع « مباغته » وقيل إن « المشروع يضع فرنسا تحت السيطرة والوصاية ، أو يرى إلى اغتصاب إمبراطوريتها » وقال بعضهم إنه يهبط بفرنسا إلى مرتبة الدومنيون . وغضب بعضهم لافتقاره إلى عنصر المساواة . إذ أن المشروع كان في نظرهم سيخلع على الفرنسيين جنسية الإمبراطورية البريطانية لاجنسية

بريطانيا العظمى بينما يصبح الفرنسيون بمقتضاه حاملين الجنسية الفرنسية وكل هذه الزايم باطلة يتكرها نص المشروع .

وقد ظهرت بعد هذه الأقوال حجج أخرى فقد استطاع « فييجان اقناع بيتان بأن بريطانيا قد انتهى أمرها كذلك . وأنها خسرت الحرب . وكانت الدوائر العسكرية العليا قد ذكرت « أن بريطانيا ستقصف رقبته في مدى ثلاثة أسابيع كما تقصف رقبة الدجاجة » ومن ثم وصف بيتان الاتحاد مع بريطانيا بأنه « اتحاد مع جثة هامدة » وقال إيبار نيجارى الذى كان من المشهودين في الحرب الماضية « خير لنا أن نكون إمارة نازية . لأن هذا شيء واضح معروف على الأقل » وقال الشيخ ريبيل وهو صديق شخصي لفييجان « إن هذا المشروع معناه تدمير فرنسا وخضوعها خضوعاً تاماً لبريطانيا » وعبثاً حاول رينو أن يقتنعهم بقوله « إننى أفضل أن أتناون مع حلفائى ولا أتناون مع أعدائى » وقد ذهب هباء قول مندل « أليس لنا أن نكون ضمن الدومينيون البريطانى ولا نكون مقاطعة المانية » ؟

ونحن لا نشك في أنه لم يقترح في مجلس الوزراء الفرنسى على بيان رينو بشأن اقتراحنا . ومن ثم فإن هذا صدمة شخصية للرئيس في فضاله . وقد حدث من نفوذه وسماطانه على مجلس الوزراء . وانتقلت البحوثات بعد ذلك إلى موضوع الهدنة . وطلب الشروط التى يريدها الألمان . وكان المسيو شوتان جامداً وثابتاً ، وكنا قد بعثنا إلى مجلس الوزراء ببرقيتين بشأن الأسطول ولكنهما لم تعرضا عليه . ولم تقم وزارة رينو بدراسة التى تقدمنا به بضرورة إبحار الأسطول إلى الموانئ البريطانية كشرط مبدئى قبل التفاوض مع الألمان فقد كانت الوزارة في موقف انهيار تام . وما كادت الساعة تصل إلى الثامنة من المساء حتى كان رينو قد بلغ منه الأعياء مبلغه بسبب الجهد العقلى والجسمانى الذى تحمله طوال هذه المدة فأرسل استقالته إلى رئيس الجمهورية وأوصى باستدعاء بيتان ، ولا شك أن هذا العمل يجب أن يوصف بالاندفاع والتمجل وكان لا يزال يأمل أن يلتقى بي في اليوم التالى وقد تحدث إلى سبيرز في ذلك فقال له الجنرال أن حكومة جديدة ستكون غداً ولن تستطيع أن تقابل أحداً .

وقد ألف المارشال بيتان حكومة فرنسية جديدة ترى إلى عقد هدنة عاجلة مع

ألمانيا . وكانت جماعة دهامة المزعمة التي هو رأسها قد تألفت مساء السادس عشر وظهرت سورتها حتى إن تأليف الحكومة لم يستغرق وقتاً طويلاً وقد أصبح شوتان ، الذي قال إن طلب شروط الهدنة لا يعنى قبولها ، نائبا لرئيس الوزراء وأصبح الجنرال فيجان ، الذي كان يرى أن كل شيء قد انقضى ، وزيراً للدفاع وعين الأميرال دارلان وزيراً للبحرية والمسيو بودان وزيراً للخارجية .

وكانت العقبة الوحيدة ، كما يبدو ، فيما يتعلق بالمسيو لافال ، فقد كان رأى المارشال بادى' الأسر أن تمرض عليه وزارة العدل ولكنه رفضها بأنفة وازدراء وأصر على أن توكل إليه وزارة الخارجية لينفذ عن طريقها خطته التى تدعو إلى القضاء على التحالف مع انسكرترا والانضمام إلى أوروبا النازية الجديدة كحليف صغير ، وسرعان ما أذن المارشال بيتان لتأثير هذه الشخصية القوية وضمنتها وكان المسيو بودان قد بدأ فى عمله بوزارة الخارجية وإن كان يحس فى أعماق نفسه عجزه عن مزاولة أعمالها وكان رافها عنها كل الرغبة . وقد ثار المسيو شارل رو ، الوكيل الدائم لوزارة الخارجية ، حين علم بتغيير الوضع وأسرع إلى فيجان يطلب تأييده فلما دخل فيجان على المارشال ليتحدث إليه فى هذا الشأن امتنع لافال واشتد غضبه حتى إن المسكرين الكبارين خنما وخضما لإرادته ولكن الوكيل الدائم رفض أن يتعاون فى العمل مع لافال ولما واجه المارشال هذه المشكلة أذن رأى وكيل الوزارة وخرج لافال ينلى حقداً وغيطاً .

كانت الآونة خرجة إلى أقصى الحدود . وبعد أربعة أشهر أى فى الثامن والعشرين من شهر أكتوبر حين أصبح لافال وزيراً للخارجية ، بدأ إدراك جديد للقيم العسكرية فقد أصبحت مقاومة بريطانيا للامان هاملاً أهميته وقد انضح أن الجزيرة البريطانية لا يمكن إسقاطها من الحساب . وعلى أى حال « لم تقصف رقبته كالدجاجة خلال ثلاثة أسابيع » وكانت هذه حقيقة جديدة اغتبط لها الشعب الفرنسى جميعاً .

وقد أذمت بناء على رغبة مجلس الوزراء البيان التالى :

« إن الأنباء الواردة من فرنسا جد سيئة وإنى لأحس أشد الألم لهذه الكارثة التى أصابت الشعب الفرنسى الباسل ولكن هذا لا يغير شيئاً

من مواطننا الحقيقية نحو فرنسا أو اعتقادنا بأن عبقرية فرنسا ستتناق
ثانياً . وماحل بفرنسا لا يمكن أن يغير من أعمالنا وأهدافنا وقد أصبحنا
الآن المدافعين الوحيدين الذين يحملون السلاح للدفاع عن القضية العالمية .
وسنبذل غاية جهدنا لتكون جديرين بهذا الشرف العظيم . وسندافع
عن جزيرتنا ووطننا وسنمضى مع الإمبراطورية البريطانية في الجهاد
بمزمنة لا تعرف الملل حتى تزول لثة هتلر من جبين الإنسانية ونحن
لانسك في أن كل شيء سيسير على ما يرام آخر الأمر »

وقد أبلغت زملائي أنني تلقيت من الجنرال سبيرز إشارة تليفونية يباغنى فيها
مجزئه عن أداء دور نافع في الجهاز الجديد الذى ظهر في بوردو . وقد حدثني عن
قلقه الشديد على سلامة الجنرال ديجول — وقد رأى أن سير الأمور على النحو الذى
تسير عليه ديجول من الخير لديجول أن يغادر فرنسا . وقد وافقت على خطة ملائمة
لتحقيق هذه الغاية . وهكذا مضى ديجول صباح ذلك اليوم ، أى السابع عشر ، إلى
مكتبه في بوردو وارتبط ببعض المواهيد بمد الظهور للتعمية ثم انقل في سيارة مع
صديقه الجنرال سبيرز إلى المار ليودعه في سفره . وقد صافح ديجول صديقه في المطار
قبل أن يستقل الطائرة وعندما بدأت حركتها قفز إليها ديجول وأغلق من خلفه الباب
وقد حلفت الطائرة في الجو ورجال الشرطة الفرنسية ينظرون إليها دهشة ، لقد ذهب
ديجول وحمل معه في تلك الطائرة الصغيرة شرف فرنسا .

الأميرال دارلان

والأسطول وهران

كان السؤال الذى يتردد على الألسن لدى الأعداء والأصدقاء بعد سقوط فرنسا هو « هل ستستسلم بريطانيا كذلك ؟ » أما بالنسبة للحقائق التى تجرى بها الأحداث فقد بينت باسم حكومة جلالته مرارا عزمنا على مواصلة القتال وحدنا . وكنت فى الرابع من شهر يونيه بعد دنسكرك قد عبرت عن موقفنا « بأننا سنستمر فى الحرب سنوات إذا لزم الأمر ووحيدين إذا اضطررنا إلى ذلك » . ولم أكن قد أقيمت هذه الكلمة اعتباطا وبغير قصد . وقد تلقى السفير الفرنسى بلندن أمرا من حكومته ليستوضحنى ما أعنيه بهذا القول وكان الرد « إننى أعنى ما قلت تماما » وإنى لأستطيع أن أذكر مجلس العموم بالخطاب الذى ألقيته فيه فى اليوم الثامن عشر من شهر يونيه فدأة انهيار بورديو : فقد قدمت للمجلس إذ ذاك « بعض بيانات عن الأسس العملية الصحيحة التى بنينا عليها تصميمنا الذى لا يتزعزع على الاستمرار فى الحرب » وكنت أستطيع أن أؤكد للبرلمان أن المستشارين المحترفين الذين يمثلون القوات العسكرية الثلاث على ثقة تامة بآمال كبيرة معقولة فى النصر النهائى ، وأبلغت المجلس أننا تلقينا من رؤساء دول الدومنيون الأربع رسائل يؤيدون فيها قرارنا بشأن الاستمرار فى الحرب . ويعلنون وقوفهم إلى صفوفنا ومشاركتنا فى الأقدار التى تتاح لنا ثم قلت . « وإنى إذ أضع هذه الموازنة الخفيفة وأنظر إلى الاخطار بين لا تتخذ ، أرى أمامى أسبابا عديدة تدعونا إلى اليقظة وبذل الجهد ولكنى لا أرى ما يدعو إلى الفزع والرهبة » ومضيت أقوال « إن الحلفاء لم يروا غير الكوارث والفشل المتتابع » وكنا نتساءل على الدوام « كيف نستطيع أن نكسب الحرب ؟ » ولم يكن فى مقدور أى إنسان أن يجيب عن هذا السؤال بدقة حتى النهاية ، حيث اندحر عدونا الخفيف بفته ، وبصورة لم تكن فى الحسبان ، ففوجئنا بالنصر حتى إننا لم ندر به لجمالنا وأهملتنا جانبا .

وانتهيت إلى قولي ، وما دعاه الجنرال فيجيان معركة فرنسا قد انتهى . وإلى
لأنترقب أن تبدأ في القريب معركة بريطانيا وعلى هذه المعركة يتوقف بقاء الحضارة
المسيحية . نعم تتوقف عليها حياة الشعب البريطاني ودوام وجودنا ومنظمتنا
وأمبراطوريتنا . ولا شك أن العدو سيصب علينا نغمته . ويستخدم ضدنا أقصى
قوته ، فتهل يعرف جيداً أن عليه أن يهلكنا في هذه الجزيرة ، وإن لم يفعل فانه ولا شك
سينخرس الحرب . وإذا استطعنا أن نثبت أمامه فإن أوروبا جميعاً ستتحرر وسيطلق
العالم نحو آفاق تشرق عليها أشعة الشمس . أما إذا فشلنا فإن العالم جميعه سينحدر إلى
هاوية عصر جديد مظلم أشد فساداً بالأنوار الزائفة المسلطة عليه من عالم الظلمات
والضلال .

لهذا كان حتماً علينا أن نفي بواجباتنا وأن نقوم بدورنا على أكمل وجه . فإذا
كان للأمبراطورية البريطانية وشعوبها أن تعيش ألف سنة أخرى ظل الناس يقولون
لقد كانت هذه أجل ساعاتهم .

وقد صحت كل هذه الأقوال التي تتردد كثيراً على الألسنة في أوقات النصر .
ولكنها كانت إذ ذاك مجرد أقوال . ولا شك أن الأجانب ، الذين لا يعرفون طبيعة
الشعب البريطاني عندما تغلي دماؤه ، حين سمعوا أقوالاً ظنوا أنني أكابر فيها تهينة
جو صالح لمفاوضات الصلح .

لقد كان هتلر في أشد الحاجة لإنهاء الحرب في الغرب . وهذا أمر واضح . ويستطيع
أن يعرض الشروط المغربية ، وكان يبدو لي ولزملائي الذين يفهمون نواذعه بعد أن
أمعنوا في دراستها أنه إن يوافق على بقاء بريطانيا وأمبراطوريتها وأسطولها على
حالتها . وأنه ينظر إلى عقد صلح يطلق يده في الشرق . وهذا ما كان يحلم به منذ زمن
بعيد حيث تحدث إلى به ريبنتروب سنة ١٩٣٧ ولم نكن قد أنزلنا به خسائر بالغة
حتى ذلك الوقت وكل ما صنعناه هو أننا أضغنا هزيمتنا إلى انتصاره على فرنسا .
فليس بمستغرب إذا كان الحاسبون الماهرون في كثير من البلاد — جهلاً منهم بشئون
الحرب في البحار ، وبحقيقة القوة التي يتمتع بها سلاحنا الجوي واغتراراً بقوة ألمانيا
وارهابها — قد اقتنعوا بالأوهام . وليس من السهل على أية حكومة ، ديمقراطية كانت
أودكتاتورية ، ولا على أي شعب يحارب بمفرده وقد تحلى عنه الجميع أن يصرا على تحمل
فظائع الحرب وأن يرفضوا بألفة فرصة تناح للسلام ولديهما عشرات الأعداء وتستطيع
حكومة أخرى أن تأتي وتقول: إن دعاء الحرب قد فشلوا بعد أن أتيحت لهم فرصتهم

وإن أمريكا ما زالت في عزلتها ولسنا ملزمين بأى شئ. نحو الاتحاد السوفيتى . لماذا لا تقف بريطانيا في صفوف المتفرجين مع اليابان والولايات المتحدة والسويد وأسبانيا . ترقب الأمور عن كثب وتهز طرفاً للنضال المدمر الذى سيبدأ بين الإمبراطوريتين النازية والشيوعية . ولا شك أن الأجيال القادمة سوف تجد من الصعب عليها أن تصدق أن الأفكار التى ألمت بطرف منها لم تجد طريقاً لها إلى جدول أعمال مجلس الوزراء ، لأنها ليست جذيرة بالبحث . ولم تبحث حتى فى أحاديثنا الخاصة . وليس للشكوك أن تزول إلا بالأعمال وستأتى الأعمال فيما بعد .

لقد أصبح الأميرال دارلان في الأيام الأخيرة شخصية لها أهميتها الكبرى في بوردو . وكانت اتصالاته به على جانب من البساطة وفي نطاق الرسميات . وكنت أجله لجهده في إعادة خلق الأسطول الفرنسى ، الذى أصبح بعد عشر سنوات من تولى قيادته ، أعظم شأناً من أى وقت منذ تاريخ الثورة الفرنسية . فلما زار أنكلترا في ديسمبر سنة ١٩٣٩ أقنأه في الأميرالية حفلة عشاء تكريماً له . وكان يرد على النخب الذى شربناه ويذكرنا بأن أحد أجداده قتل في معركة الطرف الأغر . لهذا كنت أعده من العناصر الفرنسية الطيبة .

وقد برهنت المحادثات البحرية بين فرنسا وأنكلترا في شهر يناير على أن الأميرال كان غيوراً على المركز الذى يحترقه من أى وزير سياسى للبحرية . وأعتقد أن هذه الغيرة قد خلقت لديه عقدة كان لها أثرها في الدور الذى قام به فيما بعد .

ولقد حضر دارلان أكثر المؤتمرات والاجتماعات التى أشرت إليها . فلما اقترب موعد انتهاء المقاومة الفرنسية أكادى أكثر من مرة أن الأسطول الفرنسى لا يقع في أيدي الألمان مهما تكن الأمور . وقد حلت في بوردو الآونة الدقيقة في حياة هذا الأميرال التقدير الطموح المعتبر بنفسه ، وقد أصبحت سلطته مطلقة على الأسطول من الناحية العملية . وكان له أن يصدر الأوامر للأسطول بالتوجه إلى الموانئ البريطانية أو الأمريكية أو موانئ المستعمرات الفرنسية فيذعن لأمره . وقد صرح في صباح اليوم السابع عشر من شهر يونيو ، بعد سقوط حكومة رينو ، للجنرال جورج بأنه سيصدر هذا القرار . وقابله جورج بعد ظهو اليوم التالى وسأله عما حدث فأجاب دارلان بأنه غير رآيه فلما سأله الجنرال عن السبب قال ببساطة ، لأنني أصبحت الآن وزيراً للبحرية ، ولم يكن يقصد بطبيعة الحال أن يقول إنه غير

رأيه ليصبح وزيراً للبحرية ، ولكنه أراد أن يقول إن وصوله إلى وزارة البحرية جعله يغير رأيه .

ما أخس تفكير الإنسان حين يبحث عن مصالحه الشخصية !! وليس لدينا من مثل أصدق من دارلان . لقد كان في مقدور هذا الرجل أن يبحر على ظهر أية باخرة إلى ميناء خارج فرنسا ليسيطر على جميع مصالح فرنسا الخارجة عن النفوذ الألماني . ولم يكن في هذه الحال سيأتي كالجنرال دييجول وأيس في حوزته إلا قلب يابى الخنوع . لقد كان في مقدوره أن يحمل معه خارج النفوذ الألماني رابع أسطول في العالم . وقد حمل له ضباطه وجنوده خالص الولاء ولو صنع هذا لكان دارلان رأس المقاومة الفرنسية . وفي حوزته سلاح قوى جبار تفتح له أمريكا وبريطانيا الأرصفة والأحواض مريحة وتقدم إليه كل ما يحتاج من وقود وعناد وموّن وصيانة . وكان لأرصدة الذهب الفرنسية في الولايات المتحدة أن تؤمن له ، بعد الاعتراف به ، مورداً غير قليل للإشراف على الإمبراطورية الفرنسية التي لا شك أنها كانت ستأف حوله . لقد كانت السلطة والشهرة اللتان كان يحلم بهما بين يديه . ولكنه بدلا من ذلك قضى عامين من القلق في حكومة معيبة . وقد ألقى في نهاية ما مضى مؤلماً . وأودع قبراً لا يحمله أحد وعى اسمه من سجل الأسطول الفرنسي والأمة الفرنسية بعد أن خدمهما خدمة صالحة مدى طويلا .

وهناك نقطة أخرى يحسن ذكرها هنا . فقد زعم دارلان في رسالة بعث بها إلى في اليوم الرابع من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٢ ، أى قبل ثلاثة أسابيع من اغتياله بقسوة وعنّف ، يقول إنه حافظ على وعده لي ، وقد نشرت هذه الرسالة في مكان آخر من هذا الكتاب . ولا ينكر أحد أن الألمان لم يستطيعوا أن يضعوا أيديهم على أية سفينة بحرية فرنسية ليستخدموها ضدنا في الحرب . ولم يكن هذا نتيجة الاجراءات التي قام بها دارلان لحسب . وإن كان قد ألقى في روع ضباط الأسطول وسائر بحارته أن واجهم يقضى بتدمير بواخرهم قبل أن تقع في أيدي الألمان الذين يكرههم كما يكره الإنكليز تماماً .

ولكن انضمام الأسطول الفرنسي إلى الأسطولين الألماني والإيطالي في يونيو سنة ١٩٤٠ مع وجود الأسطول الياباني كان خطراً يهدد بريطانيا والولايات المتحدة بالمخاطر . فقد نصت المادة الثامنة من الهدنة على وجوب وضع الأسطول الفرنسي

باستثناء بعض القطع التي تبقى حرة لحماية المصالح الفرنسية في مستعمراتها ، في موافق
تحدد لها لجنة الهدنة لينزع منها السلاح تحت إشراف المراقبين الألمان والإيطاليين .
وكان معروفاً أن السفن الحربية الفرنسية ستنتقل إلى إشراف أيد معادية وهي مسلحة
بكل المعدات . وصحيح أن المادة نفسها تنص على عدم استخدام الأسطول في أغراض حربية
مدى الحرب . ولكن هل يستطيع أحد أن يثق في كلام هتلر بعدما عرف من ماضيه
وبعد الحقائق التي كشفت عنها الأحداث ؟ . وهناك نقطة أخرى فقد استبذت
المادة والوحدات اللازمة لمراقبة الشواطئ وكس الألغام ، والألمان هم الذين يفسرون
هذا الاستثناء . وأخيراً فثمة احتمال خرق الهدنة دائماً بحجة الإهمال والتجاوز .
ومعنى كل هذا عدم وجود ضمانات لدينا على أى حال . ومهما يكن الثمن ومهما يكن
الامر فعلياً أن نتأكد بأى طريق من أن الأسطول الفرنسي لا يقع في أيدي الذين
يجب أن لا يقع في أيديهم . فإن ذلك من شأنه أن يؤدي بنا وبغيرنا إلى الدمار .

* * *

ولم تتردد وزارة الحرب في القرار الذي اتخذته . وعين الوزراء الذين كانوا منذ
أسبوع واحد يقدمون قلوبهم لفرنسا . وعرضوا عليها جنسية واحدة . وقد قرروا
اتخاذ جميع الإجراءات لتحقيق الهدف الجديد . لقد كان قراراً كريهاً إلى . بل ربما
كان هذا القرار أكثر إيلاماً لنفسى من أى قرار اتخذته في حياتي ، فقد ذكرني باستيلاء
أسطولنا الملكي على الأسطول الدنمركي في كوبنهاجن سنة ١٨٠٧ ولكن الفرنسيين
كانوا حلفاءنا الأعداء حتى أمس القريب . وكان عطفنا عليهم في محنتهم عطفاً
صادقاً ، ولكن حياة دولتنا وقضيتنا معرضتان للخطر . إنها المأساة . ولكن لم
يكن لبريطانيا والشعوب التي تعتمد عليها عمل أكثر ضرورة من هذا العمل . وقد
تذكرت دانتون وهو يقول سنة ١٧٩٣ : إن الملوك المتحالفين يهددوننا وإننا على
استعداد لأن نقذف على أقدامهم ، كرهان على المعركة ، رأس أحد هؤلاء الملوك ، وكان
الحادث جميعه يسير في هذا النطاق من تتابع الأفكار .

كان الأسطول الفرنسي يتألف من : باريجتين وأربعة طرادات خفيفة وعدد من
الغواصات منها غواصة كبيرة باسم سيراكوف وثمان مدمرات ونحو مائتي قطعة
صغيرة من بينها عدد من كائنات الألغام ووحدات مكافئة الغواصات . وكل هذه
ترسو في بورتسموث وبليموث أى تحت إشرافنا . وفي الإسكندرية بارجة فرنسية
واحدة وأربعة طرادات منها ثلاثة من طراز حديث وتحمل مدافع من عيار ثمانى

بوصات وعدد من القاطع الصغيرة . وهذه تشرف عليها وحدة قوية من البوارج البريطانية . وفي وهران في الجانب الثاني من البحر المتوسط ، وفي المرسى الكبير المجاور لميناء وهران قطعتان من أحسن قطع الأسطول الفرنسى هما : « دنكرك » و « ستراسبج » وهما من البوارج الطرادات التى تفوق شار نهورست وجينزناد وقد أنشئتاً بصفة خاصة لتكونا متفوقتين على القطعتين الألمانيةتين . ووقوع هاتين القطعتين فى يد الألمان فى طريق خطوط تجارتنا يعرض مصالحنا لأشد الأخطار . لا سيما أن معهما بارجتين وعددا من الطرادات الخفيفة والمدمرات والغواصات والسفن الحربية ، وفى ميناء الجزائر سبعة طرادات منها أربعة تقل مدافع عيار ثمانى بوصات . وفى جزر المارتينيك حاملة طائرات وطرادان ، وفى الدار البيضاء البارجة جان بورت . وقد وصلت أخيراً من سان نازير ولكن دون مدافع . وهى إحدى البوارج الرئيسية فى قوات العالم البحرية . ولم يكن قد تم بناء هذه البارجة ولا يمكن أن يتم فى الدار البيضاء وعليها أن تظل هنالك . أما ريشليو التى أوشك بناؤها أن ينتهى فقد وصلت إلى دكا . وتستطيع أن تبحر وتستطيع مدافعها عيار خمس عشرة بوصة أن تطلق نيرانها وثمانى عدد آخر من السفن الحربية الفرنسية التى تقل أهمية فى شتى الموانئ . وكان فى طولون عدد من البوارج التى يتعدى علينا الوصول إليها . وكانت عملية المنجنيق التى ستم فى آن واحد فى كل مكان ترمى إلى الاستيلاء على كل ما يمكن الاستيلاء عليه من الأسطول الفرنسى أو الإشراف عليه أو تدميره إذا اقتضت الحال .

وفى الصباح المبكر من اليوم الثالث من شهر يوليه وضع الإشراف البريطانى على السفن الحربية الفرنسية فى بورتسموث وليموث وكان العمل مفاجئاً وقد استخدمت فيه قوات متفوقة . وتبين من العملية كيف كان من السهل على الألمان أن يستولوا على البوارج الفرنسية فى الموانئ التى يسيطرون عليها وتمت العملية فى سائر القاطع ، عدا سيركوف ، بالرضى والقبول . ونزل البحارة الفرنسيون إلى البر مختارين ، أما فى سيركوف فقد قتل فرنسى واحد وأسرع المئات من الفرنسيين وتطوعوا للعمل إلى جانبنا . وقد غرقت سيركوف بعد أن أبلت بلاء مجيداً فى اليوم التاسع عشر من شهر فبراير سنة ١٩٤٢ بكل من عليها من البحارة الفرنسيين البواسل .

وكانت الضربة القاضية غرب البحر الأبيض المتوسط حيث تلقى الأميران سمر فيل فى جبل طارق وهو على رأس « القوة ه » وتآلف من البارجة - الطراد هود والبارجتين فالبان وريسوليوشون وحاملة الطائرات « أرك وويال » وطرادين

- ٤١٦ -

وإحدى عشرة مدمرة ، الأوامر من الأميرالية في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والعشرين من صباح اليوم الأول من شهر يولييه .

وتقول ، استعداد لعملية المنجنيق في اليوم الثالث من شهر يولييه ، وكان بين الضباط العاملين تحت إشراف سمر فيل الربان هولاند وهو ضابط ممتاز شجاع . وكان ملحقا بحرياً في باريس ومعروفاً بميوله الفرنسية . وأرسل نائب الأميرال في الساعات المبكرة بعد ظهر اليوم الأول من شهر يولييه يقول :

« بعد الحديث الذي تم بين نائب الأميرال وبين هولاند وغيره من القادة في القوة » ، اقتنع نائب الأميرال برأيهم في أنه يجب عدم استخدام القوة مهما تكن الأمور . ويرى هولاند أن أى عمل هجومى ستكون نتيجته عداء الفرنسيين في سائر الأنحاء . »

وفي الساعة السادسة والدقيقة العشرين ردت الأميرالية بالبرقية التالية :

« إن حكومة جلالته تصر على أنه إذا لم يوافق الفرنسيون على شىء من الأغراض التي تعرضونها فيجب إغراق قطعهم البحرية والقضاء عليها ، وبعد منتصف الليل بقليل تلقى الأميرال سمر فيل رسالة من الأميرالية على بإعدادها كل العناية لينقلها إلى الأميرال الفرنسي وكان الجزء الهام فيها ما يلي :

(أ) إما الإبحار معنا والاستمرار في القتال ضد الألمان والإيطاليين حتى النصر .

(ب) أو الإبحار تحت إشرافنا بعدد قليل من البحارة إلى ميناء بريطانيا . وسيعاد هؤلاء البحارة إلى وطنهم في أقرب وقت .

فإذا اتبعتم أحد هذين الأمرين . فسوف نعيد قطعكم البحرية إلى فرنسا بعد انتهاء الحرب أو ندفع التعويضات عنها كاملة إذا تعرضت للضرر .

(ج) أما إذا وجدتم أنفسكم في حالة تلزمكم بعدم استخدام بوارجكم ضد الألمان أو الإيطاليين إلا إذا خرقو الهدنة فعليكم أن تبجروا بها معنأ بعدد قليل من البحارة إلى أى ميناء فرنسى في الهند الغربية

كلما رتنيك حيث ينزع سلاحا لتعلمن ، أو تسليمها كأمانة إلى الولايات المتحدة حيث تبقى في زمامها حتى نهاية الحرب مع الوعد بإعادة البحارة إلى أوطانهم .

أما إذا رفضتم ما أعرضه عليكم فأني أدعوكم ، مع الأسف ، إلى إغراق سفنكم الحربية في مدى ست ساعات وإذا لم تستجيبوا فإن لدى الأوامر من حكومة جلالة بأن أستخدم كل مالدني من قوة لمنع وقوع سفنكم في أيدي الألمان والإيطاليين ، .

وعند الفجر أبحر الأميرال فوصل أمام وهران حوالي الساعة التاسعة والنصف وبعث بالقبطان هولاند على ظهر إحدى المدمرات لمقابلة الأميرال جنسول الفرنسي فلما رفض مقابلته بعث هولاند رسالة إلى الأميرال . وتدرج جنسول كتابة بأن البوارج الفرنسية ان تقع بحال من الأحوال في أيدي الألمان أو الإيطاليين وأن القوة ستقابل بمثلهما .

وقد دامت المفاوضات طوال النهار . وسمح للقبطان هولاند أخيراً في الساعة الرابعة والربع بالاصعود إلى البارجة دسرك . ولكن المقابلة بينه وبين الأميرال الفرنسي كانت جامدة . وكان جنسول قد أرسل في أثناء ذلك رسالتين إلى الأميرالية الفرنسية . وفي الساعة الثالثة من المساء عقد مجلس الوزراء الفرنسي اجتماعاً لدراسة الشروط البريطانية . وقد حضر الجلسة الجنرال فيجان . وسجل مؤرخ حياته ما دار فيها ويبدو من قصة المؤرخ أن الاحتمال الثالث وهو ذهاب الأسطول إلى الهند الغربية لم يذكر في الجلسة على الإطلاق وقد قال : يتضح أن الأميرال دولان ، سواء أكان ذلك عن عمد أم عن براءة . عن علم أو عن جهل ، بما لا أعرفه ، لم يخبرنا بالقصة مفصلة كاملة ويظهر لي الآن أن شروط الإنذار البريطاني كانت أقل خشونة مما تصورناه في ذلك الحين فقد اشتملت على شرط ثالث كنا نستطيع قبوله لو عرفناه إذا ذاك وهو أن يتجه الأسطول إلى مياه جزر الهند الغربية ، ولم أستطع إلى الآن سنة ١٩٥٠ ، أن أهتدي إلى سبب لهذا الحذف أو السهو .

وكان تأثر الأميرال البريطاني وكبار ضباطه ظاهراً فيما تبادلناه من البرقيات ولم يكن ثمة من سبيل سوى الأمر بإطلاق النار على أولئك الذين كانوا إلى وقت قريب زملاء في القتال . . وقد عم شعور مماثل في الأميرالية نفسها ولكن لم يكن هناك أي أثر للضعف أو التراجع في إصرار وزارة الحرب . وقضت طوال الوقت بعد ظهر ذلك اليوم في قاعة مجلس الوزراء وأنا متصل اتصالاً مباشراً بكبار زملائي

— ٤١٨ —

ويلورد البحر الأول ووزير البحرية . وأخيراً أرسلنا البرقية التالية في الساعة السادسة والدقيقة السادسة والعشرين من المساء :

« إما أن تخضع السفن الحربية الفرنسية لشروطنا أو تغرق نفسها أو تتولوا لإغراقها قبل حلول الظلام » .

ولكن العمل قد اتخذ مجراه . فقد شرع الأميرال سمر فيل في الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والأربعين في إطلاق النار على هذا الاسطول الفرنسي القوي الذي تحميه بطاريات السواحل . وفي الساعة السادسة أبرق إلينا يقول إن المعركة شديدة وقد استمر تبادل إطلاق النار عشر دقائق . انفجرت خلالها البارجة « بريثاني » ، وأصيب دنكرك بأضرار خطيرة . ولجأت البارجة بروفس إلى الساحل . أما استراسبرج فقد استطاعت النجاة وقد وصلت إلى طولون على الرغم من قذفها بالطوربيد من الطائرات القائمة في « أرك رويك » ، كما وصلت إليها الطرادات التي كانت في ميناء الجزائر .

أما في الإسكندرية فقد وافق الأميرال للفرنسي جودفيري ، بعد مفاوضات طويلة مع الأميرال كنجهم ، على ائزال كل ما تحمله بواخره من وقود . ورفع أجزاء هامة من مدافعه وأسلحته وإعادة عدد من بحارته إلى أرض الوطن . فقد هاجمت حاملمة الطائرات هيرفر البارجة الفرنسية ريشليو ، واشتركت في الهجوم بعض الزوارق البخارية وأصيب ريشليو بطوربيد من الجو ألحق بها أضراراً جسيمة . أما حاملمة الطائرات الفرنسية والطرادات الخفيفة في الهند الغربية فقد نزع سلاحها بعد مفاوضات طويلة مع الولايات المتحدة .

وقد أبلغت مجلس العموم ببيان مطول . عما قنا بتنفيذه . وعلى الرغم من نجاة البارجة — الطراد استراسبرج من وهران ، وعلى الرغم من أن نبأ تعطيل ريشليو لم يكن قد وصل إلينا ، فإن ما اتخذناه من الإجراءات قد أزال تقدير الاسطول الفرنسي من حساب الألمان وفكرتهم الأساسية . وتحدثت بعد ظهر ذلك اليوم في المجلس ساعة أو أكثر من ساعة . وقدمت للنواب وصفاً مطولاً للأحداث المؤثرة التي وقعت كما أبلغت إلى . وليس لدى ما أزيد على ما سبق أن أعلنته للمجلس وللعالَم أجمع وقد رأيت من المناسب أن أختم حديثي بهذا التحذير الذي كنت قد أعلنته بصفة عامة بموافقة مجلس

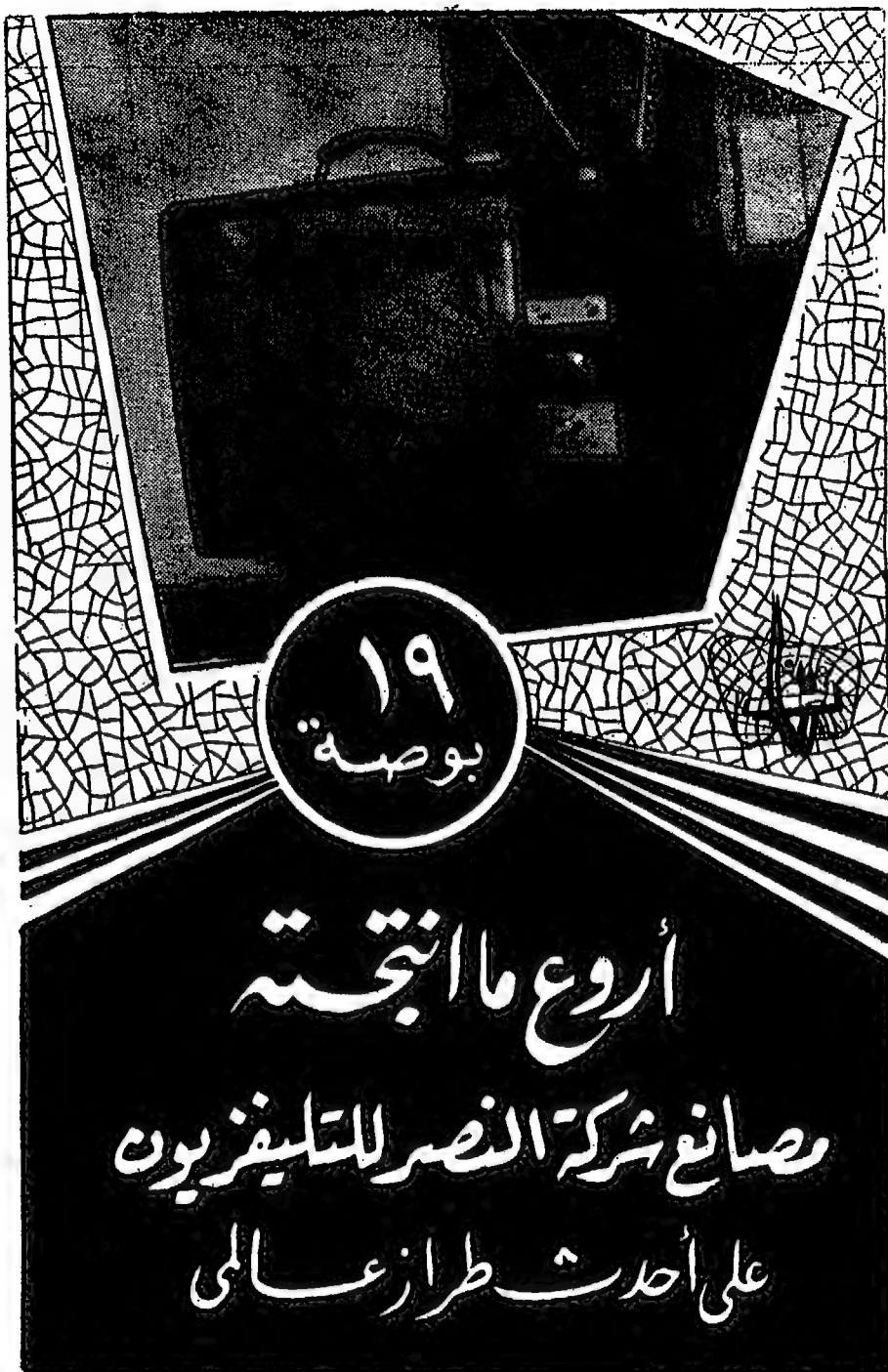
الوزراء على سائر الدوائر ذات النفوذ في الجهاز الحاكم في اليوم السابق. وهذا نصه :
 « قد تقوم محاولة لغزو هذه الجزر وتبدأ معركة الوطن ما بين عشية
 أو ضحاها ، ويود رئيس الوزراء أن يصارح جميع من يتولون مناصب
 ذات مسئولية في الحكومة أو القوات المسلحة أو الدوائر المدنية ،
 أن عليهم واجبا بأن يظلوا محافظين على روح الحذر والحيوية واليقظة
 وإذا كان علينا أن نتخذ كل ما يمكن من الإجراءات الاحتياطية التي
 يتيحها وقتنا الضيق ووسائلنا . فليس ثمة من حاجة إلى الاعتقاد بأن
 الألمان يستطيعون أن ينزلوا قوات في هذه البلاد من الجو أو البحر على
 حد سواء ، أكثر مما في طوقنا أن ندمره أو نأسره بقواتنا القوية المثوبة
 الآن . فالسلاح الجوي في هذه الآونة في أحسن حالاته وقد بلغ أقصى
 قوة عرقناها . والأسطول الألماني لم يكن في أى وقت أضعف منه الآن .
 ولم يكن الجيش البريطاني في وقت ما أقوى مما هو اليوم . . ويتوقع
 رئيس الوزراء من جميع موظفي صاحب الجلالة الذين يشغلون المناصب
 العالية أن يكونوا مثلاً يقتدى به في الإصرار والثبات . وعليهم واجب
 أن يردوا أية فكرة تدعو إلى التراخي والاستسلام في بثائهم أو عند
 مرءوسيتهم . وأن يوجهوا إلى أصحابها أشد عبارات اللوم والتأنيب .
 وعليهم أن يبلغوا رؤسائهم عن كل شخص سواء أكان موظفا أم ضابطا
 يقوم بنشر أنباء مثيرة . أو يفوه بألفاظ تدعو إلى اليأس والفرع .
 بهذا وحده يكون هؤلاء الموظفون جديرين بأن يكونوا مواطنين مؤلاء
 الذين يناضلون العدو في الجو والبحر والبر . وقد أثبتوا أن العدو
 لا يزيد عنهم في القوى الحربية بحال من الأحوال . »

وكان السكون مخجبا على المجلس وأنا أتلو هذا البيان وما كدت انتهى منه حتى رأيت
 مظهرا عجيبا لم يتح لي أن أرى مثيلا له في حياتي . لقد هب كل من في المجلس على قدميه
 يهتف ويطلق الهتاف . وكان حزب المحافظين حتى هذه الآونة يعاملني بتحفظ شديد
 وكانت مقاعد العمال وحدها هي التي تلقاني بترحيب حار حين أدخل إلى المجلس أو
 أبدأ الحديث في مناسبة ذات شأن . أما الآن فقد اشترك الجميع في هذا التأييد الإجماعي
 الصادر من أعماق القلوب .

وقد كان لتقصية الأسطول الفرنسي ، كعامل حرب له قيمته بضره قاصمة ، أثر عميق

في سائر بلاد العالم . فهامى ذى بريطانيا التي كان يظن الجميع أنها تترحم تحت ضربات العدو وتتهيا للاستسلام تضرب بلا رحمة أعز أصدقائها بالأمس لزوم لنفسها السيطرة على البحار فترة من الزمن . وقد تبين للجميع أن وزارة الحرب البريطانية لا تهاب شيئا ولا تردد في القيام بأي شيء تراه وكان هذا أمرا مقصيا .

وقد استطاع الشعب الفرنسي أن يستخلص بعقريته من كارثة وهران أملا جديدا وعزما قويا صادقا وكان الجزائر ديجول الذي لم استشره قبل في شأن الأسطول قد ظهر بمظهر جليل . وقد أيدت فرنسا بعد تهجيرها موقفه ، وأنى مدين للسيوتنيجي ، من زعماء المقاومة الفرنسية المعدودين والذي أصبح فيما بعد وزيراً للدفاع ، بالقصة التي سارويها : كانت هناك عائلتان من الفلاحين تسكنان قرية بالقرب من طولون وقد فقدت كل منها ولداً بئيران المدافع البريطانية في وهران وكانا يعملان بحارين في الأسطول وقد أعد مشهد التشجيع الشابين . ورغب سائر الجيران أن يشاركوا فيه . وقد أصرت الأسرطان على أن يوضع العلم البريطاني على التمش إلى جانب العلم الفرنسي . وكان للأسرتين ما أرادتا . ومن هذه القصة نرى كيف ترتفع القوى المعنوية عند بعض البسطاء إلى معارج السمو والخلود .



هيئة قناة السويس

من انباء القناة

حركة البضائع

سجلت كميات البضائع التي عبرت القناة خلال شهر أكتوبر سنة ١٩٦١ زيادة على تلك العابرة خلال نفس الشهر من العام الماضى قدرها ١٣٣.٠٠٠ طن أى بنسبة ٠,٩٪ حيث بلغت كميات الشهر الحالى ١.٤٩٠.٤٠٠ طن مقابل ١.٤٧٧.١٠٠ طن فى أكتوبر ١٩٦٠.

حركة البضائع من الشمال :

كانت الزيادة المسجلة فى كميات البضائع العابرة من الشمال خلال شهر أكتوبر سنة ١٩٦١ السبب الرئيسى فى ارتفاع الكميات العابرة من الاتجاهين. فقد بلغت كميات أكتوبر سنة ١٩٦١ ٢٨٨٥٠٠٠ طن مقابل ٢٠٧٨٠٠٠ طن، بزيادة قدرها ٨٠٧٠٠٠ طن أى بنسبة ٣٨,٨٪ وترجع تلك الزيادة الى ارتفاع كميات جميع أنواع البضائع العابرة فى هذا الاتجاه. وكان أولها المواد البترولية التى ارتفعت كمياتها بمقدار ٢٢٠٠٠ طن أى بنسبة ١٠٠٪ (٦٣٩٠٠٠ طن خلال شهر أكتوبر سنة ١٩٦١ مقابل ٣١٩٠٠٠ طن فى أكتوبر ١٩٦٠)، وقد شملت الزيادة كميات البترول الخام بمقدار ١٨٩٠٠٠ طن (٤٠٧٠٠٠ طن مقابل ٢١٨٠٠٠ طن) والمازوت بمقدار ١١٦٠٠٠ طن (١٣٦٠٠٠ طن مقابل ٢٠٠٠٠ طن) والسولار والديزل بمقدار ٢٠٠٠ طن (٢٧٠٠٠ طن

مقابل ٢٥٠٠٠ طن) والبنزين بمقدار ١٣٠٠٠ طن (٢٣٠٠٠ طن مقابل ١٠٠٠٠ طن) بينما لم تتغير كميات الكيروسين (٣٧٠٠٠ طن) .

وبالنسبة لمناطق شحن المواد البترولية فقد صدر الاتحاد السوفيتي ما يعادل ٨٤٪ من كمياتها ، وإيطاليا ٥٪ ، بينما استقبلت اليابان ٥٣٪ من تلك المواد ، والجمهورية العربية المتحدة ٢٧٪ ، والملايو ٧٪ .

وقد زادت كميات البضائع الأخرى عدا المواد البترولية بمقدار ٤٨٧٠٠٠ طن أى بنسبة ٢٨٪ (٢٢٤٦٠٠٠ طن مقابل ١٧٥٩٠٠٠ طن) .

وقد سجلت جميع كميات البضائع الرئيسية نسب الزيادة الآتية مقارنة بمثيلاتها العابرة فى أكتوبر ١٩٦٠ :

السكر	٤٢١ + ٪
الأسمنت	٤٩ + ٪
الحبوب	٣٠ + ٪
المعادن المصنوعة	٢٥ + ٪
الآلات	٢٠ + ٪
الأسمدة	٦ + ٪

حركة البضائع من الجنوب

بلغت كميات البضائع العابرة فى هذا الاتجاه خلال شهر أكتوبر سنة ١٩٦١ ١٢٠١٩٠٠٠ طن مقابل ١٢٦٩٣٠٠٠ طن خلال أكتوبر ١٩٦٠ بنقص قدره ٦٧٤٠٠٠ طن أى بنسبة ٥,٣٪ . ويرجع هذا النقص إلى انخفاض كميات المواد البترولية والمعادن وخاماتها . فقد بلغت كميات البترول التى عبرت القناة خلال أكتوبر سنة ١٩٦١ ٩٦٦٥٠٠٠ طن مقابل ١٠٣٣٧٠٠٠ طن فى أكتوبر ١٩٦٠ بنقص قدره ٦٧٢٠٠٠ طن أى بنسبة ٦,٥٪ . وقد شمل النقص جميع أنواع المواد البترولية .

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج
تليفون ٤٥٢٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٣١٦٢٥

مجموعة اخترنا لك

تصدر

نصف شهرية باللغات العالمية
يشارك في تحريرها وإعدادها
لجنة "اخترنا لك"

المراسلات : الدار القومية للطباعة والنشر
١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج - القاهرة
تليفون ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٣١٦٢٥

١٠ قروش

التمن

